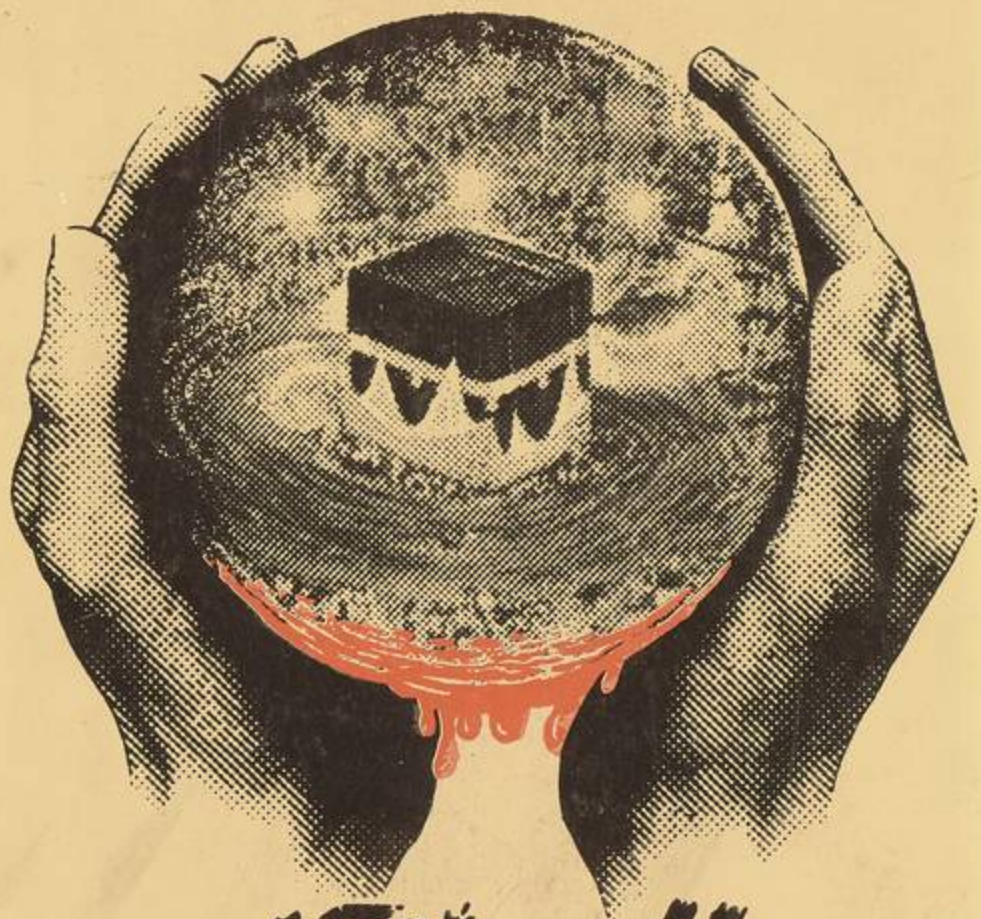

الوجه الآخر

لأحداث مكة الدامية

صاحب تقي

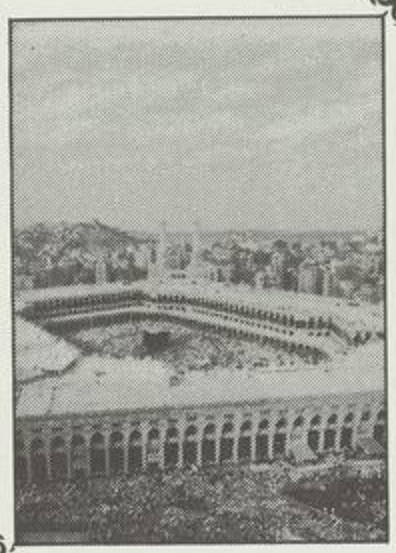

الوجه الآخر

لأمدات مكة الدامية

صاحب تقي

الوجه الاخر
لأحداث مكة الدامية
بقلم: صاحب تقي
الطبعةالاولى: صيف ١٩٨٨- عشرة الاف نسخة
الطبع فى مؤسسة كيهان
حقوق الطبع والنشر محفوظة
العنوان: طهران- شارع فردوسي- زقاق الشهيد شاهچراغي

Second Face Of Developments Of Blooding Mecca
Written By Saheb Taqi
First Print, Summer of 1988 (10000 copies)
Printed at Kayhan Institute
All Rights Reserved
Address; Tehran, Ferdowsi Ave.,Martyr Shahcheraghi, Kayhan Institute

---

آنسوی رویدادهای خونین مکه
نوشته صاحب تقی (شریف عسگری)
چاپ اول- تابستان ١٣٦٧- ده هزار نسخه
چاپ: مؤسسه کیهان
حق چاپ برای انتشارات کیهان محفوظ است
نشانی: خیابان فردوسی- کوچه شهید شاهچراغی- انتشارات کیهان

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة في البداية

احداث مكة الدامية مازالت اصداءها تتفاعل و سوف يمضي وقت غيرقصير قبل ان تسفر جهود التهدئة والتوفيق بين طهران والرياض عن شئ ما. . فلعل العملية المأساوية التي اودت بحياة عدد كبير من حجاج البيت الحرام و في البيت الحرام، هي اكبر من ان يحيط بها موقف رسمي، ايراني اوسعودي، و يحاول لفلفتها و تسكين الجرح الذي خلفته فى النفوس التواقة الى حج محمدي اصيل و دون تدخل تعسفي من أي سلطة كانت.

وعلى هذا ارتأت هيئة التحرير في «كيهان العربي» ان توعز الى الاخ الزميل صاحب تقي، مبعوث الصحيفة الى مكة المكرمة فى العام الماضى، لتناول موضوع الحج و ما تخلل موسم العام المنصرم من احداث دموية بسبب التصدي لمسيرة الحجاج فى مكة (مسيرة البراءة)، باسلوب غيرانساني لم نعهده سابقاً.

و اجمالاً فهذا الكتاب، الاول الذي نصدره و يشتمل على دراسة موضوعية للحقائق والمؤشرات ولمعرفة ابعاد و دوافع ماشهدته الارض الحرام.

وليس الغرض من اصدارالكتاب، التشهير بموقف معين و ادانته، و مضاعفة الاحراج الذي يشعر به أصحابه. . و انما أملنا فيه، ان نشجع القارئ الكريم على تحري النظرات الموضوعية والمجردة التى تسهل عليه تقصي خلفيات الموقف السعودي من مسألة الحج، و علاقة هذا الموقف بالتوتر الذي طرأ في السابق ـ وحاضراً ـ على خط العلاقات. . و على باقي القضايا التى تهم الطرفين الايراني و السعودي، كما تهم المسلمين والعرب جميعاً.

فهـذا الكتـاب فى الحقيقة، الجهد الاول من جانبنا للتعريف بأهم الدوافع والمرتكزات وراء الازمة الكبرى القائمة. . و لتسهيل مهمة أي باحث في التوصل الى الخطوط والأسس العامة المشجعة على ايجاد انفراج حقيقى فى الموقف على صعيد الحج و منعاً لتكرار الحوادث المعكِّرة لصفو هذه الفريضة، وأمن الحجيج و حرياتهم. . و حقوقهم، حسب الكتاب والسنة و اجماع المسلمين والعقل والمنطق.

وكلمـة لابد منها، فالمطلوب منا جميـــــعاً، باحثين و ذوي رأي، تناول مسألة الحج و مادار في مكة المكرمة بكثير من التجرد والموضوعية. . ولتشجيع فرص التلاقي والتفاهم بين الباحثين والمعنيين بدلاً من تباعدهم و تنازعهم.

و اخـيراً، فلاينبغي ان يخامـرنا الاعتقاد بامكانية التعريف بحقائق الحج و حقـائق الاحـداث الـدموية، دونما تجرد و تحري كافيين. . ذلك ان المسألة لاتمثل تصعيداً او توتيراً كاشكال التوتير الاخرى التي تقف وراءها دوائر الشرق والغرب، لابقاء المسافات بعيدة بين عواصم المسلمين. . ووصولاً الى اهداف واطماع غير خافية.

ولكن نظراً لعظمة المسألة المتعلقة بالحج واثرها الكبير في دنيا المسلمين، ونظراً لفداحة الخطب الذي المَّ بالحجاج وتسبب في هتك قدسية اهم بقعة اسلامية، فأملنا كبير بحملة الاقلام الشريفة، من الكتاب والشخصيات والعلماء الافاضل ليزودونا بوجهات نظرهم و يأخذوا بأيدينا لتتكلل تجربتنا هذه في اصدار سلسلة كتب تعنىٰ بقضية الحج و باقي القضايا الهامة في حياة الأمة بالنجاح المطلوب. .

وبالنهاية لايسعنا إلَّا ان نشكر الاخ المشرف العام لمؤسسة كيهان الدكتور السيد محمد اصغري و باقي الأخوة المسؤولين، لاسيما الكادر الفني على ما قدموه من جهد و رعاية لاخراج هذا لكتاب. .

«وآخر دعوانا ان الحمدلله رب العالمين. . »

محمد حسين هاشمي

رئيس تحرير «كيهان العربي»

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

قدر لي في العام الماضي الذي شهد المأساة الدامية و المروعة في البيت الحرام أن أكون أحد الذين تشرفوا بالسفر إلى مكة المكرمة وقد شاهدت وقائع ما حصل عن كثب.

واكثر ما آلمني واثر بي، ليس فقط هذه المأساة المروعة على الارض، بل هو ما تابعته بعدئذ، من الهجمة المكثفة و الشرسة في الاعلام السعودي أو الأجنبي المتعاطف مع السعودية، لتزييف الحقائق الخاصة بالمجزرة.

ولذا، احساسا مني بالمسؤولية المهنية و الصحفية، كوني عملت أيضا مراسلا لصحيفة «كيهان العربى» الغراء اثناء موسم الحج الماضى، فقد رأيت لزاما أن ابذل جهدا متواضعا للتعريف بالمسببات الاصلية لما شهده البيت العتيق من اراقة للدماء وهتك لأقدس الحرمات.

وأملي ان يجد قارئي العزيز بين دفتي هذا الكتاب مايكفيه تقريبا للوقوف على بعض مسببات المجزرة المروعة، الخافية و المعلنة، والتي قمت بتبويبها في خمسة فصول: الرغبة في التشويش على رسالة الحج الاصيلة التي تضطلع الدولة الاسلامية بمهة تبليغها- الضغط المكثف و المتنوع على السعودية لتحفيزها على قمع الحجاج الايرانيين و غير الايرانيين - ازمة العلاقات السعودية الايرانية وأثرها في التحضير للمجزرة- الحرب العراقية الايرانية و التورط السعودي الكبير و المباشر فيها و انعكاسها على أجواء المجزرة- التورط الاميركي المفتوح في التحريض و المساعدة على تنفيذ مخطط المجزرة الرهيب.

و اخيرا استميح قارئي الكريم عذرا ان بدر مني تقصير في التطرق الى كافة الحوافز و الاسباب المشجعة على المجزرة و تشريح الكلام عنها او مناقشتها من جميع

زواياها، وعزائي هنا ان ذلك ما أتاحه لي القدر المتوفر من المعلومات و الارقام، علاوة على مشاهداتي الشخصية في موسم الحج الماضي و الدامي.

ولعل القارئ سيلمس بنفسه ان بعض ماحدثته عنه قد تأخر نشره نسبياً، لتأخر صدور الكتاب ثلاثة اشهر تقريبا و لأسباب خارجة اجمالا عن ارادتي و ارادة الجهة التي تقبلت مشكورة عملية الطبع، وهي أسباب فنية، في معظمها..

و لا أطيل، فاغتنم الفرصة لأشكر كل الذين مدّوا لي يد العون في مهمتي المتواضعة هذه، كما لعلي اشكر- سلفا- الذين لن يبخلوا علي بآرائهم وانتقاداتهم، للاستفادة منها قدر المستطاع قبل الفراغ من اعداد كتابي الآخر، وسيشتمل على بحث معمق للنتائج و الآثار المترتبة على المجزرة.. ان شاء الله..

«و ما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب»

صاحب تقي

٢٨ شوال ١٤٠٨ هجرية

مدخل

سيظل العالم يرصد الدوافع الاصلية الكامنة وراء مجزرة الجمعة الدامية في مكة المكرمة و يتعرف على تفاصيلها تدريجيا، اذ الاحاطة بتفاصيل الدوافع المعنية امر ممكن من خلال التغييرات السياسية، و التطورات على صعيد العلاقات، و على صعيد الاحداث التي ربما تشهدها المنطقة الخليجية الساخنة وتعد مكملة و موضحة لاهداف «الجمعة الدامية». فضلا عن ان المتوفر من معلومات و مشاهدات وثائقية، تلك التي مهدت للمجزرة و رافقتها بوسعها الى حد لايستهان به كشف منشأ و تشعبات الدوافع المحفزة على وقوع المجزرة. و يلزم بالتالي ملاحظة ان مجمل ما سيتطرق اليه البحث من التعريف بجوانبه الخفية و المعلنة لا يكفي راهناً لتحليل ابعاد ما حصل، و استقراء ما سيترتب عليه من آثار منظورة و مستقبلية، يلزم وقت غير قصير للمسها و معايشتها على ارض الواقع.

ويجدر التمعن بالصدد نفسه في كلام الامام الخميني لدى لقائه المسؤولين بمناسبة اسبوع الحكومة الاسلامية،قوله:

ان العالم في غفلة ازاء ما يتعلق بامر المجزرة، ولن يخرج من غفلته و يتحسس و يتفاعل بالنحو المطلوب مع واقع المجزرة و فداحة الاقدام على هتك حرمة اقدس بقعة في العالم، الا بعد انصرام حقبة معينة من الزمن.

و تتوفر فعلا بعض المؤشرات و المعلومات التي تساعد في كشف و استنباط مجموعة من الدوافع الرئيسية وراء الاقدام على وضع مخطط المجزرة موضع التنفيذ. من تلك المؤشرات نذكر:

ـ المواقف الرسمية و شبه الرسمية السعودية، عبر تصريحات المسؤولين و اجهزة

الاعلام و خاصة الانفعالية منها.

ـ المواقف المؤيدة للسعودية، عربيا، و دوليا، و المستبطنة بعض الارتياح ازاء نجاح تنفيذ المجزرة.

ـ الاتصالات و التحركات التي جرت مع الرياض، سواء الممهدة و السابقة لتاريخ المجزرة او التالية لها، و هدفها النهائي الصريح، تغطية و تحجيم الآثار المتفرعة عن المجزرة لغير صالح السعوديين طبعا.

ـ الاتصالات التي أجرتها اطراف عربية و غير عربية مع طهران لثنيها عن قرارها دعوة الحجاج للخروج بمسيرات كبرى في المدينة المنورة و مكة المكرمة، او التي شاءت التوسط «لاصلاح ذات البين» و ارجاع العلاقات السعودية الايرانية الى مجراها الطبيعي

ـ احاديث و تعليقات المراقبين العالميين، و التي لا تنسب في غالبيتها بالضرورة الى الفترة التي جرى خلالها التحضير لاخراج مخطط المجزرة الى النور، اي التي سبقت تنفيذ المخطط، لكن جميعها يوحي بوجود دوافع اقليمية و دولية خطيرة متشعبة وراء التشجيع على ما حصل او ما قد يحصل، بأيدٍ سعودية. و في ضوء الموقف السعودي غير المكترث لتدهور العلاقات مع نظام الجمورية الاسلامية في ايران.

ـ الشواهد الميدانية في ساعة يوم تنفيذ المجزرة.

ـ ردود الفعل المختلفة، العفوية او الصادرة عن شخصيات اسلامية.

و بعد هذه الاطالة غير المتعمدة عن كيفية فهم الدوافع التي حرضت على تنفيذ مخطط قمع الحجاج الذين لبوا نداء المشاركة في مسيرة ضخمة انطلقت في مكة يوم الجمعة ٦ ذى الحجة ١٤٠٧هـ/ ٣١ تموز ١٩٨٧م، احياء لشعار قرآني صريح بوجوب «البراءة من المشركين»، فسوف نتطرق تباعا لابرز تلك الدوافع و الخلفيات.

التشويش على رسالة الحج

الحكومة السعودية لاتفقه الا شيئاً واحداً هو ان قوانينها الخاصة لاتجيز تنظيم مسيرات الحج.

«عبدالوهاب عبدالواسع»
وزيرالاوقاف والحج السعودي

اول هدف خامر ذهن السعوديين، اثناء اعداد خططهم، لتنفيذ مخطط المجزرة بنجاح، و لتحميل ايران بداية تبعات كل الذي حصل، بانتظار مجيء الفرص اللاحقة لترسيخ اتهام الحجاج الايرانيين بالتسبب في الدماء المراقة.. هو محاولة تشويه الصورة عن ظاهر الموقف الايراني خلال ايام الحج.

و لأجل الهدف المذكور، لم يتوانَ السعوديون عن طرق كل باب، و طلب المساعدة من أي كان.

فمن جانبه، اتبع الاعلام السعودي، اسلوبا رخيصا نزقا، و منحطا الى ابعد الحدود، لتشويه نظرة الحجيج، في ايام الحج، و تشويه نظرة العالم الى واقع ما يحرص عليه الايرانيون خلال الايام المقدسة هذه.

و تكفي القراءة السريعة لعناوين صحيفة او صحيفتين سعوديتين، للاطمئنان الى عدم غياب الاسلوب المذكور في مانشرته صحف الرياض و مكة و المدينة، و الصحف السعودية الصادرة و التي توزع في الخارج.

من العناوين التي طالعتنا بها صحيفة «عكاظ» في أحد اعدادها[1]:

* جرائم الايرانيين خرق لأمن و سلامة الحجاج و اعتداء على قدسية الحرم الامين (كذا)!
* ارادوا الفتنة و فشلوا..
* لولا حكمة المملكة لكانت مأساة دامية.
* رفض مطلق للمحاولة المشبوهة لزعزعة امن الحج.
* اعمال ايران استفزاز سافر و تعد واضح.

تلك العناوين ماذا تحكي، أليس المعنيُّ بها كلها هو ايجاد انطباع خاطئ لدى التعبير، عن ان نشاطات الايرانيين هي التي تجلب الفتنة، وان المطلوب وقفها، لحسم المشكلة التي ادت الى ما ادت اليه في الارض الحرام..؟

هذا هو المقصود بالنهاية من لهجة الاعلام السعودي، المتهكم بشدة. فبعد ان تختار احدى المجلات الاسبوعية (مجلة المجلة)[٣] عنوانا للغلاف حول ما اسمته «التفاصيل الكاملة لاعمال الشغب الايراني»، خرجت نفس المجلة في عدد لاحق و عنوان موضوع الغلاف هو «سلام مكة». و من فحص العنوانين، يتبين المراد بهما وهو الايحاء بان سلوك الوافدين الايرانيين على الحج، كان مبعثا لخرق الأمن و اراقة الدماء، اما واجب قوات القمع السعودية فلم يتعد «حفظ السلام» في ربوع الحج.

و لسنا هنا بصدد اساليب الخداع الاعلامي السعودي و الرد عليها انما سنكتفي منها بما يلبي الحاجة لايضاح المطلوب من تكثيف الانطباع الخاطئ عن طبيعة الموقف الايراني، الحريص على عدم التفريط بالبعدين السياسي و العقائدي للحج، فاحدهما مكمل للأخر.

و هذا الجانب الذي كرس له الاعلام السعودي جهدا استثنائيا، لم يكن ليتم بمعزل عن التنسيق مع قنوات الاعلام الخارجي، المرتبطة ارتباطا مباشرا بالرياض او المؤيدة لمراميها، لافرق.

فصحيفة «الصندي تايمز» اللندنية[٣]، تكلمت هي الاخرى من جانبها عن «العنف» الذي رافق مسيرة الايرانيين في مكة واتت الصحيفة بعد سردها رواية مطابقة للرواية الرسمية السعودية عن «احداث مكة المؤسفة» لتحاول تبنى نفس وجهة نظر الرياض القائلة بانه لولا «الاصرار الايراني» على تنظيم المسيرات لما وقع كل ما وقع!

و ترسيخا لوجهة النظر تلك في الاذهان، يذكر أن مجموعة المواقف الرسمية الصادرة عن الرياض وعن مسؤولين كبار فيها هدفت سواء في الفترة الوجيزة التى سبقت المجزرة او التي تلتها مباشرة الى محاولة القاء اللوم على الايرانيين و ترويج الانطباع بان مسيراتهم و نشاطاتهم هي السبب دائما في المشاكل الكبرى التي تشهدها ديار الحج المقدسة.

ذلك ما يمكن لمسه منذ الايام الاولى التي افتتحت موسم الحج الدامي، وحتى قبل وصول قوافل الحجاج الايرانيين الى جده و المدينة و مكة.

اذ بدأت تصدر عن المسؤولين السعوديين الكبار امثال وزير الداخلية نايف عبارات تحذر من عواقب تجاوز الحدود التي تستأثر حكومته بوضعها حين الحج، وفي اشارات صريحة تستبطن تهديدا با للجوء الى أقسى خيارات القمع، و محاولة تلبيس

ايران المسؤولية وحدها، ثم اشاعة ان الحج ليس سوى مكان للطقوس و العبادات الخالية من اي مغزىً سياسي حيوي، كالتعريف بقضايا الامة.

وهنا يشار الى ان هؤلاء المسؤولين سلكوا طريقا ملتويا للغاية لبلوغ هدفهم المنشود. فلقد اشاعوا، وكما في تصريحات نايف بن عبدالعزيز لصحيفة السياسة الكويتية[٤]: «ان النظام الأمني في بلدنا لايسمح بالتجمع و التظاهر، و عندما نسمح لحجاج ايران بمثل ذلك فان من حق العراق، وهي الدولة التي تطلب السلام! ان تطلب اذنا لحجاجها» وخلف هذه التصريحات كانوا قد خططوا سلفا لزج قوات خاصة، عراقية و اردنية و مصرية، لقطع الطريق على مسيرة الحجاج في مكة و افتعال مصادمات دموية. اعلنت اثرها وزارة الداخلية بيانا أُولياً عصر السبت ٨٧/٨/١ اعادت فيه تلويحها بممانعتها و تحذيرها للحجاج الايرانيين من تنظيم التجمعات و المسيرات. ثم بينت على لسان ناطق ماذون لديها عن كيفية وقوع الاحداث انه: «خرج المصلون من المسجد الحرام بعد أدائهم لصلاة العصر، فلاحظوا ان الشوارع و الطرق المؤدية الى بيوتهم مغلقة بسبب المسيرة الايرانية، و بعد ان تفاقمت الازمة المرورية بسبب استمرار المسيرة و نفاد صبر المصلين الخارجين من المسجد الحرام، حصل اصطدام بينهم و بين بعض المتظاهرين الايرانيين ادى الى سقوط ١٩ قتيلا من الايرانيين و ٤ من السعوديين»[٥]. الملاحظ في هذه الرواية الرسمية التي حبكت عناصرها بدقة[٦]، انها فيما اشارت الى التحذير السعودي المسبق من مغبة التظاهر، فقد عمد ناطق الداخلية الى الادعاء بأن الذي حصل هو جراء اصطدام بين مجموعتين من الحجاج.

وعلما ان الناطقين السعوديين لم يصمدوا عند هذه الرواية بل طوروها الى جملة ادعاءات مختلفة[٧]، الا انه لوحظ ان النقطة الاهم التي ركزت عليها جميع الادعاءات هو محاولة التستر على الدور المباشر و الكبير لقوات الأمن بمساعدة المرتزقة[٨] في عملية قمع الحجاج. و قد علم ان قوات المرتزقة تم اسكانها في عدد من البنايات المجاورة للمقر الرئيسي لممثليه الامام الخميني في بعثة الحج. و بمحاذات الطريق الذي تنطلق خلاله مسيرة الحجاج الحاشدة، كل عام.

واذا اخذنا مكان اسكان المرتزقة بالنظر[٩] واضفنا اليه امتناع متصدي شؤون الايجار والاسكان السعوديين عن وضع البنايات المجاورة لممثلية الامام في مكة المكرمة بمتناول الايرانيين والتذرع بان «أوامر عليا» عممت عليهم ستتضح امامنا حقيقة «اللغز» الذي انطوت عليه مداولات وزير الاوقاف السعودي مع حجة الاسلام كروبي ممثل الامام والمشرف على بعثة الحج الايرانية قبل ثلاثة ايام من موعد تنفيذ

المجزرة.

في تلك المداولات عمد وزير الاوقاف عبدالوهاب عبدالواسع الى التظاهر بـ«القلق» من ان تقود مسيرات الايرانيين الى تحريك مشاعر وأحاسيس «العرب المناوئين» لنظام الجمهورية الاسلامية بالنسبة لباقي الحجاج.

ولقد أجمل رد كروبي وقتها، في ان الشعارات التي يرددها الحجاج في مسيراتهم ليست موجهة ضد نظام عربي او اسلامي بالخصوص، فهي اما تنشد المطالبة بوحدة اسلامية فاعلة و حقيقية (مسيرة الوحدة في المدينة المنورة) او تنشد الجهر بالبراءة من المشركين و القوى المغتصبة لحقوق المسلمين (مسيرة البراءة في مكة المكرمة).

وبرغم توضيحات كروبي وتجديده تأكيد انعدام النيه لدى المسؤولين الايرانيين في احتكار الدعوة للخروج بمسيرات في ايام الحج. وقوله لوزير الاوقاف انه لايمانع من خروج الحجاج الايرانيين جنبا الى جنب سائر الحجاج من أي دولة عربية وفي مسيرات ونشاطات طابعها الحث على لم الشمل الاسلامي والتصدي دون تمييز لقوى الكفر والنفاق العالميين. الا ان شيئا مما قاله وأكده كروبي عن توافر النية الحسنة لدى مسؤولي بعثة الحج الايرانية لم يلق تقدير وزير الاوقاف السعودي. فاكتفى من طرفه بترديد مقولات طالما رددها مسؤولون سعوديون في مواسم الحج الماضية وتتلخص في ان حكومتهم «تفقه شيئا واحدا» هو: ان قوانينها لاتُجيز تنظيمَ مسيراتٍ للحُجاج!

واختتم الوزير السعودي اقواله في آخر لقاء مع حجة الاسلام كروبي بتعمد التشكيك في ان يتسنى ضمان الامن والنظام في اي مسيرة تشهدها مكة.

لكن عمر هذا التشكيك لم يدم طويلا، فسرعان ماكلف وزير الاوقاف نائبه ليواصل التفاوض مع البعثة الايرانية حول المسافة التي ستقطعها المسيرة والشعارات التي ستتبناها. وقد تجلى ان الاتفاق المبرم بهذا النحو هدف الى التغرير بمسؤولي البعثة والايقاع بهم وتجنب أُشعارهم بأن مجزرة مروعة ستقع على يد قوات الامن السعودية.

وهنا نصل بعد سرد شيء من تفاصيل الاتصالات التي جرت الى مزيد من اثبات وجود حافز اصلي لدى السعوديين لاستغلال حالة الحساسيات الموجودة بين حكومات عربية خاصة وبين الجمهورية الاسلامية لصياغة ادعاءات لامبرر لها.. ومن قبيل ماساقه الوزير نايف بن عبدالعزيز في أحد مؤتمراته الصحفية، اذ شاء التحديد بان: «الايرانيين يَدَّعون بأن الحج ساحة للصراع السياسي. واقوى دليل على فساد هذا القول هو أن فعلهم الاجرامي نسف حجتهم، بمعنى انهم بمجردان طبقوا نظريتهم الفاسدة وقعت الفتنة[١٠].

ونفس ما أدعاه الوزير نايف لجأت الرياض الى تعميمه على ممثلياتها في الخارج.

باسلوب مدروس وفاضح. مما يثبت كون السعودية قد اعدت لكل شيء من قبل، حول المجزرة وملحقاتها والخطوات التي تبعتها.

ولان هذه الادعاءات لاتنطلي على المراقبين . . فكان من بين الذين أثاروا تساؤلات وشكوكا جمة بصددها هو سفير «المملكة» السعودية لدى بون اثناء قيامه بالرد على اسئلة صحفيين آلمان[11]. اذ اوقع نفسه في تناقضات لفتت انظار المراسلين والصحفيين اليها وجلبت حيرتهم. فبعد ماكرر السفير من جانبه الادعاء الذي بلغه من الرياض بان «موسم الحج ليس مكانا مناسبا للتظاهرات السياسية، ولو شاء حجاج ١٦٠ دولة القيام بالتظاهر فالامر يؤدي الى كارثة». فلقد اعقب الادعاء المكرر بنقيض له تماما عن «ان الايرانيين كانوا يعتزمون توجيه ضربات الى العربية السعودية منذ سنوات». وطبعا اشار السفير الى ان «المملكة» تمتلك بالمقابل قدره الرد الكافي.

وهكذا فضح السفير نفسه بنفسه. فعقب محاولة تأكيده انه لولا مسيرات الايرانيين لما وقع ماوقع[12]، فهو لوح كدأب باقي الدبلوماسيين والمسؤولين السعوديين بقبضة الانتقام السعودية تعبيراً عن ان المجزرة ماجاءت الا لتشفي غليلا وحقدا لم يعد يخفىٰ على عين.

هوامش

١) العدد «٧٧٠٣»
٢) العدد «٣٩١»
٣) صحيفة الجزيرة السعودية اوردت جانبا من التعليق المنسوب الى الصحيفة اللندنية في العدد «٥٤٣٢»
٤) عدد ٨٧/٨/٢٢
٥) «احداث مكة الدامية»، «دراسات ارشيفية»، طهران.
٦) الغموض الذي تثيره الرواية هو: كيف يمكن حصول التصادم بين المصلين والمشاركين في المسيرة، علما ان مسيرة الحجاج اوقفت في محل يبعد كثيرا عن مدخل المسجد الحرام، ثم ألم يكن من المفروض ان تتدخل قوات الأمن قبل وقوع الاصطدام ـ لو صحت الرواية ـ طالما انها تحيط مسيرة الحجاج «بحزام أمني» على طول طريق المسيرة؟؟!
٧) الرواية الرسمية الاولى تمّ تغييرها الى الأدعاء بان الايرانيين ارادوا اقتحام الحرم الشريف، فتصدى باقي الحجاج بمعية «الشرطة الذكية!» (أُعلن هذا يوم الاثنين ٣ آب ٨٧)، ثم الأدعاء بان «بعض الايرانيين المسلحين» قاموا بالمؤامرة المزعومة «بتشجيع من حكام طهران» (الثلاثاء ٤ آب). ثم الترويج بان ممثلي طهران من الشخصيات الرسمية امثال صياد شيرازي وعزيزي وحجازي وآملي هم في عداد من اشرفوا على المؤامرة (الأربعاء ٥ آب) نقلا عن بيان منظمة «مجاهدي خلق» الايرانية المحظورة والارهابية من مكتبها في باريس.
٨) اكدت صحة ارسال قوات من المرتزقة صحف عالمية ومحلية كصحيفتي الفايننشيال تايمز اللندنية في ٨٧/٨/١٧، و«الوفد» المصرية في ٨٧/٩/٢٠.
٩) صرحت بهذا الامر مصادر في بعثة الحج الايرانية، مشرفة على اسكان الحجاج الايرانيين.
١٠) عن وقائع المؤتمر الصحفي الموسع لوزير الداخلية السعودي في ٨٧/٨/٢٤.
١١) نقلت صحيفة «زمان» التركية هذا النبأ في ٨٧/٨/٢٣.
١٢) اكد مقال نشرته معا صحيفتا واشنطن بوست وهيرالدتريبون، ان الأذن الخاص بخروج المسيرة الايرانية في مكة قد صدر فعلا من قبل وزير الاوقاف والحج السعودي ونائبه. وان بداية ونهاية المسيرة حددا كذلك بالاتفاق مع هذين المسؤولين وسرد كاتب المقال عن مشاهداته الحية، ان الحجاج الايرانيين لم تصدر عنهم في مكة سوى هتافات معادية لاميركا وروسيا واسرائيل. واضاف بانه رأى قوات الامن السعودي تعترض سبيل المشاركين بالمسيرة فجأة رغم انهم كانوا يتقدمون بهدوء الى نقطة قريبة من نهايتها وقامت برشهم بالرصاص.. جدير ذكره ان «فهمي كورو» الصحفي التركي في صحيفة «زمان» أكد في تعليق له على لسان سفير السعودية في انقرة عبدالعزيز خواجة (نشرته الصحيفة في ٨٧/٨/٢٣) ان الأذن الخاص بمسيرة الايرانيين كان قد صدر قبل المجزرة.

التنفيس عن الضغوط

ان العالم يلومنا للنجاح الذي يحققه الأيرانيون ولا يبدى اهتماماً بمبرراتنا.

«نايف ابن عبدالعزيز»
وزير الداخلية السعودي

السعوديون «منزعجون» دائما من أي كلام يسمعونه حول مدى قدراتهم في ضبط احوال الحج وسلوكيات الحجاج، بالطريقة التي تطابق مقرراتهم وموازينهم الخاصة ولاتسمح في التشكيك «بالقدرات» هذه.

هم لايسرهم مثلا، ان يوجه لهم الاتهام بالتقصير في تشديد الاجراءات الامنية، التي تضرب طوقا ليس بالسهل اختراقه، حول الحجاج الوافدين من ايران وحول بعثة الحج الايرانية التي يخشى ان تنشر «عدوى الثورة» والافكار الثورية، غير المرغوب فيها، بين الحجيج من الجنسيات المختلفة.. ولاسيما العربية.

ويعد من المسلمات ان المسؤولين السعوديين، يعنيهم من خلال مايلزمون الحجاج به من مقررات، ان يشعروا باقي الحكومات بالاطمئنان نسبيا الى ان الحريات ستظل محدودة في الحج ولن يسمح بتحويل المكان الى ساحة اتصالات ولقاءات ونشاطات «محظورة» بالنسبة للحكومات التي لاغنى لها عن سياسة «القبضة الحديدية» لضبط اوضاعها الداخلية.

ويعلم الذين تمكنوا من أداء الفريضة في الفترة السابقة لانبثاق النظام الاسلامي في ايران ان الرقابة السعودية ظلت مشددة، بحدود معينة، ولاتسمح بتداول المنشورات المعارضة لحكومات تربطها بالرياض علاقات حسنة، وازدادت حساسية الرقابة تجاه ذلك، في الاعوام اللاحقة، بطلب من «اصدقاء» و «حلفاء» السعودية.. حتى ان ذاكرة الشيوخ الفلسطينيين لاتنسى ابدا كيف كان العمل الفلسطيني خلال ايام الحج، وفي الثلاثينات خاصة، والى الان، مصيره المطاردة والقمع والزج في السجون.. لان هذا العمل لم يرض في البدايات الحكومة

البريطانية، كما تتكلم لغة الوثائق.

اذن نصل الى ان الضغط على الحكومة السعودية، لتمنع أي نشاط لايتماشي ورغبة حكومات ثانية «صديقة» هو أحد العوامل وراء عدم الارتياح البالغ الذي تبديه الرياض ازاء نشاط الحجاج الايرانيين اثناء الحج..

ولعل هناك عوامل اخرى، لاتقل اهمية عن الذي ذكرناه انما معظمها يعد ثانويا بالقياس الى عامل رئيسي كبير، يتصل بتكثيف الطلب والضغط على السعودية، لتتصلب في موقفها زيادة عن السابق امام ايران. ولتتخذ من مجزرة مكة منطلقا نحو اتباع سياسة جديدة تكون هي محورها الاصلي تجاه كل ماهو اسلامي وثوري.

هذا العامل الكبير هو اميركي النزعة، في كل ما يعنيه من تفاصيل، ينتظران تسحب أثرها على الخارطة السياسية الاقليمية وتعيد توزيع الصفوف والادوار في مواجهة ايران، ومواجهة التطورات التي تحتل حرب العراق الطويلة جانب الصدارة منها. والتي بدأت تطأ آثارها عمق الكيانات الهشة الحاكمة في الخليج وعدد من الانظمة العربية، في الشرق الاوسط والشمال الافريقي.

ولايعني كل ماسنأتي على سرده من امثلة ومصاديق،على ما نعتقد، انها محدودة بنظرنا بالأطر التي اعلنت من خلالها، بل ربما تتسع دلالاتها لتعني امورا اخرى، قد نوفق لتناولها بالبحث فيما بعد..

شواهد مؤيدة

ان من بين ابرز المصاديق الدالة على استتباب حالة من الشعور داخل نفسية كل مسؤول سعودي ـ مهما كان حجمه في موقع القرار ـ بالكبت والتراجع والرغبة في التحلل من عقدتي الذنب والخوف حيال ايران.. وللتحلل بالتالي من شيء من الضغط الذي يَرِد من الخارج ويحث على الدخول في اختبار جديد للقوة معها، و «تحطيم كبريائها» وقوتها والتخفيف من وهج كل مايجعلها ـ يجعل ايران ـ بنظر البعض خطرا عليهم وعلى مصالحهم.. فمن هذه المصاديق نذكر:

ايرانيا

في المؤتمر الصحفي الذي عقده حجة الاسلام كروبي غداة وصوله الى طهران من جدة التي الحت عليه بالمغادرة[1]، لاسباب اولها نفسي ولاستكمال تنفيذ خطة المجزرة «بنجاح» لايشوبه تمديد اقامة كروبي في مكة والمدينة وحتى في جدة. في هذا المؤتمر اميط اللثام عن جانب من الذرائع التي ساقها المفاوضون السعوديون معه، والمتمثلة «بزيادة وطأة الالحاح العربي والدولي» ليتصلب هؤلاء في شروطهم وقيودهم

حول الحجاج الايرانيين.

سعوديا

ما كشفه كروبي في مؤتمره الصحفي لم ينفه وزير الداخلية السعودية فهو أكد في تصريحات خاصة لصحيفة كويتية[٢]: «ان العالم يلومنا للنجاح الذي يحققه الايرانيون ولايبدي اهتماما بمبرراتنا» وزاد من تأكيده في مؤتمر صحفي عقده لشرح الموقف من احداث مكة، بقوله لقد: «ارتفعت اصوات العلماء! والدعاة! في العالم الاسلامي كله تطالبنا بسد ابواب الفتنة قبل ان تحدث»[٣].

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده بندر بن سلطان السفير السعودي لدى واشنطن نقل عن هذا الاخير قوله ان: «المملكة دولة قوية برجالها ومقدراتها(. .) واكبر الاخطاء التي يرتكبها البعض هو التقليل من شأن قدرة المملكة بشكل وآخر. . ففي التاريخ المعاصر فوجئ كثيرون بقدرة المملكة»[٤]! واقوال السفير ربما تكفي لايضاح واقع ماتشعر به السعودية من جراء الضغط عليها لتبرز دورها وتدشن اسلوبا جديدا من المواجهة مع ايران.

خليجيا

نشرت صحيفة السفير تقريرا في صفحة كاملة لموفدها الى الحج «غسان مكحل»[٥] من جملة ماساقه من ادلة، للهجمة السعودية على الحجاج: «ان السعودية كونها اكبر دول مجلس تعاون الخليج وجدت في رضوخها الى الطلبات الايرانية، اضعافا لموقفها امام حليفاتها الصغرى. .»

ولنقرأ بعض ما حمله مقال مراسل مجلة «الكفاح العربي»[٦] من واشنطن. عنوان المقال المسهب بالارقام والحقائق هو «مكة المكرمة. . بالدم والتظاهرات» ومنه، انه: «في آخر قمة خليجية عقدت في جدة قبل شهرين ـ من نشر المقال ـ جرى بحث موضوع التظاهرات الايرانية المتوقعة والتي اصبحت تقليدا في مواسم الحج. كان امير الكويت اكثر المتحمسين لمواجهة اي تظاهرات بالقوة نظرا لماقد تثيره من شهية التظاهر لدى اهل الخليج. وان عدم مواجهتها سيشجع السعوديين على القيام بمثلها مستقبلا. واذا حدث ذلك في السعودية فان احداً لايستطيع رد عدواها عن دول الخليج الاخرى». انتهت هذه الفقرة من المقال.

ويبدو جليا من التقرير ثم المقال ان السعودية واجهت في الفترة الوجيزة التي سبقت موعد افتعال المجزرة في مكة الحاحا خليجيا خاصا لحملها على «التلويح بالعصا الغليضة» اثناء الحج وتوظيفا لهذا الاسلوب في ادخال «السكينة» الى النفوس الخائفة من حكام ومشايخ الخليج.

عربيا

لم تدع البرقيات والرسائل التي سارع روساء وملوك عرب الى ابلاغها لنظيرهم السعودي، شكا في ان هؤلاء وحكوماتهم رصدوا وترقبوا طويلا لكي تقدم السعودية على خطوة «جريئة» لمهاجمة الحجاج الايرانيين وليتسنى من ذلك «التصدي الدقيق» لبحث الاوضاع على الساحة العربية، المتاخمة لايران خاصة، وبحث مسألة تعزيز «التضامن العربي الشامل» قبالة الخطر الايراني[٧]. ويستفاد من توالي اعراب عدد من الروساء العرب عن «استعدادهم لتقديم الدعم المطلوب» للسعودية في تحركها الراهن «لدرء الاخطار الايرانية» ووضع حلول لعدد من القضايا، كقضية الحرب العراقية ـ الايرانية، ان هؤلاء الرؤساء مازالوا يلحون باساليب شتى لتنقل السعودية نفسها الى «موقع متقدم» من لمواجهة مع الجمهورية الاسلامية. . ولذلك عندما لجأ السوريون خلال كانون ثاني من العام الفعلي ١٩٨٨ الى محاولة التوسط لتهدئة ازمة العلاقات بين طهران والرياض، لم تتوقف اذاعة بغداد عن ارسال الاشارات المحذرة الى كل من الكويت والسعودية لردعها عن التفاهم مع ايران او الاستجابة «للابتزاز الايراني» اذ الذين يستجيبون له اليوم سيمثلون هم هدفه التالي!، على حد تعبير الاذاعة[٨]

اسلاميا

مواقف رؤساء عدد من الدول الاسلامية من «احداث مكة» كما تعرضت لجانب منها صحف السعودية، تمحورت حول الاعراب عن القلق ازاء ممارسات اقحام الدين في السياسة، واتخاذ الحج منطلقاً لهذه الغاية فالرئيس التركي كنعان ايفرن اعتبر «ان المسيرات والمظاهرات خلال الحج امر مستنكر ومرفوض»[٩] اما الرئيس الاندونيسي سوهارتو[١٠] فأشار الى ان اعمالاً كهذه «تتنافى مع الاخلاق الاسلامية الحميدة». . ان اغلب هؤلاء الرؤساء اصحاب انظمة حكم علمانية، ولايتوقع منهم، سوى ردود الفعل المشار اليها، وهي لاتخلو عند نشرها غالباً من بعض اضافات الصحف السعودية [١١] انما بصدد الموقف التركي، اوضحت احدى شخصيات المعارضة التركية في الخارج [١٢]، ان الحجاج الاتراك اخضعوا قبل السماح بسفرهم الى الديار المقدسة لعملية غسيل مخ مركزة وبهدف الحؤول دون حضورهم في مسيرات الحجاج الايرانيين أو الاتصال بهم. . وبملاحظة ذلك يتبين لماذا اعرب الرئيس ايفرن عن رفضه لمبدأتنظيم المسيرات واللقاءات السياسية الكبرى في الحج ذلك ان الحكم في انقرة متضايق بلا حدود من نشاط الاسلاميين «المتطرفين» على أرضه وهو ماتتناقله الانباء والتقارير بأستمرار من داخل تركيا. ويكون عادياً بالنتيجة لوان هذا الحكم يجري كل عام اتصالات واشكالاً من التنسيق مع الرياض قبيل

مواسم الحج ويطالبها بتشديد اجراءات المراقبة على الوافدين الاتراك لأداء الفريضة. ويكون من العادي ان تتلقى اوساطاً علمانية تركية انباء المجزرة في الحرم الآمن بشيء من الارتياح غير المعلن.

دولياً و غربياً

اجمعت الكثير من المؤشرات والتحليلات السياسية وانباء التحركات الخاصة بحشد الاساطيل الاميركية الغربية في مياه الخليج، على ان الولايات المتحدة كانت تراقب عن كثب وعن سابق علم وتنسيق، الاستعدادات السعودية لقمع الحجاج من ايرانيين وعرب وغير عرب. وذهب المحللون والسياسيون الى ان السعودية ماكانت لتجرأ على قتل العدد الكبير من الحجاج بغير طلب وتعهد اميركيين بتقديم الدعم وبالمقابل فأن السعودية يهمها ان تبقى عند حسن ظن واشنطن.. ولنطلع معاً على بعض مايؤيد هذا الامر:

- أعلن في طهران غداة وصول السيد فاروق الشرع وزير الخارجية السوري اليها «معزياً» عقب الاعلان عن نبأ المجزرة، ان الاخير اعتبر لدى استقبال نظيره الدكتور ولايتي له «ان نصب الاعلام - على السفن الكويتية - وجلب الاساطيل الى الخليج، واحداث مكة المؤسفة هي محاولات من اميركا لتوجيه الضربة الى الجمهورية الاسلامية»[١٣].

- اوردت نشرة «اخبار اميركا وتقارير العالم»[١٤] مقالاً تحليلاً تعرض بالاسهاب لتفشي حالة من عدم الرضا لدى الامراء والوجهاء في السعودية، نتيجة ما وصفه كاتب المقال على لسان من التقاهم من الامراء، الانصياع غير المبرر الذي يبديه الملك فهد خلف الضغوط والرغبات التي تحمله اياه الادارة الاميركية، وخشية ان يثير مثل هذا حفيظه «الراديكاليين» المسلمين ونقمتهم على المصالح والشخصيات السعودية، في نقاط العالم المختلفة.

- أتسم موقف الادارة الاميركية من «أحداث مكة» بالتعبير عن الارتياح العميق ازاء «الاداء الرائع»[١٥] السعودي ازاء الحجاج الايرانيين ولأنها وجدت في النهاية من يأخذ لها «بالانتقام وبالغرامة من طهران لقاء أهانتها الولايات المتحدة»[١٦] والى جانب الارتياح، هناك الرغبة الاميركية في ان تبدو «الحكومة السعودية قادرة على التصدي لهذا النوع من التهديدات»[١٧]، وليس فقط «تظاهرات مكة» امام أعين الغرب والعالم.. وبأنتظار تصديها لتطورات لاحقة اخرى، ولكي تصل الى مرحلة لاتمانع فيها من منح واشنطن ماتطلبه من تسهيلات عسكرية فضلاً عن اعلانها. اذ صرح

مسؤول اميركي «طلب عدم ذكر اسمه» لوكالة الصحافة الفرنسية انه «سيكون امراً طيباً لو ان السعودية تفصح بنحو اكثر علانية عن الدور الذي تقوم به من اجلنا»[١٨]. . والاستجابة للرغبات الأميركية لن تتأتى بصورة عفوية، انما بوحي من الضغوط التي تمارسها ادارة البيت الأبيض لحمل السعودية على التورط المباشر والكبير في تدبير امر المجزرة. ولهذا السبب جاءت زيارة ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز الى العاصمة الاميركية وطالبتها بتعهدات اضافية، نقل اثرها عن مسؤولين حكوميين هناك، ان جورج بوش نائب الرئيس رونالد ريغن طمأن زائره السعودي بأن «الولايات المتحدة ستبقي على دورها في الخليج»[١٩].

ـ قالت وكالة يونايتدبرس الأميركية: «ان محللي الاستخبارات الأميركية باتوا يقبلون اتهام ايران للسعودية بأن قواتها تعمدت اطلاق النار على المتظاهرين من الحجاج الايرانيين»[٢٠] وبعد اسبوع على خبر الوكالة ذكرت صحيفة نيويورك تايمز: ان قوات الامن السعودية فتحت النيران أبان «الاضطرابات» التي وقعت في مكة المكرمة، يوم ٣١ تموز ١٩٨٧ وتسببت في سقوط ماينا هز الـ٤٠٠ قتيل بعد ان «قطع بعض المتظاهرين الايرانيين رأس رجل شرطة سعودي»[٢١] ونقلت نفس الصحيفة عن مسؤولين اميركيين أيضاً: «ان الانباء التي وردت عن قطع رأس رجل شرطة سعودي لم يؤكدها اي مصدر في أي بلد عربي وقد تكون في سياق حملة سعودية ترمي الى التشهير بأيران. . . وهنا يشار الى مانقلته الصحيفة او الوكالة (او ما اوردته وكالات عالمية ثانية عن لسان متحدثين امريكيين)[٢٢] لايمكنه ان يمثل بحال صحوة ضمير اميريكية ونوعا من التسليم المتأخر بالحقائق بل يعد المطلوب منه رهناً ابقاء السعوديين محشورين في زاوية الضغوط والاحراجات المعتادة، ليحافظوا على موقف بالغ العداء تجاه ايران او ليسقطوا من ايديهم المتبقي من التحفظات امام تلبية قائمة الطلبات الاميركية بتوفير التسهيلات اللازمة لأساطيل وقوات حلف الناتو في المنطقة الخليجية[٢٣].

هوامش

١) نقلت وكالة الجمهورية الاسلامية للانباء في ٨٧/٨/١٨ عن كروبي نفيه بأن يكون غادر السعودية طواعية كما تدعي مصادر الرياض.
٢) «السياسة» ، ٨٧/٨/٢٢ .
٣) عن وقائع مؤتمره في ٨٧/٨/٢٤ .
٤) «عكاظ» ، العدد «٧٧٠٥» ، ٨٧/٨/٨ .
٥) «السفير» ، ٨٧/٨/٢٠ .
٦) «الكفاح العربي» العدد «٤٧٣» ، ٨٧/٨/١٠ .
٧) راجع مضمون ما اعلن عن اجتماع الوزير سعود الفيصل مع نظيره الاردني طاهر المصري في العاصمة الاردنية بعد ان سلم الاول رسالة الملك فهد الى الملك حسين، وتتعلق «بالاحداث المؤسفة في مكة وباقي التطورات العربية». صحيفة «الجزيرة»، العدد «٥٤٣٢».
٨) الحديث السياسي لاذاعة بغداد ، مساء السبت ٨٨/١/١٦ .
٩) «الشرق الاوسط» السعودية، ٨٧/٨/٧.
١٠) نشرت الصحيفة السعودية نبأ أوردته وكالة الانباء السعودية «واس» من جاكارتا، ونصه:
«تسلم فخامة الرئيس الاندونيسي سوهارتو رسالة خطية من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز تتعلق بالاحداث الغوغائية التي قام بها في مكة المكرمة بعض حجاج ايران المدعومين من قبل النظام الايراني. وقام بتسليم الرسالة القائم باعمال سفارة المملكة.. وقد أعرب الرئيس الاندونيسي عن عميق أسفه لما اقترفته أيدي بعض الحجاج الايرانيين في مكة المكرمة اثناء موسم حج هذا العام، بتحريض من النظام الحاكم في طهران و أكد ان مثل هذه الاعمال الغوغائية تتنافى مع الاخلاق الاسلام الحميدة».. لنلاحظ التكرار المتعمد في نسبة «الاعمال الغوغائية» الى الحجاج الايرانيين ونسبتها كذلك الى «ان نظام في طهران هو المحرك الرئيسي لها». وهذه هي الاضافة المملة والمكررة التي لاتفارق كل مانقلته الصحف السعودية من اصداء وردود فعل حول المجزرة.
فتطالعنا صحيفة الشرق الاوسط (العدد ٣١٧٣) بانه «.. لاتزال الاوساط والدوائر الصحفية ووسائل الاعلام في مختلف دول العالم تتناقل انباء احداث الشغب والتخريب التي اقترفها النظام الايراني في مكة المكرمة عن طريق استغلاله لمجموعة من الحجاج الايرانيين». تلك هي الاضافة و«الدمغة» المميزة لكل تحليلات وتعليقات وعناوين صحف السعودية. والغريب هو تعمد الصاقها بمواقف رؤساء واطراف ذات علاقة جيدة مع طهران، فنقرأ في احدى الصحف: «ندد الرئيس الجزائري بالاعمال الغوغائية التي قام بها النظام الايراني من خلال مجموعة من الحجاج الايرانيين في مكة المكرمة، وقال ان هذا العمل لايجوز ان يحدث على الاطلاق!. هذا قليل مما لجأ اليه اعلام السعودية بقصد التضليل وطمس الحقائق عن رأي العام واسكات ايران وسلبها المقاومة بعد اتهامها بالمسؤولية كاملة.
١٢) رئيس تحرير صحيفة «كيهان» باللغة التركية، وقد شاهد بنفسه وقائع المجزرة في مكة واجرى اتصالات مع الوافدين الاتراك للحج.
١٣) وكالة الجمهورية الاسلامية للأنباء، «٨٧/٨/٥»
١٤) عدد منتصف كانون اول ١٩٨٧.
١٥) «السفير» البيروتية، العدد «٤٧٩٩».
١٦) راجع كتاب «نظرة على مجزرة الحرم» اصدار مؤسسة الحج والزيارة في الجمهورية الاسلامية.

١٧) تصريح ناطق الخارجية الاميركية، تشارلز ردمان، بعد ثلاثة ايام من المجزرة.
١٨) وكالة الصحافة الفرنسية، ٨٧/١٠/٢١.
١٩) نفس المصدر السابق.
٢٠) وكالة يونايتدبرس ٨٧/٨/٢٩.
٢١) اوضحت ذلك الصحيفة الاميركية في ٨٧/٩/٦ نقلاً عن معلومات حصلت عليها اجهزة المخابرات الاميركية العاملة في الاراضي السعودية.
٢٢) كان مسؤول اميركي قد اعرب لوكالة الصحافة الفرنسية واوردته في في نشرتها ليوم ٨٧/٩/٦ عن ثقته بأن «قوات الأمن السعودية أطلقت النار بالفعل على المتظاهرين على الرغم من تكذيبات الرياض».
٢٣) نشرت «السفير» البيروتية تقريرا اورده مراسلها من «ابو ظبي» بتاريخ ١٩٨٧/٩/١١، وذكر التقرير عن «مصادر خليجية مطلعة» اعتقادها بأن تعمد اجهزة الادارة الاميركية تسريب معلومات تؤيد صحة أطلاق القوات السعودية النار على الحجاج هو من قبيل «صفقة تريد واشنطن تمريرها على حساب دول عربية في الخليج وبالذات دول صغرى» ولأجل مواجهتها بموجة جديدة من الضغوط لكي تتخلى عن تحفظاتها ازاء منح القطع البحرية الاميركية تسهيلات حساسة على أراضيها.

التأزيم الدائم للعلاقات

اننا على استعداد لنذهب الى أي مدى في المواجهة مع الأيرانيين . . لايوجد حل وسط . . وليكن مايكون!

«مسؤول سعودي»
الوكالات

تفاقم الازمة في العلاقات ـ الايرانية السعودية لم يكن بالحدث الطارئ، للمتتبعين لمنحني سير العلاقات، لاسيما منذ اعلان الجمهورية الاسلامية في ايران.

وعليه، فالازمة لن تمثل في حال «ردة فعل» خاصة على أمر المجزرة. . اذ افتعال هذه القضية وامكانية التنبؤ بها، بحدود معينة، ينفيان عنها ذلك، مضافاً الى النتائج المكشوفة التي تلتها.

ويمكن الاستناد الى العوامل المساعدة التي دخلت في جو الأزمة، وعقدتها، بأسلوب مدروس للتحقق من ذلك أيضاً.

الحساسيات والاحقاد مثلاً، المصالح الجشعة، سياسة ضخ المخاوف ومصادرة أي أمل في تحسن العلاقات، رغبة السعودية نفسها، في التميز بادوار خاصة. . وعوامل مساعدة اخرى، شكلت حافزاً رئيسياً، من حوافز تدبير المجزرة وهذه العوامل هي جزء من كل. . جزء من مخطط الضغط الأميركي والغربي والعالمي لابقاء العلاقات معرضة لخطر التأزيم الدائم (والذي تكلل بقرار السعودية في قطع العلاقات من جانب واحد). .

ان الاقدام على المجزرة، وتوتير العلاقات مع سبق الاصرار. . هما جزء من سلسلة التصعيد بوجه الجمهورية الاسلامية، وهما جزء من هجمة جديدة، أختلط الاعداد لها بين أحكام الاتصالات والتنسيقات بين اطراف عدة. . وبين الجهل وعدم الالمام الكافي بما عليه ايران الان وما قد تكون عليه غدا.

انها هجمة تضم نقائض عديدة، ليس أولها تصور أن بالأمكان افتعال المجزرة والسماح بتردي العلاقات مع ايران وكتمان اسبابها بسهولة. ولن يكون اخرها، التصور

المبهم، والخالي ممايبرره ويؤيده، بأن بالامكان تبريد حرارة الموقف، ونسيان الماضي القريب بمحض الموافقة على مهام «الوساطة» والتهدئة «المكوكية»بين طهران والرياض. انما النقائض على تعددها وتعريهاكل يوم، تكاد تتفق حول امرواحد.. فتكاد تتحد حول واقع: ان هبوط العلاقات الى مستويات دنيا ـ ثم قطعها ـ لم يمثل محض «ردود فعل منطقية! على تمسك الايرانيين بالاستغلال السياسي للحج، لصالحهم».. كما يشيعون.

ولنر كيف نسوق الاثباتات على ذلك كله، بلغة الارقام والحقائق المعلنة، لابلغه الدس والتحريف التي تشف عنها الاقلام المتشنجة الخائفة من انكشاف امرها وتبدد احلامها.

هل التصعيد.. حدث طارئ؟

كيف يخطئ من يعتقد ان التصعيد في العلاقات يعد أمراً طارئاً.. كان بوسع الجمهورية الاسلامية تلافيه، والممانعة من بلوغ ذروته بعد المجزرة؟

تجيب على هذا السؤال المراجعة المتأنية والموضوعية للمواقف الصادرة من الرياض. وهي قد تبدو انفعالية وعابرة على السطح، لكنها تستبطن حالة أخرى ذات مغزي معين. ولنبدأمن السابق، اي قبل تاريخ وقوع المجزرة بكثير. لنأخذ مثلاً اعلان «الجهاد المقدس» ضد ايران! من راديو الرياض وعلى لسان فهد بن عبد العزيز شخصياً، حيث ذكر الراديو:[1] «لقد تمزقت كل الاقنعة عن وجوه ولحى آيات الله في طهران الذين هم حلفاء مع اسرائيل (..!) ان المسلمين في كل مكان مدعوون الآن للقيام بواجبهم ضد هذه الطغمة التي هي أخطر على الاسلام من اعداء الاسلام!!»

ان هذا الموقف من الرياض (تزامناً مع عمليات تحرير خرمشهر الايرانية من سيطرة القوات العراقية في ٨٧/٥/٢٥) ربما أرجعه بعض المراقبين كعادتهم الى «الحالة النفسية الصعبة» التي يواجهها حكام الخليج وهم يرصدون وقتذاك وعن كثب التقدم الفائق للقوات الاسلامية.

لكن نفس المراقبين أو غيرهم ايضاً أضطروا فيما بعد وتحت ضغط الواقع الى التعبير الواضح بعض الشئ عن ان مواقف الرياض تجاه الحرب وسواها تتخطى في الغالب حالات الانفعال الى التكتيك المنحاز بأستمرار لغير صالح الجمهورية الاسلامية.

ومثال آخر.. فالذي راقب وتابع المسعى الذي قامت به الرياض وتحفيزاً

على تبنى موقف عدائي شامل، عربي وخليجي، وكما شهدنا ماجرى خلال قمة عمان في تشرين ثاني ٨٧، هذه القمة التي رفع البعض فيها لافته تقول ان «الخطر الايراني بات يفوق الخطر الاسرائيلي»!.. فمن تابع ذلك كله هل يصح ان يدرجه في خانة الانفعال والمواقف النابعة من «الاصرار الايراني.. على تنظيم المسيرات في الحج» ويتناسى التكتيك المعادي الذي يميز السياسة السعودية حيال كل ماهو اسلامي ومحسوب على ايران.. وبينما من الانسب ان يكون حياديا ويري بعين المنطق، ان جل المطالبات والمساعي التي بدأت بالظهور مباشرة بعد المجزرة انما نجمت عن التنسيق والتحضير السابقين بين اطراف دولية ومحلية، وفي اطار مخطط مواجهة جدية مع ايران.

ان المرء لاتعوزه النماذج والبراهين الدالة على وجوب عدم تقييم ما افرزته الايام التوالي للمجزرة واستهدف العلاقات مع طهران على انه يمثل اضطراراً سعوديا للتشدد في بعض المواقف.. وكفى.

دعوة مستهلكة الى قطع العلاقات

فعندما نلمس ان هذا التشدد مصطنع في الاساس، وان لاجديد فيه، يكون سهلاً استخلاص ان ماطرأ على نظرة السعوديين للعلاقات هو أمر يتنافى مع منطق الافعال.

وذلك في ضوء مقارنة بسيطة نجريها بين المواقف السعودية الفعلية، ونماذجها السابقة القريبة الشبه منها والتي تكاد تتطابق معها.

والمقارنة ستدلنا على ان مانسب الى السعودية من المطالبة بتدارس قطع العلاقات مع الجمهورية الاسلامية خلال مناسبات معينة هو من القدم بحيث يسلب من الجميع امكانية الاعتقاد بأن مطالبات كهذه تمثل سلوكاً اضطرارياً املته ظروف المجزرة وملحقاتها. فالملاحظ ان تاريخ هذه المطالبات يمتد الى كل فترة تنشط خلالها التحركات السياسية المضادة لايران على المستوى المحلي أو الدولي وسيما عندما يتبلور الشعور بأن الايرانيين باتوا اقوياء وبوسعهم في فترات معينة تدشين انماط حديثة من الحسم في الحرب التي يخوضونها.. وما تلى المجزرة يمكن النظر اليه كامتداد لتلك التحركات المحمومة التي يتصدي لها مسؤولون خليجيون، مطالبين من وقت لاخر باخضاع امر العلاقات مع ايران الى مراجعة جديدة.. وعدم اغفال ثقل مصر

القومي . . او بذل جهود اضافية للمصالحة السورية العراقية، وهكذا.

وفي نفس السياق يذكر انه عقب فك الحصار العراقي عن آبادان في ٢٧/ايلول/٨١ وتحرير مدينة بستان في عمليات طريق القدس بتاريخ ١٩٨٧/١١/٢٩ تصاعدت حمى التصريحات الخليجية ضد الجمهورية الاسلامية وعاد الحديث عن «أن ايران تنوي تخريب البيت الخليجي»!

وخلال تلك الفترة طالعتنا صحيفة عكاظ السعودية[٢] بأن هناك اتجاها لدى دول الخليج لقطع العلاقات مع ايران بصورة جماعية . . والنزوع الى قطع العلاقات هو بسبب مبادرة طرحتها بغداد على دول الخليج في اعقاب اكتشاف «محاولة انقلابية» فاشلة في ايران.[٣]

كما أنه بعد عمليات الفتح المبين بتاريخ ٢٢ آذار ٨٢ في منطقتي شوش ودزفول الايرانيتين بادرت دول مجلس التعاون بالتوسط لانهاء الخلاف السوري العراقي رغبة منها بأن يباعد ذلك بين دمشق وطهران ويؤثر سلبياً على قدرات الاخيرة في مواصلة الحرب. ولعل من بين ما افرزته عمليات بيت المقدس مطالبة الدول الخليجية بعودة مصر الى الصف العربي. فقد قال عبد العزيز حسين وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الكويتي وقتذاك: ان هذه الخطوة يجري التشاور في شأنها مع الاشقاء في مجلس التعاون الخليجي[٤].

التنبؤ المسبق بتأزيم العلاقات

يمكننا، من نماذج الأمثلة السابقة، التأكد بأن الاندفاعة السعودية نحو زيادة المطالبة بأعادة النظر في العلاقات مع ايران، وفي وقت لم تجف فيه بعد دماء الحجاج الايرانيين في مكة، هي حالة لايجوز فصلها عن اجواء الماضي ودلالاته، بل تعد تكراراً لمكررات سابقة . .

وكان من المفروض التنبؤ بواسطتها بأن السعودية ستلجأ ـ اثناء موسم الحج ـ الى سلوك مماثل لاندفاعاتها تلك في ظل سحب الازمة القائمة التي غطت سماء الخليج مع وصول الدفعة الاولى الاضافية من سفن الاسطول الاميركي والغربي بحجة توفير الحماية لسفن الشحن الكويتية ومراقبة الملاحة وما حدا بايران خاصة لان ترفع كثيراً من مستوى استعدادها الداخلي وحجم التعبئة العسكرية لديها تحسباً للطوارئ المرتقبة.

اذ مع دنو موسم الحج ايضاً كانت الاجواء تشير نسبياً الى ان السعودية ستزيد

من عراقيلها بوجه الحجاج الايرانيين في هذا الموسم وانها قد لاتمانع من توتير العلاقات بشدة تبعاً لذلك، سيما وان مسؤولين ايرانيين صرحوا من جانبهم(*) بأن تأكيدات بهذا الخصوص كانت قد وردتهم سلفاً عبر اطراف اسلامية وعربية.

ومهما يكن فاجواء الماضي ـ ونتائج الحاضر ـ كلها اسهمت في تأكيد ان ماطرأ على التعامل السعودي مع العلاقات كان مقدوراً التنبؤ به ولو بحدود معينة.. وبصرف النظر عن ان هذا التنبؤ كان سيؤثر أو سيفيد في منع ماحصل.. أم لا؟

النتائج.. ماذا تعكس؟

أجواء التازم التي افرزتها المجزرة والنتائج التي تلتها كانت محسوبة وبالامكان توقعها اذن.. وكان مقرراً على ما يبدو أن تجري التغطية عليها وعلى كل مالحق بها الا بالقدر الذي يسمح بتمرير أهداف خاصة.. وأحد أهم تلك الاهداف، هو العمل على تبرير أي تغيير يطرأ على العلاقات مع ايران ثم تبرير الخطوات التي ستتخذ لاحقاً على صعيد المنطقة والموقف الشامل من الثورة الاسلامية وانعكاساتها وفي اطار مخطط معد سلفاً.

ومحاولة بلوغ غاية كهذه، لم تكن مستطاعة الامن خلال العمل على تحقق أمرين معاً.. فالى جانب تكثيف استخدام كل الوسائل المتاحة بيد السعوديين اعلامياً ودبلوماسياً وسياسياً، وحتى طلب العون من الخارج، من أجل التعتيم على فداحة المجزرة التي وقعت في مكة وعلى مرأى العدد الكبير جداً من الحجيج من مختلف الجنسيات..

فلقد تحركت السعودية بكل قواها وامكاناتها وبالتنسيق المباشر مع حلفائها العرب وغيرهم سعيا وراء جلب تأييد الحكومات الاسلامية والعربية (اذا لم يكن هذا التأييد جاهزا من قبل بحكم الاطلاع المسبق للكثير من الحكومات على ما تشهده مكة المكرمة).. ولهذا الامر فلقد جندت وسائل الاعلام المختلفة نفسها للحديث عن لزوم «ادانة» ايران والوقوف الى جانب «المملكة» بدعوى انها «عرفت كيف تتصرف بحزم امام حوادث مكة المؤسفة» وانها «قادرة بالفعل على التصدي لممارسات التخريب.. والارهاب.. والعدوان الايراني! على السلام»..

وهناك نماذج صريحة ومختلفة حول تهكمات وافتراءات الصحف السعودية خاصة في هذا الصدد..

ولكن قبل ان نتوقف عند بعض منها، نلفت الانتباه الى ان الرياض قامت من خلالها[٦] بالتدرج في الكشف ولو بنحو غير مباشر عن نياتها الرسمية في مواجهة الجمهورية الاسلامية بنمط خاص من الحملات الدعائية والدبلوماسية التي من طبيعتها ان تنسحب سلبا على العلاقات الايرانية ـ السعودية.

فمثلا نشرت صحيفة الجزيرة السعودية[٧] مقالا «المواطن سعودي» بعنوان «انهم يستحقون القتل» جاء فيه «ان الحجاج الايرانيين، جاؤوا ليقتلوا وينشروا الدمار والخراب.. لكن الله رد كيدهم الى نحورهم!! وذلك بفضل منه ثم بفضل سياسة حكومتنا الرشيدة القوية ثم بجنود امننا البواسل الذين استطاعوا احتواء الفتنة بكل حكمة..» وبعد ذلك يضيف صاحب المقال ان «املنا كبير في ان تعود ايران الى رشدها ويعود حكامها عما هم فيه من المنازعات الخارجية» ونستشف من اسلوب المقال المذكور، ان السعودية وخلال الايام الاولى التي اعقبت مهاجمتها للحجاج ظلت محافظة نسبيا على سياستها الدبلوماسية المنافقة، حيال ايران ومخاطبتها احيانا بلهجة «متزنة» والاعراب امامها عن الامل في ان توقف نزاعاتها الخارجية، في حين صار معروفا للكل، مدى دور السعوديين في خلق وتغذية هذه النزاعات. ولكن مع الاخفاق الذي واجهته السعودية في استثمار سياستها المذكورة لتضييق الحصار الدبلوماسي حول الجمهوريةالاسلاميةفهي قررت على مايبدو التخلي تدريجيا عن هذا الاسلوب السياسي المنافق.. واعتماد خطط اشد تعسفا وقمعا ازاء الحجاج الايرانيين ثم محاولة تحميل غيرها مسؤولية هجماتها الدبلوماسية والاعلامية المستجدة والمتلاحقة.

وابتداء اعطت السعودية الأشارة لصحفها لتوالي شن تلك الهجمات بقصد التشهير والطعن في جملة المواقف التي تخص الجمهورية الاسلامية محليا وعالميا. فمن بين مانشرته صحيفة عكاظ[٨] لجأت الى شن هجوم سافر على «اسلام طهران المقنع» و حاولت التشكيك في صحة «الشعارات التي لقنها حكام ايران للحرس الثوري المندس.. بين صفوف الحجاج»[٩] من مثل عداء ايران لاميركا.. ثم اثارت الصحيفة تساؤلات مغرضة من قبيل «من الذي لوث ارض لبنان بالتآمرات واشعال الفتن مجددا؟!» في اشارة مبطنة الى الجمهورية الاسلامية، وانتهت الى القول بان «العالم الاسلامي مطالب اليوم بوقفة حازمة.. الوقت قد حان ولم يعد هناك مجال للانتظار.. فليفكر العالم الاسلامي جديا» في اتخاذ موقف معارض وجاد من ايران.

وكخطوات لاحقة اصبحنا نقرأ في الصحف كلاماً يحذر من النظر الى «احداث مكة» كونها قضية تخص «المملكة» وحدها ويدعو.. او لنقل يعطي الضوء لاجل الشروع في انتهاز «الفرص» التي اتاحتها المجزرة لنبذ سياسات «التردد وعدم الحسم

والبت السريع» امام ايران . . وامام ثورتها الاسلامية التي «طرأت دون مقدمات على الساحة السياسة العربية والاسلامية ولم يصرف لها ماهي قمينة (جديرة) به من عناية . . رغم خطورتها!» ومن اغرب ماحواه مقال بهذا الصدد في صحيفة عكاظ بقلم احد كتابها (عبدالقادر الادريسي) قوله وبالحرف . . ان «الفرص» التي خلفتها المجزرة لايجب استغلالها واستهلاكها «لحل هذه المعضلة ومواجهة هذه المؤامرة ـ في مكة!ـ فحسب وانما لمعالجة الكثير من الامور المتعثرة بما في ذلك حرب الخليج وبما في ذلك، ولم لا؟!، مسألة عقد مؤتمر القمة العربي المؤجل منذ سنة ١٩٨٣».

ان هذا المقال بدا في حينه وكأنه «ورقة عمل» غير رسمية مقترحة من جانب السعودية للعودة الى سياسة تشكيل الاحلاف الاقليمية و «العربية» في مواجهة خطر مزعوم . . هو الجمهورية الاسلامية في ايران . . وبديهي ان مثل هذا الاقتراح يضاعف من الشكوك الموجودة ازاء صحة الموقف الرسمي القائل بان «المملكة لم تدخر جهدا في سبيل لم شمل المسلمين وتحسين علاقتها بايران اما القيادة الايرانية فقد قابلت كل ذلك بالجحود والنكران»! كما ورد على لسان السفير السعودي بندر بن عبدالعزيز[١٠] على سبيل المثال لا الحصر . .

توثيق رسمي . . لافتعال الازمة

بخصوص الموقف الرسمي ، فقد شهد من جانبه تصعيدا على مراحل ، بموازاة ماطرأ على الموقف الاعلامي . الذي هو دائما الظل لرغبات الحكومة وسياساتها . ولما اكتنف هذا الموقف الرسمي من ايران من تشدد وتصعيد منظمين فسيعد سندا آخر على ان أزمة العلاقات بين الجانبين مفتعلة . بدليل انها تتأثر حتماً بالموقف السعودي الذي يرمي لبلوغ غايات محددة ، ليست في صالح الجمهورية الاسلامية .

ولقد مر هذا الموقف بثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : بدأت مع صدور اول بيان لوزارة الداخلية حول وقائع المجزرة وتعرض البيان بالتحديد الى «ان السلطات السعودية تمنع الحجاج الايرانيين من القيام باي تجمعات أو مسيرات . . وتنذر المخالفين بأشد العقوبات» صدر هذا البيان بعد ٢٤ ساعة من ارتكاب المجزرة اي عصر السبت ٨٧/٨/١ . وتلاه اكثر من اعلان رسمي ينم عن ابراز التهديد باستخدام القوة وعدم الرحمة مع الذين يخالفون القوانين

السعودية والامنية الخاصة، وقد وردت اعلانات مشابهة عقب الاجتماعات المتجددة لمجلس الوزراء وفي تصريحات كبار المسؤولين وممثليهم الدبلوماسيين في الخارج. . الا ان التلويح بالقوة قرن على طول الخط بالتظاهر بالرغبة في اتباع سياسة اللين والتسامح وعدم توتير الموقف بشدة مع ايران، ومن ذلك مثلاً:

- في خطابيهما السنويين الى المحتفين بعيد الاضحى، والذي نشرت الصحف مقاطع منهما، تعهد كل من الملك فهد وولي عهده «بالدفاع عن المقدسات بكل السبل» والى جانب ذلك نسب اليهما القول: «نسعى ما استطعنا الى التوفيق والاصلاح»[11] مع الآخرين.

- ومن تصريحات قالها وزير الدفاع و الطيران، الشخص الثالث في السعودية سلطان بن عبدالعزيز[12] جاء: «ان قواتنا. . هي قوة سلام وامن. . لمن طلب. . اما ماعدا ذلك فهي قوة ردع لمن حاول ان يخدش سيادة المملكة».

- ومما اعلنه السفير بندر في موتمره الصحفي بمقر السفارة السعودية في واشنطن بعد مضي سبعة ايام على المجزرة: ان «المملكة دولة قوية برجالها ومقدراتها. . واكبر الاخطاء التي يرتكبها البعض هو التقليل من شأن المملكة» ثم تطرق ايضا للاعلان بان «المملكة لاترغب في الدخول في مهاترات او حروب او تصعيد مع أي دولة عربية أو مسلمة. .» والغرض من التظاهر بهذه السياسة المزدوجة في اطار الموقف الرسمي (الاعراب عن القوة الى جانب الرغبة في اللين) هو علاوة على التسبب في احراج كبير للجمهورية الاسلامية فكان المطلوب اخضاعها للأمر الواقع ومحاولة ابتزازها سياسيا بعدئذ وفي قضايا عدة. . وبتنسيق متزامن ودقيق - كما سيأتي الكلام عن هذه النقطة - مع سياسة الترهيب والترغيب الاميركية حيال ايران في الخليج.

ولهذا يمكن القول ان السفير بندر بن عبدالعزيز باعتباره حلقة الربط الاميركية السعودية بشأن ماحدث في مكة، كان افصح من سواه عندما ذهب الى حد القول بان «. . الكرة حاليا في الملعب الايراني فاذا ارادت ايران تحسين الوضع فنحن مستعدون، اما اذا ارادت تصعيد الوضع، ونامل الا يكون هذا ردهم، فعندها سيكون لكل حادث حديث» ويشار الى ان السفير اعلن ذلك انطلاقا من علمه بقيام عاصمة عربية بالتوسط منذ ذلك الحين بين طهران و الرياض[13]. وحيث كانت الحكومة السعودية تأمل ان تبدر من الجمهورية الاسلامية ادنى استجابة لتسجل الدوائر العالمية والاميركية بهذا نقطة ضعف كبرى على الايرانيين وتتوسع في استغلال الامر الناجم لمنح الدور السعودي الجديد في المنطقة زخما اضافيا على حساب سمعة ايران ومصداقيتها.

المرحلة الثانية: جسدها التحرك الدبلوماسي المكثف بقصد كسب اكبر نسبة تأييد عربي ودولي للموقف السعودي من ايران. فالمسؤولون السعوديون كانوا على علم واضح بان الجمهورية الاسلامية لن تفرط بنظرتها المبدئية حول وجوب احراج الحج من هيمنة اي طرف عربي أو اقليمي، وابقاء شعائره حرة من اية قيود.

الى ذلك فقد انتقلوا بسرعة لتدشين المرحلة الثانية من تحركهم السياسي، حيث وجه في البداية، وزير الاعلام السعودي على الشاعر، عقب جلسة «طارئة» لمجلس الوزراء ترأسها الملك فهد، بيانا تضمن «دعوة زعماء المسلمين لشجب ممارسات الايرانيين»[14].

وكما هو متوقع فقد بادرت الجهات العربية والاجنبية المرتبطة بمحور السياسة السعودية في المنطقة الى الاعراب عن تأييدها للرياض. من بين تلك الجهات مصر والمغرب والاردن وعدد من الدول الخليجية الصغيرة. فلقد طالبت صحيفة «الجمهورية» القاهرية زعماء العالم الاسلامي «باتخاذ خطوات ايجابية لعقد قمة اسلامية لمناقشة الاعمال التخريبية.. من قبل حكام ايران»[15]. ودعت صحيفة رسالة الامة المغربية المقربة من الحكومة الى «موقف عربي موحد من تعنت ايران»[16].

وبسبب عدد من مواقف التأييد التي بلغت من جهات رسمية ورد ذكرها، فقد رأى محللون غربيون وعالميون في هذا الامر بمثابة «نجاح نسبي حققه السعوديون في اقناع اخوانهم العرب ليحذوا حذوهم». وبمثابة «نوع من التحول الكلي» في السياسة السعودية «التي عرفت فيما قبل بشيء من الهدوء والحذر» حيال ايران. ولم يتطرق اغلب هؤلاء المحللين الى الاسباب التي شجعت على هذا التبدل الظاهري في السياسة السعودية سوى محاولة ربطها بعجلة ردود الفعل على «احداث مكة». ايضا لم يبرز هؤلاء رأيهم في ما اذا كان شيء من الاجماع العربي الملحوظ حول موقف السعودية سيحافظ على دوامه أم سيتلاشى امام اصرار الجمهورية الاسلامية في المقابل على سياساتها المعلنة والمستقرة.

وعلى اي حال كانت آراء المحللين ومهما بلغت بالنتيجة، ردود الفعل العربية والدولية فيبدو ان السعودية ترى نفسها مكلفة دوما بتصنع الارتياح امام ماحصل، فلطالما اعادت وكالة الانباء السعودية الاشارة في نشراتها الاخبارية الى ماتسمية «التضامن الكامل»[17] الذي اظهره العالم الاسلامي لصالح «المملكة» على اثر «الاحداث» الدامية في مكة. كما نسب غير مرة الى وزير الاعلام السعودي على الشاعر اعرابه عن «الارتياح» البالغ لمابدر من حكومته من تحرك اعلامي ودبلوماسي، وما أحرزه «الجانب التخطيطي» فيه من نتائج، لعل من ضمنها «ان الغوغائية

الايرانية . . قد منيت بخسران مبين! وعلى كل المستويات!»[٢٠] على حد اعتقاده.

المرحلة الثالثة: شعار هذه المرحلة كما لوحت به السعودية هو «توظيف كل الطاقات من اجل عزل ايران سياسيا». وقد مثل الاجتماع الطارئ لمجلس الجامعة العربية في تونس، آب ٨٧، محطة البداية الرئيسية المعلنة لهذه المرحلة اذ تميز هذا الاجتماع، عن غيره من الاجتماعات السابقة، ببذل جهود استثنائية لاعطاء، مواقف التأييد العربي الرسمي للرياض بخصوص الحج، الصفة الجماعية. . وبعبارة ثانية، تميز الاجتماع، بشيء من التركيز على اعادة استثمار مواقف التأييد الرسمي للرياض، بسبب ثقلها المادي على الساحة العربية، و «ببركة» موضوع الحج، لكي تستكمل استعدادها لمرحلة جديدة من العلاقات غير العادية، ومن المواجهة مع الجمهورية الاسلامية.

ولكن لنرَ قبل الخوض في الكلام عن هذه المرحلة، هل ان علاماتها وبوادرها الاولى طرحت نفسها مؤخرا فقط ام انها بكرت في الظهور، خلال مراحل سابقة، ولربما هي تعود زمنيا، حتى الى الاسبوع الاول الذي أعقب المجزرة؟

وللاجابة، لنراجع ونتفحص بعض مانشرته الصحف السعودية في غضون الايام القلائل التي تلت المجزرة الدموية:

من عناوين صحيفة الجزيرة (١٣/ ٨/ ٨٧)

* ما قام به النظام الايراني في مكة يتجاوز مجرد التحرشات والمصادمات.
* المخطط الايراني يستهدف كل المدن المركزية والعواصم العربية والاسلامية.

من عناوين «الجزيرة» (١٥/ ٨/ ٨٧):

* لقد انحرف حكام طهران عن احكام الشريعة الاسلامية.

من عناوين «عكاظ» (٦/ ٨/ ٨٧):

* المملكة تتشرف بان تكون قدوة المسلمين في كافة اصقاع العالم.

من عناوين «عكاظ» (٨/ ٨/ ٨٧):

* يجب مواجهة هذا المد الايراني الارهابي عربيا واسلاميا.

من عناوين «عكاظ» (١٠/ ٨/ ٨٧) نقلا عن «الواشنطن بوست»:

* المملكة اعطت تأكيداً جديدا و مهما على استقرارها.

من عناوين «الرياض» (١٦/ ٨/ ٨٧) نقلا عن ولي العهد الكويتي سعد العبدالله

* الحملات الاعلامية الايرانية ضد دول الخليج غير مقلقة.

من حديث السفير السعودي بواشنطن في مؤتمر صحفي عقد بتاريخ ٨٧/٨/٧، اخترنا هذه الفقرات (كما نشرتها الصحف في اليوم التالي):

* المملكة دولة قوية.
* رد فعل الازهر، ورد فعل القيادات ـ على ايران ـ حسم موضوع القمة.. اسلاميا.
* المملكة ترحب بعقد القمة العربية.
* كيف نتوقع خيرا من اناس يزورهم الاسرائيليون في بلادهم ـ ايران!ـ ويتظاهرون في بلادنا ضد الصهيونية.
* اعتقد ان تحسين العلاقات العربية ـ العربية أمر واجب.. والعلاقات المصرية ـ السعودية لاتمثل مشكلة الا في اذهان الصحافة.
* لاتزال ـ السعودية ـ تصر على اهمية وقف اطلاق النار (بين العراق وايران).
* ما حدث في مكة ليس اسلوبا للخروج من العزلة ـ عزلة ايران!ـ وانما لتثبيتها بشكل اقوى واوسع.

هذا هو بعض ما طالعتنا به الصحف و تناوله المسؤولون السعوديون بالحديث. وهو ماسيعيننا على الاستعراض الموجز لطبيعة التكليف المناط بالسعودية انجازه في المرحلة الحالية امام ايران. فهذا التكليف بات يقتضي.

١ ـ توظيف المجزرة و ردود الفعل عليها لاحداث هزة كبرى في نفوس المسلمين والعرب لغير صالح ايران.

٢ ـ دخول السعودية في اختبار قوة جديد تمهيداً لاعادة ترتيب الاوضاع العربية بزعامتها.

٣ ـ اضطلاعها بتشكيل محاور ضغط عديدة على الثورة الاسلامية وحركة الصحوة الاسلامية في المنطقة.

٤ ـ دفاعها من اجل ترسيخ اسس المشروع الاميركي ـ الاسرائيلي ومن خلال مايعرف بعملية السلام.

٥ ـ تقاسمها دور «شرطي الخليج» مع مصر في حال فشل اطروحة التدخل الاميركي الغربي المباشر.

ان نقاط التكليف الخمس، هي التي تسعى السعودية الى مطابقة تحركاتها واتصالاتها المستمرة معها. وبحيث حفز ذلك احد الصحفيين البارزين العرب لان يطلق على المرحلة الحالية، التي نجتازها الآن اسم مرحلة «الحرب السعودية ـ الايرانية»[٢١]. كما ان كتابا ومحللين غربيين ممن تناولوا هذه المرحلة بالفحص والتدقيق عبروا عن رأيهم بان آفاق المواجهة السعودية ـ الايرانية ستوالي تمددها واتساعها و «ان السعوديين يحملون في ايديهم ورقتين قويتين في مواجهة ايران، الاولى تتمثل بالتفوق اللوجستيكي، والثانية في احتياطي هائل في الغرب من المال والدعم السياسي»[٢٢]،

كما جاء في تعليق لـ«التايمز» اللندنية.

ولما تحقق منه الكتاب العرب والأجانب، يمكننا الاستنتاج بان المرحلة الفعلية من «المواجهة الدبلوماسية».. بدأت مؤشراتها بالظهور منذ البدايات الخاصة بالمجزرة، او لنقل منذ البدايات التي رافقت الاعداد والتمهيد لها..

وبنتيجة الامر، فان الاقوال التي تعزو أزمة العلاقات المتفاقمة بين الجانبين الايراني والسعودي الى ماعلق بها من ردود فعل متأخرة.. ليس لها نصيب من الصحة.

وليس صحيحا ما يتردد من ان المسؤولين في الرياض لم يفرطوا بأسلوب «الحوار» والتحرك على طريق «اقامة علاقات طيبة»[٢٣] مع طهران، الا ان ماحصل في مكة المكرمة قد ابعدهم عن هذا الاسلوب.

فالنهج السعودي «المتشدد» ليس طارئا بحال وبات يستهدف تحقيق غايات معينة ومعروفة. لكن من باب التغطية على هذا النهج نسمع احيانا من مسؤولين سعوديين كلاما يقول: «اذا ارادت ايران تحسين الوضع فنحن مستعدون، اما اذا ارادت تصعيد الوضع فعندها سيكون لكل حادث حديث[٢٤]».

وكلام كهذا، علاوة على المراد به من تحميل ايران المسؤولية والاحراج الناجمين عن تخلخل العلاقات الى مستوى خطير قد لايعوض. فهو انما تضمن شيئا من التلويح بالقوة، لترويج الانطباع بان التغييرات المحسوبة في السياسة المحلية لـ«المملكة» بما فيها الموقف من ايران، هي سبب «السخط السعودي» من جراء «احداث مكة».

الى اين تسير العلاقات ؟

اوضحنا، بان السياسة التأزيمية السعودية، مرت وفقا لمخطط معين، عبر ثلاث مراحل.. الاولى هي مايتعلق بافتعال المجزرة وأثارة ردود الفعل عليها. والثانية محاولة دفع موجة ردود الفعل باتجاه معين وتقويتها عبر التنادي الى «ادانة» ايران. اما الثالثة والتي نوالي تفصيلها هنا، فتتعلق بمرحلة تثبيت ردود الفعل الناشئة وتكريسها في اعادة ترتيب عملية المواجهة ككل مع الجمهورية الاسلامية والصحوة الاسلامية المتفرعة منها.

وقلنا ان انعقاد الاجتماع «الطارئ» لمجلس الجامعة العربية لتدارس انعكاسات مجزرة مكة والموقف من ايران، حسبما تطالب به السعودية انما شكل بوابة المرحلة الثالثة

وبدايتها العلنية . .

في ذلك الاجتماع، تردد كثيرا بأن الوفد السعودي الذي مثله سعود الفيصل وزير الخارجية قد الح على طلب تدارس امكانية قطع العلاقات العربية مجتمعة مع الجمهورية الاسلامية، الا ان الوزير عاد عن طلبه، لما احس باستحالة تنفيذه او عندما أحسّ بانه استوفى اغراضه منه من خلال أمرين جسدهما الاجتماع وانبثقا عنه:

اولا: وفر الاجتماع على السعودية عناء الكثير من التحرك لتوجيه اصابع الاتهام في «احداث مكة» الى ايران ثم «تأكيد التضامن مع المملكة . . والتأييد التام للاجراءات التي تتخذها» في مواسم الحج، كما هو مدون في البيان الختامي الذي أسفر عنه.

ثانيا: شكل الاجتماع منطلقا هاما، انما ليس الاول من نوعه، لأنتئام القمة العربية «غير العادية» في عمان . . لماذا لايعد المنطلق الاول؟ لأن هناك دعوات متكررة سبقته، وتحث على عقد قمة اسلامية، لكنها في الاصل ظلت تمهد لانجاح مشروع القمة العربية.

ولذلك من الضروري البدء في توضيح الهدف الحقيقي وراء اثارة موضوع القمة الاسلامية قبل الاسترسال في الحديث عن أي موضوع آخر.

اقتراح «القمة الاسلامية» لصالح «القمة العربية»!

تعد مصر هي اول من اقترح عقد مثل هذه القمة عندما قطع تلفزيون القاهرة يوم الاحد ٨٧/٨/٢ برامجه لبث بيان رئاسة الجمهورية بهذا الصدد. وقد اهاب البيان بمنظمة المؤتمر الاسلامي ان تدعو الى مؤتمر «قمة طارئ» وعاجل للنظر في «واقعة مكة الخطيرة واحتواء النتائج» ومن جانبه اصدر شيخ الازهر بيانا مشابها في نفس اليوم حمل فيه الجمهورية الاسلامية في ايران مسؤولية «احداث مكة» ودعا قادة الدول الاسلامية الى «اتخاذ موقف حازم حيال هذه الاحداث والقيام بواجبهم».

وبعد مصر، سارعت المغرب الى اعلان تبني نفس الاقتراح. وظلت تدافع عنه لفترة، اجتمع خلالها رئيس الوزراء المغربي برؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدين وسلمهم رسالة من الملك الحسن[٢٥] الى قادة بلدانهم بصدد التشاور حول موضوع القمة وقد اذيع في الرباط يوم ٨٧/١٠/٩ نص الرسالة التي ذكرت «ان المسجد الاقصى احرق في عام ١٩٦٩ فثار العالم الاسلامي واجتمع المسؤولون من الاقطار الاسلامية لمواجهة ذلك التحدي(. .) واضعف الايمان ان يكون لنا الموقف نفسه الآن» للبحث في «ا لاحداث الدامية» التي شهدتها مكة المكرمة.

ومن فحوى بيان رئاسة الجمهورية المصرية والرسالة التي بعث بها الملك المغربي الى نظرائه «القادة المسلمين» يتضح ان الطرفين كان يهمهما انجاز هدف واحد بارز وهو ليس بالضرورة التنادي لعقد قمة اسلامية.

اذ أن الطرفين لايجهلان مدى الحساسية العميقة التي تبديها حليفتهما السعودية ازاء اقتراح القمة الاسلامية. ثم ان التصريحات المعلنة على لسان مسؤولين سعوديين كبار عززت بدورها وجود هذه الحساسية. ومنها تعليق وزير الداخلية السعودي على سؤال بشأن القمة الاسلامية قال فيه «ان السعودية على استعداد لحضور أي مؤتمر اسلامي والمشاركة فيه على اساس عدم التدخل في شؤون تعتبر من صميم سيادتنا!»[٢٦] والتعليق يؤكد خشية السعودية الصريحة من تناول أي مؤتمر اسلامي عالمي - في حال عقدة - موضوعات في غاية الحساسية بالنسبة لها من مثل معارضة انفراد السعودية في اداره شؤون الحج وفرض الأجواء الأمنية التعسفية خلاله وفق قوانينها الداخلية الخاصة.

والحالة السعودية هذه ليست جديدة وغير مفهومة بالنسبة لمصر ورئيسها حسني مبارك،كما بالنسبة للملك المغربي الحسن الثاني، اما لماذا طالبا بعقد قمة اسلامية؟ فتكمن وراء ذلك - باختصار - رغبة مزدوجة: فاضف الى محاولة استغلال مايرمز اليه «الازهر» في مصر وماترمز اليه «لجنة القدس» التي يرأسها الحسن الثاني في المغرب من اثارة عواطف المسلمين ضد الجمهورية الاسلامية وللتكلم باسمهم بصدد «احداث مكة»، فان كلا الطرفين هدفا ايضا الى زيادة اشعار المعنيين من العرب بانه مادام قد تعذر عقد قمة اسلامية فلم لاتعقد قمة عربية «طارئة»؟!

ولذلك فنحن نلمس.. انه في الوقت الذي يحاول الحسن الثاني التكلم باسم المسلمين بصفته رئيسا «للجنة القدس» فيصرح لمجلة باريسية[٢٨]: ان عقد «مجمع للمسلمين بات امراً مستعجلا وضروريا في ضوء بعض المبادرات للمسؤولين الايرانيين في مكة» ويعيد الى الاذهان دورة في تشكيل لجنة القدس واحتضان القمة الاسلامية التي انبثقت منها اللجنة.

فهو - ملك المغرب - لم تضايقه مطلقا ما عمدت اليه صحف مغربية هامة مقربة الى السلطة، بنشرها مايشكك في جدوى القمة الاسلامية والدعوة المشددة الى قمة عربية.. ففي تعليق لصحيفة «رسالة الامة» لسان حال الاتحاد الدستوري في المغرب نقرأ مثلا: «ان من الحكمة اقتراح بحث الموقف في اطار اسلامي، غير ان التجربة اثبتت ان بلادا مثل ايران لاتنظر بعين الاعتبار الى اي منظمة اقليمية كانت ام دولية ومن ثم يتعين على العرب ان يضعوا استراتيجية مشتركة لكفالة امنهم والحفاظ على

سيادتهم»[٢٩].

لقد تعرفنا للان على صورة موجزة لخلفيات الموقفين المصري والمغربي من اقتراح عقد القمة الاسلامية واهم ما لمسناه فيهما تشابههما وتطابقهما تقريبا في اسلوب العمل على استثمار الاقتراح اساسا، لا من اجل عقد القمة بل لحسم مسألة «الاجماع الاسلامي» وكذلك للتحفيز على الاسراع في عقد القمة العربية، ولتسهيل امر الخطوات المتبقية امام الرياض للاضطلاع بدور اكثر تميزا في المنطقة والخليج.

ولما تقدم، يهمنا الاستنتاج بالتالي: ان السعودية لم تكن لتجهل او تعارض المغزى الحقيقي لفكرة عقد القمة الاسلامية، بل على العكس، فقد تصرفت بما يدعمه في الظاهر.. ويدعم ويعزز بالمقابل، سياستها التأزيميةحيال ايران والعلاقات معها. ومن الأدلة البارزة على ذلك انها لم تعارض بصفة جدية طلب عقد القمة، لا بل اوحت الى رابطة العالم الاسلامي وهي مؤسسة شبه رسمية لتبرز تأييدها لفكرة القمة الاسلامية.. والى جانب ذلك وتزامنا معه، ابرزت ايضا عبر صحفها وعلى لسان ممثليها في الخارج اهتمامها الجدي بعقد القمة العربية في اسرع مايكون.

وبالفعل فتزامنا مع اعراب السفير السعودي في واشنطن عن ترحيب حكومته بعقد القمة العربية وسعيها لانجاح هذه القمة. فقد اوعز الى الدكتور عبدالله نصيف امين عام «رابطة العالم الاسلامي» ليعلن تأييد رابطته للحاجة الى القمة الاسلامية «الطارئة»[٣٠] وهذا الاعلان انما دلل عمليا على الرغبة السعودية في اعتماد «الرابطة» كمنبر لمخاطبة المسلمين جميعا وشرح الموقف السعودي لهم.

ومن هنا تولت «الرابطة» تنظيم «موتمر اسلامي» في مكة، اخذ على عاتقه اصدار قرارات وتعميم آراء معينة، لغرض منح السعودية شهادة «حسن سلوك» و «كفاءة» في ادارة شؤون الحج. ولتبرئة ساحتها فيما لو تواصلت ظروف الازمة في العلاقات مع ايران وتسببت في حرمان الحجاج الايرانيين لسنوات من نعمة الحج.

كل الخيارات تؤدي الى.. القمة العربية

اغلب التحركات والاتصالات.. وما ابداه المسؤولون السعوديون من آراء معلنة حول المجزرة والموقف منها.. كلها تقريبا، خطط لها لتؤدي في الاخير الى اسكات ايران او تحفيزها، لتتخذ مواقف «منظورة» الى حد ما من قبل.. ثم لمحاولة البناء على ذلك في تمرير طبخات سياسية معينة بدأت رائحتها تفوح منذ الايام القليلة الاولى التي رافقت «ردود الفعل» العديدة على المجزرة واشتدت مع الاشتداد المحسوب لموجات

ردود الفعل وتكشفت اهدافها الصريحة علنا منذ اول مؤتمر من قائمة المؤتمرات التي عقدت خصيصا، وليس «طارئا»، لبحث موضوع واحد هو. الجمهورية الاسلامية والصحوة الاسلامية. فلو واجهت ايران «اللطمة» التي وجهتها لها السعودية في مكة، بالاسلوب الذي يتماشي مع رغبات السعوديين في الاساس.. عندما اختاروا ـ السكوت مدة ٢٤ ساعة عقب ايعازهم بتنفيذ أمر المجزرة ولم يدلوا بأي بيان ايضاحي، آملين ان يجاريهم المسؤولون الايرانيون في ذلك ويوفروا عليهم زحمات كثيرة، لايطيقونها.

نقول: لو رجّحت ايران السكوت من البداية ولم يبدر منها رد الفعل الرسمي والشعبي الذي يناسب ماقترفته ايدي السعوديين في مكة.. لفضل هؤلاء من جانبهم عدم التورط مباشرة في معارك اعلامية وسياسية ودبلوماسية وربما عسكرية ـ من يدري؟ـ واكتفوا بالايعاز الى مؤيديهم ومعاضديهم في الخارج لينوبوا عنهم في جني ثمار ما افتعلوه في المدينة المقدسة بهدف اشعار الجميع بانهم «اقوياء» فعلا وجاهزون لتنفيذ باقي فقرات المخطط الرامي الى نسف مصداقية الجمهورية الاسلامية واحاطتها بحصار من الاجواء الاعلامية والدعائية الساخرة من كل مانسبته الى نفسها في السابق.. كامتلاكها القوة والاقتدار في مواجهة اي تحد وافشاله، او التفوق عليه..

وبتعبير اخر: لو كانت الجمهورية الاسلامية قد اختارت السكوت على مضض ازاء «اللطمة» الغادرة التي وجهت بتخطيط واحكام مسبقين الى حجاجها.. لبدت وكأنها ارتضت لنفسها العودة ثماني او تسع سنوات الى الوراء.. اي الى الفترة التي احتجز خلالها اعضاء «السفارة» الاميركية في طهران كرهائن بيد الطلبة الجامعيين الايرانيين «السائرين على نهج الامام الخميني» ثم هي رضخت ـ ولم تمانع ـ تحت وطاءة التهديد وعرض العضلات الاميركي الدائم، لاطلاق سراح اولئك الجواسيس الرهائن بلا شروط تذكر.

او لنقل انها ارتضت، اثر العودة كل هذه السنين الى الوراء.. ان ترضخ لمنطق القوة والابتزاز الغادر الذي شاء صدام حسين ان يفرضه عليها وهي لم تزل ـ الثورة الاسلامية ـ في عنفوان شبابها واوضاعها لم تستقر بعد، ما فيه الكفاية.. فلقد دعاها صدام في بداية الحرب للتغاضي عن احتلال جزء كبير من ترابها. بدعوى ان تقدم القوات العراقية المحتلة ـ بنحو مباغت ـ الى اعماق اراضيها يملي عليها قبول وقف اطلاق النار بأي ثمن.. وبدعوى ان الاحتلال العراقي هو «امر واقع» مالم تسلم به» فسيفرز كل يوم مشاكل جديدة في وجهها، على حد رأي طاغية، مثل صدام..

ومن طرفهم.. فالسعوديون ايضا احتملوا مثل هذا الاحتمال. احتملوا ان

تسلم الجمهورية الاسلامية بالامر الواقع الذي ارادوا مواجهتها به، في مكة، وان تركن الى السكوت، ليملوا عليها ما يشاؤون.. ولكن الجمهورية الاسلامية رفضت منطق السعوديين كما رفضت من قبل منطق الاميركان والمنطق الذي قابلها به صدام حسين.. وان كان هؤلاء جميعا يتحدون في منطق واحد، خبره الامام الخميني خلال عشرات الاعوام من محاربة الطاغوت الشاهنشاهي الذي اندحر وزال بلا رجعة.

ولهذا، فقد استعجل السعوديون مواجهة رد فعل ايران المنطقي عليهم، بمحاولة اثارة الضجيج والمتاعب في كل طريق تسلكه.. استعجلوا مواجهة موقفها المشروع هذا بأن بدأوا يحثون الخطى لتنفيذ الفقرات المتبقية من مخطط شامل، هدفه النهائي التعاون مع باقي اطراف المخطط، لممارسة التعتيم الكبير على ماحصل والاسراع في تحميل الايرانيين مسؤوليته.. ثم الاسراع خلف هذا وذاك لاعادة ترتيب اوضاعهم والظروف السياسية في المنطقة بما يلائمهم.

الفتوى التاريخية

ومن هنا اتسم الرد الايراني، برد حازم ومعقول من قيادة الامام الخميني على «المخطط» الجاري تنفيذه.. بالتأكيد الذي لارجعة فيه، على وجوب ابقاء قضية المجزرة وملحقاتها وانعكاساتها حية، وتفتح ملفاتها باستمرار امام انظار المسلمين والعالم.. بل وجوب عدم الفصل بين هذه القضية وسائر القضايا، عند الشروع في البحث عن حل لأي قضية.. وتتساوى هنا برأي الامام ـ وتأكيده الذي هو لاريب فتوى تاريخية هامة ـ تتساوى باقي القضايا عند محاولة البحث عن حل لها عدا قضية المجزرة وقضية مكة فهما ليستا منفصلتين بحال عن القضايا الملحة التي حفزت على سفك دماء الحجاج. بمعنى ان البحث عن حل واقعي لقضية مكة، يبدأ دائما من الاستعداد لمعاجلة سائر القضايا انطلاقا من النتائج والفروضات التي أملتها هذه القضية. اي معالجة اي قضية ثانية بافتراض ان النتائج والانعكاسات المترتبة على مجزرة مكة قد أخذت مأخذها منها وتسببت في تضخيمها وتعقيدها.. ومالم يوضع حدا ـ أولاً ـ لمسببات المجزرة الاصلية والمتجسدة في استهتار حكام السعودية ـ ونظرائهم ـ بكل القيم والمقدسات والقضايا المصيرية، فلن تلقى قضية ما، حلاً ناجحاً لها وهذا هو ماتعنيه الفتوى التاريخية للامام (اذ لامجال دوما للفصل بين الدين والسياسة) بقوله: «انه حتى لوكان بامكان ايران غض النظر عن مشكلة القدس والصفح عن الرئيس العراقي صدام، فلايمكنها ان تغفل قضية مكة المكرمة».

وامام رد الفعل الايراني ـ كما اسلفنا ـ فان السعودية واصلت تحركها بزخم اضافي، بتشديد حملاتها الاعلامية والدبلوماسية على ايران. واملا في ان يفسح ذلك لها المجال لاستئناف تنفيذ باقي بنود المخطط الهادف الى اعادة ترتيب الخارطة السياسية او خارطة الولاءات في المنطقة دون تدخل من الجمهورية الاسلامية او الاسلاميين في اعاقة مايجرى.

السعودية تكرر الخطأ العراقي

والواقع فمما عزز من اندفاعة السعودية في هذا الاتجاه شعور مؤداة، ان التصميمات الاميركية والعربية قادرة على توفير العون الدعائي والسياسي الكافي للمضي في المخطط المذكور. . وبسبب هذا الشعور فان المسؤولين السعوديين اغتنموا مناسبات عدة ليتظاهروا برغبتهم في الحوار والتفاهم وانه مع رفض الايرانيين لذلك سيكون «لكل حادث حديث».

الا ان ماستهدفوه باستمرار وراء هذا التظاهر كان ولايزال، ثني الايرانيين عن اية مقاومة لمخططهم وتضليل الرأي العام.

وقد احس هؤلاء المسؤولون السعوديون في المقابل بشيء من خيبة الأمل، بمصداق البيانات الغاضبة التي ما انفكوا يعلنون عنها مقابل خطوات الجمهورية الاسلامية لتعرية مخططهم[٣١]. لكن ما احسوه لم يثنهم عن رفع وتيرة تهكماتهم وحملاتهم بهدف التغطية على مايوالون تنفيذه.

وخلاصة القول، فان السعوديين سيطر عليهم ابتداءً نفس الشعور الذي دفع القيادة العراقية في بغداد لشن الحرب على ايران. . كما باتوا يحسون بخيبة أمل مشابهة جدا لما عانت منه هذه القيادة بالفعل. . ولم ينتبهوا لفداحة مااقترفوه في مكة، الا مؤخرا، على وقع نجاح سياسات معينة في جرهم الى موقع متقدم من المواجهة معهاءبل من المواجهة مع الداخل السعودي والتطورات الخليجية والاقليمية ككل لايتجزأ (كما سيطلع الجميع على ايضاحات ذلك بالتدريج).

ويمكن هنا، لمس، ان الذين اسقطوا السعودية في هذا المأزق الكبير مع ايران وشجعوها على التصدي لتنفيذ مخططها الراهن قد احكموا بدورهم كذلك، توريطها واغلاق منافذ العودة بوجهها.

ولذا، فلم يبق بيد السعودية خيار سوى حث السير الى الامام، في تصعيد حدة هجماتها الكلامية، والدبلوماسية تبريرا لما تصبو الى تحقيقه في الاصل. وكما يشهد على

ذلك تحركها في تونس اذ ضخت السعودية انباءً عن رغبتها في الالحاح بطلب قطع العلاقات العربية مع طهران، كما تميزت كلمة الوزير سعود الفيصل امام نظرائه العرب في اجتماعهم «الطارئ» باطلاق ابشع الصفات والنعوت على الجمهورية الاسلامية والهدف من هذه الحملة الشديدة والمنظمة هو توفير الحوافز المناسبة لكي يتسنى للاجتماع المنعقد في تونس، في آب ٨٧، اصدار تفويض يخول الرياض حق التحرك لتأزيم الموقف العربي الشامل مع ايران.

ولكن هل منح هذا التفويض في النهاية للسعودية؟ يمكن التحقق من هذا الامر من ملاحظة مدى مجاراة البيان الختامي للاجتماع للنقاط التي اثارها الوزير السعودي في كلمته.

ولنتفحص اولاً ماهية النقاط المثارة، فلقد أتخذ سعود الفيصل من موضوع المجزرة مدخلاً ليبرأ ساحة نظامه، ثم ليوجه كلامه ويركزه على جملة مسائل متوقعة..

ومن هذه المسائل والاتهامات التي حوتها كلمته:

* رفض الجمهورية الاسلامية لنداءات السلام المتتالية لوقف الحرب!
* تعريضها المنطقة الى «مخاطر التدخل الاجنبي واقحامها في اتون الصراع الدولي»!
* تعريض الأمن القومي العربي للخطر!
* بث الالغام في الخليج!
* صلاتها التي «تتكشف كل يوم» بالكيان الصهيوني!!

وبعد ان يثير الوزير جملة النقاط المذكورة فانه يتحول مباشرة الى الاستدلال بأن «هذه الاجواء القاتلة لايمكن الا ان تترك بصماتها على العلاقات العربية مع ايران ولابد للعلاقات ان تتأثر من جراء هذا الموقف الايراني».

ثم انه لجأ في ختام كلمته الى أسلوب التهديد والوعيد.. بأنه «مالم يثب قادة ايران الى رشد هم ويعدلوا عن مسارهم المنحرف! ويقابلوا بالمثل تمسك الامة العربية بحسن الجوار.. وعدم التدخل في الشؤون الداخلية- للغير- ومالم.. يضعوا حداً لتهديداتهم للدول العربية.. فلابد لهذه الدول من موقف موحد ومن رده فعل تعبر من خلالها عن موقفها» من الجمهورية الاسلامية..

وبالتالي فان اغلب ما أثاره الوزير نجده مدوناً في البيان الصادر عن الاجتماع، فالبيان:

* استنكر «اعمال الشغب التي قام بها الايرانيون في موسم الحج» مؤكداً تضامنه مع اجراءات «المملكة» في الحج.
* دعا ايران الى «القبول بحل النزاع بالطرق السلمية» مع العراق وعلى أساس القرار

٥٩٨ لمجلس الأمن.
* دعا الى «ضرورة تأمين حرية الملاحة.. وفقاً للقانون الدولي» واستنكر زرع الالغام.
* استنكر «التهديدات» الايرانية للكويت والسعودية.
* شجب ما أسماه «سياسة التخريب والاعمال التي تمس الشؤون الداخلية للدول العربية كما كلف الشاذلي القليبي أمين عام الجامعة العربية ببحث امكانات عقد قمة عربية بالسرعة الاستثنائية.
ذلك هومن أبرز ماجاء في البيان والذي يطابق بحذافيره ماطالب وزير الخارجية السعودي بأقراره في كلمته...

خطوات متشابهة و اهداف واحدة

وأذن لاينبغي ان يخالجنا شعور بعدئذ بأن التصعيد السعودي نابع من مجموعة ردود فعل سببها هم الايرانيون.. أذ أن تحرك الوزير سعود الفيصل في اجتماع تونس ازال أية شبهة في هذا المضمار. فهذا التحرك مثل أمتداداً لكل خطوة وكل هدف جسدتهما تصريحات ونشاطات باقي المسؤولين السعوديين، علاوه على ما أهتمت به الصحف.

وهـذه حقيقة من اليسير لمسها جيداً بعد تحليل وتفصيل الكلام في عدد من القضايا المطروحة في كلمة الفيصل أمام الاجتماع.

١ ـ لم تخل كلمه الوزير من النبرة التهديدية المعتادة في أقوال المسؤولين السعوديين الآخرين والى جانب تلويحه «بالرغبة في حسن الجوار» وأقامة علاقات طيبة. والغرض هنا واضح، ويتلخص في محاولة التملص من مسؤولية تأزيم العلاقات.

٢ ـ انطوت الكلمة على تأييد صريح لسياسة الحشد الاميركي في الخليج وذلك من خلال تعمد اتهام ايران بزرع الالغام في الخليج وتعريض الأمن الملاحي للخطر. وهو أتهام اميركي في الاصل. وطالما وجدنا اصداءه في كلام المسؤولين السعوديين الذين يعزون دائماً تدهور أمن الملاحة الى تطورات الحرب العراقية ـ الايرانية وليس العكس.

٣ ـ حرص الوزير بالمناسبة على التكلم نيابه عن العرب الخليجيين وكأنه يذكرنا بتقولات العراق في بداية حربه الطويلة وادعائه بأن الحرب جاءت دفاعاً عن «البوابة الشرقية للوطن العربي». وعلى نفس المنوال يهم السعوديين ايضاً ان يشعروا الدول الخليجية بأي اسلوب بالامتنان من قبول حمايتهم لها ووصايتهم عليها.. وهذا

ماعناه سعد العبدالله ولي العهد الكويتي في برقيته التي بعثها الى الرياض مشيداً «بالحزم» الذي اتسم به تعامل السعودية مع الحجاج وقوله «ان الحملات الاعلامية الايرانية ضد دول الخليج ـ باتت ـ غير مقلقة» ومطالبته «برفع حجم التعاون الأمني والعسكري داخل مجموعة مجلس التعاون» و «بخاصة في ظل الظروف الحالية»[٣٢].

٤ـ خصص سعود الفيصل جانباً ملحوظاً من كلمته للمطالبة بموقف عربي اكثر فعالية للضغط على مجلس الأمن ودعوته الى اصدار قرار جديد خلفاً للقرار ٥٩٨ (الصادر في ٢٠ تموز ٨٧) يضع حداً لاصرار ايران على مواصلة الحرب حتى النهاية. وهذه المطالبة لم تنبثق خلال اجتماع تونس.. فما من مقال نقرءه في صحيفة سعودية وما من تصريح نسمعه من مسؤول سعودي الا ويقرن فيه أتهام ايران بالمسؤولية عن «احداث مكة» بأتهام آخر هو «مسؤوليتها عن أستمرار الحرب ورفض» نداءات السلام فيها..

٥ ـ أتهم الوزير ايران بأن ثمة صلات تربطها بالكيان الصهيوني وأنها تحاول التستر على ذلك وراء «الشعارات الاسلامية»[٣٣]وهذا الاتهام عرضته الصحف السعودية بصيغة التساؤل عن السبب في نزوع الايرانيين الى رفع اللافتات والشعارات المعادية لـ«اسرائيل» في مكة وعدم محاربتها على حدودها؟ والغريب ان الصحف نفسها تتهم الايرانيين بممارسة «الارهاب» على ارض لبنان وضد «اسرائيل»!ـ بأستخدام قوات الحرس الثوري لهذا الغرض.

والمهم ان هناك عدة أهداف مكشوفة تحفز السعوديين لكيل الاتهامات للجمهورية الاسلامية عن علاقتها المزعومة مع الصهاينة.. وأتهامات سعود الفيصل بالتحديد جاءت بهدف التمهيد المسبق لكيلا يفاجأ أحد خلال قمة عمان بالكلام عن ان «الخطر الايراني بات يفوق في شدته خطر اسرائيل».

ولأن هذه القمة كان مطلوباً منها ادارة الظهر للصهاينة والاعداد لأسلوب جديد من المواجهة مع «خطر الزحف المذهبي» والثوري القادم من ايران، فعلى ذلك تعمد سعود الفيصل في كلمته الربط مثلاً بين حريق المسجد الاقصى عام ٦٩ بيد «متطرفين صهاينة» وبين «احداث مكة» بيد «متطرفين ايرانيين».

ونفس الربط لجأ اليه ملك المغرب ، وبالتنسيق الواضح مع السعوديين عندما وجه رسائل الى «قادة» الدول الاسلامية يزعم فيها انهم طالما لبوا دعوته من قبل وأبان محاولة أحراق المسجد الاقصى اذا اجتمعوا في قمة اسلامية برعايته، فلم لايلبون دعوة مماثلة (..!) الآن؟

٦ ـ من بين مجموعة الاتهامات التي حشرها سعود الفيصل في كلمته اتهام قائل بأن ايران لاتتورع عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية. ونفس الاتهام نجده

في أكثر من تصريح لمسؤول سعودي، بالتظاهر في رفض مبدأ تنظيم المظاهرات والمسيرات في مكة لأن من شأنها المساس والاخلال بالأمن والسيادة داخل السعودية. وأتهام كهذا ربما ينطوي في ظاهرة على نزعة تبريرية أخرى لدى المسؤولين السعوديين ازاء ما لجؤوا اليه من القمع المتناهي للحجاج.

وعلى هذا الاساس ربما يفسر البعض ماتضمنه البيان الصادر عن الاجتماع الوزاري في تونس من تأييد الاجراءات السعودية في الحج كونها متعلقة بالسيادة الداخلية لهذا البلد.

في حين ان آراء البعض الآخر من المحللين تذهب مذهباً آخر في تفسير ذلك، وفي نسبته الى جملة المخاوف الموجودة والمتراكمة ازاء فكرة «تصدير الثورة» الايرانية.

فلقد كتب سكرتير التحرير في مجلة «المستقبل» الباريسية معلقاً بأنه لاينبغي النظر الى الأحداث المؤلمة التي شهدتها مكة المكرمة «بمعزل عن خطط ايران الهادفة الى أنشاء عدة جمهوريات اسلامية في الشرق الاوسط». (٣٤)

الطريق الى القمة يمر من . . دمشق

كلمة سعود الفيصل بالمسائل التي اشرنا اليها لايمكن الا ان تمثل مقطعاً رئيسياً من مقاطع المخطط الرامي الى تجميع الاهتمامات والولاءات العربية وأبقائها مشدودة الى الثقل السعودي وتحريك هذا الثقل باتجاه مايخدم المصالح الاميركية على حساب ايران ومؤيديها من العرب ممن يعاكسون هذا الاتجاه.

وعليه، فلئن لقيت الكلمة ـ والتحرك السعودي اجمالاً خلال الاجتماع الوزاري ـ تأييداً غير مشروط من ممثلي الحكومات المحسوبة على الجناح الاميركي وبالتالي السعودي في المنطقة ـ فأنها جابهت كذلك معارضة السوريين بصفة رئيسية وتحذيرهم من مغبة الرهان فقط على الورقة الاميركية وعلى معاداة الجمهورية الاسلامية بلا تحفظ.

ونحن لا نريد هنا الاستغراق في تفاصيل سياسة الشد والجذب بين الاجنحة العربية المتنافسة بقدر ماسنحاول المرور العابر منها اثباتاً لواقع ان التوتر المتصاعد في العلاقات الايرانية ـ السعودية وما قيل عن جهود سورية في سبيل التهدئة . . يمكن ان يكون امراً منظوراً من قبل، ومحسوباً من طرف السعوديين على الاقل، من أجل حمل السوريين على العدول عن موقفهم هذا، ومحاولة استمالتهم وحشرهم كذلك في مواقف صعبة مع طهران.

فمعلوم ان رد الفعل الاول من جانب دمشق انحصر تقريباً في أتهام اميركا

بالتخطيط لها والتشجيع عليها ولقد تم توجيه الاتهام باسلوب غير مباشر، مرة على لسان طهران التي اذاعت عقب زيارة عاجلة لها لوزير الخارجية السوري الشرع، أن الأخير رأى في الحماية الاميركية للسفن الكويتية وجلب الاساطيل و «احداث مكة» مؤمرات اميركية معرباً عن الثقة بالقدرة الايرانية على احباطها[٣٥] وكانت طهران قد سبقت الوزير الشرع في اعلان هذا الرأي وتأكيده. ومرة أخرى على لسان الصحف العربية الموالية لسورية في الخارج، وهي قد سارعت الى تفكيك «الاحداث» وتحليلها ووصفها كجزء من المخطط الاميركي.

أما الرياض التي شاهدت وأحست بدقائق الموقف السوري. فكانت بيدها من قبل ـ على الارجح ـ طريقة عمل خاصة لاحتواء دمشق. آخذة في حسابها، كما أكدت بالفعل خطواتها اللاحقة، ان الموقف السوري قد يمكن رهنه لمتغيرات الوفاق الدولي وتذويبه في معمعة المساعدات التي يطمح اليها السوريون، بسبب مشاكلهم الاقتصادية وعجزهم الناجم عن تجميد التعامل الاوربي معهم. وفي ضوء ذلك، سلكت الرياض هذا الطريق:

ـ اشاعت في اعلامها ان سوريا من بين الدول العربية المؤيدة لاجراءاتها في الحج.. فمع ان الرئيس السوري الأسد أعرب في اتصال هاتفي مع نظيره السعودي عن «أسفه للاحداث التي وقعت مؤخراً في مكة المكرمة» حسبما أذاعت وكالة الانباء السورية التي لم تعط أية إيضاحات إضافية[٣٦]. فاننا طالعنا في الصحف السعودية ان الرئيس الاسد أعرب «عن أسفه لأحداث الشغب التي قام بها الايرانيون»!

ـ أهتم الاعلام السعودي بتضخيم انباء نسبت الى مصادر سورية غير رسمية او مقربة من سوريا، كالتصريح الذي خص به صحيفة «ميدل ايست» عمران ادهم التاجر السوري المقيم في باريس والمعروف بوساطاته لاطلاق سراح الرهائن الغربيين المحتجزين في لبنان، حيث قال للصحيفة ان بلاده ستخوض حرباً ضد ايران فيما لو طمعت الاخيرة بأراضٍ عربية.[٣٧] ومع انه لاجديد فيما قاله «ادهم» للصحيفة اللندنية فان ابرازه على الصفحة الاولى لصحيفة «عكاظ» بطبعتها الفارسية الخاصة، هو أمر ينم عن الرغبة السعودية في مواجهة الحكومة السورية باحراج متزايد ودفعها ما أمكن ولو مؤقتاً بعيداً عن التقارب والتعاون مع طهران.

ـ كثفت الرياض اتصالاتها ومشاوراتها مع عمان من أجل تحديد صيغة تعامل مع سوريا، خصوصاً قبل موعد الاجتماع الوزاري الذي اختتم اعماله في تونس يوم ٨٧/٨/٢٥ ونصت الصيغة على دعوة كافة الدول العربية بما فيها سوريا لمؤازرة السعودية في موقفها من الجمهورية الاسلامية، ولقد أجرى سعود الفيصل بهذا

الصدد مباحثات في العاصمة الاردنية شملت «بحث تطورات الاوضاع الراهنة على الساحة العربية ومسألة تعزيز التضامن العربي» اضافة الى «بحث الترتيبات المتعلقة بالاوضاع الطارئة لمجلس وزراء الخارجية العرب» كما جاء في الاعلان السعودي عن المباحثات.[٣٨]

- في اجتماع تونس، تميز النشاط السعودي بالترويج قبل كل شئ للرغبة في قطع العلاقات مع ايران. ثم كحد أدنى أقتصر الطلب السعودي على «موقف عربي موحد مجمع عليه» تجاهها. وكان سعود الفيصل قد قدم لطلبه هذا بتوجيه سيل من الاتهامات الى ايران اثناء كلمته التي القاها بالمناسبة. والغرض من هذا الطلب واضح وهو أحراج سوريا الشديد بعد اتهامها هي أيضاً بأنه رغم التهديد الذي يتعرض له «الأمن العربي القومي» و«المصالح العربية» فان «البعض تجاوز كل هذا ووقف الى جانب ايران قلباً وقالباً»[٣٩] في أشارة الى التقارب الايراني السوري.

- البيان الختامي الذي شارك في صياغته الوفد السعودي لم يخل بدوره من احراج فائق لسوريا، فالاخيره ظلت ترفض مبدأ اخضاع العلاقات العربية الايرانية لماقد يستجد من توتر في العلاقات السعودية الايرانية. ومع هذا فلم تكن موفقة في ظاهر الأمر لتمانع من تطعيم البيان بنص يقضي بمحاولة منح ايران مهلة «لاتتجاوز ٢٠ ايلول للنظر في تحديد طبيعة العلاقات العربية الايرانية مستقبلاً في ضوء مواقف ايران من استمرار الحرب ضد العراق وتهديداتها! لدول الخليج» ولقد اتضح بعدئذ ان تلك المهلة لم يكن يؤمل بواسطتها بلوغ اية نتائج غير تسهيل مهام «اجراء مشاورات عن امكانية عقد قمة عربية وتقديم تقرير عن ذلك الى الجلسة المستأنفة لهذه الدورة غير العادية» من اجتماعات وزراء الخارجية العرب كما جاء في نص البيان[٤٠].

ماذكرناه الآن يشكل جوانب محددة من الحملة المنظمة التي قادتها السعودية لكسب «معركتها» الدبلوماسية أمام الجمهورية الاسلامية وأمام سورية.

وبسبب هذه الحملة، ليس من عادة سوريا ان تنزوي في صمتها ولاترد على مايعنيها ويعني سياستها الاقليمية والعربية.

ونظراً لأسباب باتت معروفة، اضافة الى دأبها على عدم تفويت فرص الوساطة بين طهران وعواصم الخليج لعوائدها السياسية والمادية فان سورية التزمت وماتزال خيار الرد غير المباشر على الرياض. ومن ضمن ماجأت اليه، ايعازها الى الصحف والمجلات العربية وثيقة الصلة بها، لتباشر من جهتها مهمة الرد وايضاح بعض الحقائق وحتى اتخاذ بعض المواقف من كلا الطرفين، السعودي والايراني.

ولأن سوريا تعتبر نفسها من أوائل الذين صدمتهم المجزرة وفاجأتهم الشدة

التي لازمتها، كما أحسوا منها بالخطر الفادح على مايصبون اليه في المنطقة، على هذا لم يفاجئنا ماطالعتنا به اسبوعية «الكفاح العربي»، اللبنانية وثيقة الصلة بمصادر القرار السوري ـ العدد ٧٤٣ـ اذ عمدت الى أتهام كل من ايران والسعودية بالخطأ. والقصد واضح، انها محاولة لاتباع موقف «متوازن» من الطرفين والامساك بالعصا من الوسط كما يقولون.

فالحج بنظر الاسبوعية هو «مناسبة دينية لاعلاقة لها بالسياسة» وقبل ذلك وفي اشارة الى السعوديين فأنه «مناسبة للتسامح والغفران وبالتالي لاعلاقة له بالقتل والدم»

واحداث الحج خطيرة.. «لسبب غير السببين الايراني والسعودي» كما تقول الاسبوعية. «خطيرة.. لا لأن الايرانيين تظاهروا وهتفوا ضد فهد وأسرته! وضد ريغن وحكومته» و «هي ليست خطيرة لأن السعودية قمعت التظاهرة فامتلأت شوارع مكة بالدم»!!. ان خطورتها ناشئة برأي هذه الاسبوعية من كونها «اضافة بشعة الى امراضنا المذهبية.. المتفشية في روح الامة العربية».

لاحظ اسلوب الموازنة في مخاطبة كل من الرياض و طهران.

ان سوريا كان يهمها للوهلة الاولى ان لاتفرط بمواقفها السابقة. وتحافظ على اتصالاتها مع كلا الطرفين ولتبقي سيطرتها على مايجري ويخص تطلعاتها المعروفة الى حد بعيد.

ولـذا فان اسبوعية «الكفاح العربي» شاءت الجزم بأن «هذا الخطر استوعبته دمشق فتحركت بالاتجاهين لتلافي الكارثة قبل استفحالها».

ولكن.. كل الذي قرأناه الآن لا يعني ان السوريين غير مستائين من الاندفاعة السعودية الشديدة خدمة للاغراض الاميركية وعلى حساب سياسات اخرى منافسة. ان السوريين بالغوا في البداية في كبت مشاعرهم، ولئن اتخذوا موقفاً معيناً وغير مباشر من الرياض، فأن طهران كذلك خصوها بمواقف تعبر عن عدم الرضا لأقحام الحج في السياسة. ولقد حافظوا تقريباً على نوع من التوازن في موقفهم حتى بعد انصرام شهور عديدة على المجزرة، ربما بسبب عجزهم عن فرض اتجاه معين على السعودية. او لأن مصالحهم هكذا تقتضي.. على هذا فهم لم يتخطوا حدود الاعراب عن استيائهم من ان السعودية «بقمعها تظاهرة مكة ارادت ان توحي بأن من يخالفها منحاز لايران وأن تجعل بالتالي من كل «قومي عربي متهماً بالفارسية».

هذا هو بعض أوجه الادراك السوري لطبيعة ماحدث في مكة وهو قد يعرفنا بعض الشيء على اسلوب التحرك السوري للتصدي له ولنتائجه.

والسؤال هنـا هو عن الاسباب التي جعلت من سوريا لا تبدو موفقة في

امتصاص هذه الاندفاعة السعودية وتطويقها تماماً قبل ان تقود الى النتائج التي اسفر عنها مؤتمر القمة العربية «غير العادية» في عمان.

عوامل.. لأطالة الأزمة

وفي الجواب نلاحظ عدم غياب مجموعة عوامل شجعت السعودية ووفرت لها بعض تسهيلات العمل الدبلوماسي المشترك والمكثف مع كل من عمان والقاهرة والرباط ومع واشنطن، لتوالي اخراج فصول المخطط الذي شرعت فيه منذ تاريخ المجزرة.

وتلك العوامل، من السهل الاهتداء اليها واستنباطها من كتابات الصحف العالمية والمحلية ومن دون الحاجة دائماً للعودة الى فحص المواقف الرسمية الباهتة او غير الصريحة.

- منذ البدايات التي اعقبت المجزرة والت الصحف المتعاطفة مع السعودية السعي لمنحها «المبررات الاضافية» للتغطية على بشاعة ما اقترفته في مكة، وحثها على السير في الطريق المعادي للثورة الاسلامية في ايران، ففي تعليق بثته اذاعة لندن لأحد الخبراء البريطانيين في شؤون الشرق الاوسط جاء:[41] «ان حادث مكة المكرمة دفع الاسرة المالكة في السعودية الى ادراك ان المحاولات السابقة المبذولة للابقاء على علاقة عمل مع ايران الثورية قد فشلت» والعلل الاصلية هنا لايعزيها الخبير الى الحادث بذاته بل الى «استياء الحكام السعوديين من الهجمات الايرانية القاسيةالتي تشكك بكونهم حماة مكة المكرمة والمدينة المنورة تاريخياً، واستيائهم من الانتقادات الايرانية اللاذعة لاسلوب الحياة التي تعيشها الاسرة المالكة التي تشعر بحساسية فائقة ازاء مايقال عن اسرافها وفسادها الخلقي». وفي حين ان العلل التي اوردها الخبير البريطاني في تعليقه عائدة الى الحادث نفسه الذي من شأنه مضاعفة الشكوك في سلامة ادارة «الاسرة المالكة» لشؤون الحرمين. ولايصح التفسير المعاكس قطعاً.

- في تقرير لمراسل «النيويورك تايمز» عن البحرين «جون كيغنر» اعرب هذا المراسل عن اعتقاده بأن «الاحداث المفجعة في مكة ستظل تشجع على قيام حرب دعائية ودبلوماسية شرسة» بين الجانبين الايراني والسعودي. ولم يحدد المراسل أسباب قيام وتواصل هذه «الحرب» الدعائية أو الدبلوماسية. لكن غيره تطوع ليعطي بتفسيراته وآرائه توضيحاً مقنعاً نسبياً لتلك الاسباب.

«ميشيل دوبسيون» المحلل السياسي البلجيكي[43] اعتبر من جهته ان النظام السعودي مع كونه «مرتكزاً على اسس فكرية اسلامية لايشوبها شيء» الا ان افتقاده

للطابع الثوري هو الذي سيدفع به الى مهاوي ومشاكل اضافية عديدة بعد احداث مكـة وعن طبيعة «المشاكل» المعنية يتعمد هذا المحلل اجراء مقارنة في الامكانات البشرية واللوجستيكية بين ايران والسعودية وما اذا كان الايرانيون سيلجأون اخيراً الى «سلاح اثارة الفتن الداخلية». وقد ختم كلامه بالقول «ان السعودية برغم دعمها المستمر للعراق في حربه فهي حافظت على سياسة معقولة ازاء ايران».

ولمعرفة الاثر الذي أحدثته آراء هذا المحلل البلجيكي وسواه تكفينا مراجعة تصريحات وزير الداخلية السعودي نايف بن عبد العزيز. فمنها زعمه «ان الجميع يقولون انهم ـ ايرانيين ـ سيعملون ضد المملكة العربية السعودية ولكن لم يتضح لنا ذلك.. ان السفارات السعودية والطائرات السعودية والسعوديين عموماً سيكونون اهدافاً طبعاً.. لأي عمل تخريبي.. أو أي أعتداء! سيواجه.. بكل حزم!»[٤٤].

يشار هنا الى ان المسؤولين السعوديين قاطبة يتملكهم شعور بالذنب والخوف حيال ماحدث في مكة واحتمال تعرضهم للانتقام من العناصر المؤيدة للثورة الاسلامية في نقاط عديدة من العالم. وبالنسبة للسفارات فجدير بالملاحظة ان السفارة السعودية بطهران كانت قد أبلغت قبل موسم الحج الدامي بأن تزيد من استحكامات البناء داخلهـا وحـولهـا. واذن فالسعودية التي أعدت للمجزرة أعدت ايضاً للأجراءات الاحتياطية والوقائية تجنباً لـردود الفعل العفوية الساخطة.

ـ يقول الكاتب الصحفي الاميركي «جوناثان بروير» في احدى مقالاته:[٤٥]

«ان المـراقبـين الغربيين والعرب في المنطقة يرون أن هذه الدعوة ـ لقطع العلاقات السعودية مع ايران ـ تشكل تحركاً كبيراً طال انتظاره لأجل فرض العزلة على ايران وأعـادة سوريا التي تدعم ايران حالياً في حربهـا مع العـراق الى الحـظيرة العـربية» وكمصداق لما أفصح عنه الكاتب الاميركي فأن الصحف الكويتية أكثرت من الطلب خلال الفـترة الاخـيرة المنصرمـة لأن يأخـذ العـرب مجتمعين قراراً بقطع العلاقات الـدبلوماسية «فوراً» مع طهران. صحيفة «الانباء»[٤٦] كرست مثلاً احدى مقالاتها الافتتاحية للقول انه «يتوجب ان تُقطع العلاقات فوراً وحبذا لو كان القرار من دول مجلس التعاون مجتمعة مادمنا قد يئسنا من بعض العرب وأصبح القول بالاجماع العربي حول هذا ضربـاً من الخيال». والتبرير الوحيد الذي ساقته الصحيفة لاعلان قرار كهذا هو ان قطع العلاقات «السبيل الوحيد لرد الاعتبار ولاسبيل غيره.. ولاشك ان قطع العلاقات ليس معناه الحرب وربما كان هو الحل الوحيد المانع للحرب».

ان كلام الصحيفة الكويتية يفهمنا بأن الاعتبار الضائع او المضيع للحكومة الكويتية جراء انحيازها التام الى أحد طرفي الحرب العراقية ـ الايرانية لايمكن اعادته

الا بالاقدام على قطع العلاقات. لأن من شأن هذه الخطوة ان تقي الحكومة المخاطر الناجمة عن وقوفها الى جانب العراق وأولها اكتواؤها بنار الحرب!.. والصحيفة التي نشرت مقالها هذا تزامناً مع الاجتماع الوزاري الطارئ في تونس، انما ارادت اغتنام هذه الفرصة للحث على قطع العلاقات.

- «خطر تصدير الثورة الايرانية»، هو احد ابرز مانال اهتمامات الصحف التي ركزت في تعليقاتها على أهمية استغلال الجو القائم بعد مجزرة مكة للانطلاق في اجراء تقييم جديد لطبيعة التعامل العربي الرسمي مع الجمهورية الاسلامية. فمجلة المستقبل الباريسية التي نشرت في منتصف آب ٨٧ مقالاً بعنوان «قمة عربية لمواجهة ايران» شاءت التأكيد بأن «الثورة الايرانية ليست ثورة داخلية توقفت عند حدود البلد الذي انطلقت منه، بل هي ثورة يعتبر القيمون عليها أنها قامت وانطلقت لتعبر حدود كل دول العالم العربي والاسلامي وتقفز فوق كل الحواجز لتتكرر في بلدان أخرى تجربة الجمهورية الاسلامية في ايران. والمسؤولون الايرانيون لايخفون ذلك ولايعتبرون ان هذا المخطط يجب أن يبقي سرياً».

ان هذه المجلة الشهيرة بقربها من مصادر القرار السعودي عندما تخصص عدة مقالات رئيسية وفي أكثر من عدد، للحديث عن مسألة «تصدير الثورة» فهي لم تلجأ الى مانشرته الا لاستقرائها مايدور في ذهن المسؤولين السعوديين اولاً. وثانياً، لوجود جهات عربية مختلفة يهمها ان تتولى السعودية توظيف مركزها المالي والسياسي لتجميع العرب او الخليجيين على الاقل على قاعدة معاداة ايران وعزلها وتجنب انعكاسات ثورتها الطبيعية في أغلب الاحيان. وبهذا المعنى فالمجلة تقول في مقال آخر:[٤٧] «من الضروري ان نلفت.. في هذا الوقت بالذات الى ان اليوم هو خير الايام لوقوف الدول الخليجية صفاً واحداً خلف المملكة.. ومن خلفها جميع الدول العربية الأخرى من بغداد الى الجزائر.»

ولاينبغي ان يسيطر علينا شعور بأن الذي قالته المجلة وأفردت له أكثر من مقال محصور في وجهات نظر صحفية فحسب. فالملك الحسن الثاني هو أحد الذين أدلوا بآراء بارزة تؤيد ماذهبت اليه «المستقبل».

يقول الملك في حديث خص به «السياسة» الكويتية[٤٨] أنه متخوف من «أن يتخذ الاتجاه الاسلامي الثوري المتشدد بعداً هداماً رغم النوايا الحسنة لدعاته»! وقال: «يوجد ٩٠ مليون شيعي من بين مليار سني (..) وانني أخشى أن تعتنق الشعوب الافريقية والآسيوية المذهب الشيعي بسبب مضمونه السياسي - الثوري - اعتقاداً منها بأن هذا هو الاسلام الحقيقي وبذلك تكون قد أظلت».. عجيب!!

وماذا بعد؟ يضيف الملك: «ان هذه الحرب ـ العراقية الايرانية ـ مثلاً أدت الى فقد للهوية وقد بدأ الكثيرون يتساءلون هل هم عرب أم مسلمون.. ان العلاقات بين الاسلام والعروبة تطلب اعادة تحديدها!» اذن ما الحل الذي يرتئيه الحسن الثاني، وهو الملك في أساليب المناورة والخداع والتضليل، فهو يحاول ابتداءً ارجاع سبب مخاوفه الاصلي الى «المواقف المتناقضة والتحالفات المتعارضة التي عقدتها بعض الدول المشتركة على الصعيد العربي»، لذا هو يثير التساؤل التالي: «هل الذين عقدوا التحالفات على استعداد للتخلي عنها لصالح اتفاق بين العرب؟» ولمواجهة ايران.. وفي هذا التساؤل خطاب صريح انما غير مباشر الى سوريا.

وعلى غرار ماطالبت به «المستقبل» الباريسية فان الحسن الثاني بعدما يعرب عن «اسفه» بسبب ظهور الخلافات داخل تركيبة مجلس التعاون الخليجي «بشأن بعض الموضوعات» مشيراً ضمنياً الى عدم وجود موقف موحد من ايران،[١٩] فهو ينتقل الى حث دول المجلس على تشديد تكتلها وراء السعودية.

ان جملة العوامل المساعدة التي أتى ذكرها هي التي ساعدت السعودية بعض الشيء وحفزتها لمضاعفة ابتعادها عن الجمهورية الاسلامية وعدم اكتراثها لاطالة أو تضخيم أزمة العلاقات معها.

ولقد ترتب بنتيجتها اسراع السعودية نحو بلورة تحركها الهادف الى زيادة القيود المفروضة على ايران وزيادة شعور الايرانيين بالعزلة والحرمان حتى من تأييد.. سوريا وذلك في صورة المقررات التي أسفر عنها لاحقا مؤتمر القمة العربي في العاصمة الاردنية.

تسمية غير عادية لقمة.. عادية!

قمة عمان قد تكون فعلاً «غير عادية» وتصح تسميتها بهذه الصورة.. وقد لاتكون.

هي «غير عادية» لانه، لاول مرة يتقرر في اجتماع عربي بهذا المستوى، حسم البت في أهم المسائل المدونة في جدول الاعمال لصالح «الحد الادنى» من مطالبات دول الجناح الاميركي الذي تتزعمه السعودية. وحمل الجناح المنافس بالزعامة السورية على سحب معارضته بشأنها.

أما هل تكون قمة عمان في نفس الوقت «عادية جداً»؟ فالجواب هنا متروك للمراجعة السريعة لجداول أعمال القمم السابقة، بما اشتركت فيه من ابداء الاهتمام

البالغ ازاء تطورات الحرب العراقية- الايرانية. وقد نادى خلالها العراق وعدد من مؤيديه بضمنهم الأردن والسعودية - دائماً - بتطبيق «ميثاق الدفاع العربي» المشترك أزاء ايران. واذن فلا جديد في قمة عمان بهذا الشأن.

أنها على الاصح قمة عادية باخراج غير عادي. فألى جانب ان مقرراتها النهائية، استنساخ لما هو صادر عن الاجتماع الوزاري «الطارئ» في تونس، عدا موضوع استئناف العلاقات العربية والرسمية مع مصر. الا انه لوحظ في قمة عمان تكرار اتباع نفس نمط التحرك السعودي المحموم الذي شهدناه في تونس وذلك على هامش القمة. فالسعودية أعادت المطالبة بقطع العلاقات مجتمعة مع الجمهورية الاسلامية. وتردد عن ذلك كلام كثير في الصحف (ربما بتنسيق مباشر مع الاعلام السعودي والمسؤولين السعوديين) حتى تردد أن غياب الملك فهد شخصياً عن حضور القمة هو بسبب عدم حصوله على الضمانات الكافية للموافقة على طلبه هذا، وأن سوريا هي أول المعارضين له.(*)

لكن المحصلة النهائية لما طالبت به السعودية وحضرت له وفق مخطط مدروس كما سنرى، قد تم تدوينه في سياق المقررات الختامية للقمة. اذ تم توجيه مجموعة ادانات «لفظية» الى ايران ومواقفها من استمرار الحرب والوضع الخليجي ومن أحداث مكة. وأهمية تلك «الادانات» ليست نابعة من الصياغة التي اعلنت بها كمانص البيان الختامي بل لأن البيان ترك الباب مفتوحاً، في ضوئها وفي ضوء مقولة الأمن «القومي» المهدد، أمام استئناف العلاقات الرسمية لأي دولة عربية مع مصر انطلاقاً من أن ذلك عمل من أعمال «السيادة» الخاصة بتلك الدولة.

الأمل في تحسن العلاقات

تكللت قمة عمان بالنتائج التي مرذكرها، وكم كان لافتا ان يأتي وصف النتائج على لسان اسحق شامير رئيس وزراء تل ابيب، واثناء زيارته الرسمية حينذاك لواشنطن، بأن الرابح الرئيسي منها هو الولايات المتحدة..

ونحن أفردنا فصلاً كاملاً للحديث حول هذه النقطة.. حول علاقة مجزرة مكة وماتلاها بانعاش فرص المشروع الاميركي في المنطقة.

لكن في ختام هذا الفصل لا بأس من أعادة الاستدلال بأن كل ماطرأ على التوتير المقصود في العلاقات السعودية الايرانية لايصح التعاطي معه على أنه مجرد «ردود فعل» جاءت لتمر وتطوى صفحتها نهائياً لصالح.. عودة العلاقات الى طبيعتها من

جديد. لسنا دعاة حرب.. او لانرغب في ازالة ماعلق في العلاقات من توتر كبير، وقطيعة راهنة.

لكن بعد اطمئناننا الى كون ازمة العلاقات هي من النوع المفتعل.. أليس من حقنا ان نستوضح هنا عن مدى استعداد السعوديين في المقابل للتراجع عن رفع حدة معارضتهم ومناوأتهم للدولة الاسلامية في كل مكان..؟

سؤال طبيعي، اذا لم نسبقه بسؤال أولي آخر عن.. مدى استعداد السعوديين للاعتراف بخطئهم الكبير في مكة، واراقة دماء الحجاج الابرياء وانتهاك حرمة الحرم الآمن..

لقد كنا قد بينا في فصلنا الحالي، ان السعودية بدأت تحركاً منظماً منذ الاسبوع الاول الذي أعقب المجزرة بهدف اخضاع علاقاتها مع طهران لتحد وتصعيد مقصودين. وقلنا ان من أبرز علامات هذا التحدي هو اقتراف المجزرة ومطالبة الجمهورية الأسلامية بالسكوت والا فأن كل مالمسناه من الحملات الدعائية التشهيرية والدبلوماسية هو في انتظارها.

وان السعودية في كلا الحالتين ستسعى سعيها وفق مخطط مبرمج، شاهدنا للآن بعض فصوله.. لأجل احكام الحصار حول ايران وعزلها، وعزل الآخرين عن تقديم العون، لها.

والسعودية بكل ما ستلجأ اليه، ستؤكد.. أنه اذا كان التصعيد الذي أظهرته للآن يملأ نصف الدائرة من ذلك المخطط.. فان اظهارها احياناً لشيء من الليونة والرغبة في تهدئة الموقف مع طهران (نتيجة للوساطة السورية وغيرها) وسعيها الحثيث رغم ذلك لتحفيز مجلس الأمن ـ وتحفير العالم ـ على اتخاذ مواقف جديدة ضد الجمهورية الاسلامية.. فهذه الليونة المصحوبة بنشاط دبلوماسي سعودي متميز ـ ومضاد ـ هما اللذان يملآن نصف الدائرة المقابل..

ولن تتغير باعتقادنا سياسة السعودية المبنية دائما على معاكسة ايران.. سواء في فترات «الانفراج» او التصعيد في مجال العلاقات.. الا اذا نمت بالمقابل القدرات الايرانية وتسنت بواسطتها السيطرة شبه الكاملة على بعض المتغيرات في المنطقة، لاسيما خليجيا..

والى ذلك الحين يجب على ايران عدم التسبب في تشديد الحملات القائمة في وجهها واغتنام شتى الفرص للتخفيف من وقعها على العلاقات مع العواصم العربية والخليجية وليس مع الرياض فحسب.

وهذا بالضبط مايميز الدبلوماسية الايرانية الساعية قدر المستطاع لتجنب

الاصـطدام بأي طرف اقليمي ـ عدا «اسرائيل»ـ. . وعـدم التهـاون في اجـراء الاتصالات والمشاورات مع الخليجيين والعرب اللذين يبدون حسن نواياهم. . اذ ببركـة «الاتصـالات الجارية ظهرت مؤخراً نتائج ملموسة، تعالت بسببها أصوات خليجية لتـطالب بمـزيد من التفـاهم تجاه ايران» (راجـع التقرير الذي بثته وكالة الصحافة الفرنسية بتاريخ ٨٧/١٢/١٧ عن دبلوماسية ايران عام ١٩٨٧).

هوامش:

١) ألقبس الكويتية في ١٩٨٢/٥/٢٨ نقلا عن راديو الرياض.
٢) عدد ١٩٨٢/١/١٦
٣) «خريف الاستكبار» قراءة في فصول الحرب الطويلة، ص ٢٤٦ ـ ٢٥٣
٤) المصدر السابق
٥) في مقابلة صحفية للدكتور كمال خرازى مسؤول مكتب الاعلام الحربي في ايران مع مجلة العالم (العدد ١٨٤)، أكد خرازى ان الحكومة السعودية أبلغتهم عبر تركيا وسوريا بعدم السماح بتظاهر الحجاج، وانها نفذت جريمتها مع سبق الاصرار. وبالصدد ذاته تم استيضاح المسؤولين في بعثة الحج الايرانية وقد اجابوا بانهم لم يغفلوا أن تضييقات ومتاعب تنتظر مسيرة الحجاج في مكة وانهم اعتادوا سماع «تهديدات» سعودية كل عام، لكن الذي حصل اخيرا في مكة فاجأهم بشدة لأنه لم يكن في تصور أحد ان الامور ستؤول الى ما آلت اليه.
٦) قالت صحيفة «آل مساجرو» الايطالية ان السعودية تعتبر من أكثر البلدان انغلاقا على نفسها بين البلدان العربية، وتسيطر على صحافتها رقابة رسمية شديدة. الا ان ذلك لم يمنع بدوره من تفشي معلومات مغايرة لما اذاعته المصادر الرسمية السعودية بخصوص أحداث مكة (كيهان العربي عدد ٨٧/٨/١٧).
٧) العدد «٥٤٣٢»
٨) العدد «٧٧٠٥»
٩) المتتبع لما تنشره الصحف السعودية تطالعه عبارات ومفردات مكررة بايقاع ممل في سياق الانباء والتقارير والعناوين والشروح التوضيحية تحت الصور، ومن ذلك: «فئات من الحرس الثوري.. المندسة بين الحجاج» «كوماندوز ايراني جاء لتخريب الاراضى المقدسة» «تحريض مسبق على حمل السلاح» «لم يكتفوا بالحجارة والسكاكين والضرب..» «الضحايا سقطوا نتيجة الدهس والاصابة بالآلات الحادة» والملاحظ من هذا التكرار المتعمد للعبارت والمفردات المستوحاة من نصوص البيانات الرسمية السعودية، ان الهدف بواسطته هو محاولة ترسيخ أمور معينة في الاذهان بالاستفادة من مقولة «اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس».
١٠) نقلا عن صحيفة عكاظ الصادرة في ٨٧/٨/٨.
١١) «عكاظ» العدد «٧٧٠٣»
١٢) نشرت الصحف السعودية وقائع مؤتمره الصحفي في اعدادها ليوم ٨٧/٨/٦.
١٣) هذا الطرف هو سوريا، وقد أعادت وساطتها في الفترة بين نهاية ١٩٨٧، وبداية ١٩٨٨، الا أن الوساطة السورية لم تكن موفقة في محو الخلافات بشأن موضوع الحج وربما كانت موفقة في أمور ثانية كتقريب وجهات النظر الخليجية والايرانية ازاء الوضع الخليجي، وتعزى العراقيل التي واجهتها سوريا في مجال الوساطة الى رفض السعوديين استيعاب مطالب الايرانيين بالنسبة للحج. والى ان السعي السوري لم يأت بمبادرة ذاتية بل ربما بطلب من الرياض ومن قوى عالمية، وهذا ما لاينسجم مع الموقف الايراني لأن الجمهورية الاسلامية تتميز بنظرتها المستقلة للقضايا، كما هي لاتُقَيم أي أمر يعنيها على أساس مادي، وقد رفضت عرضا سعوديا غير معلن بمنح تعويضات مالية عن الاضرار الناجمة بسبب الهجوم على الحجاج الايرانيين.. وشددت على ضرورة ان يسبق أي تعويض مقبول اعلانه والاعتذار رسميا، وتخلى السعودية عن القيود التي تفرضها في مواسم الحج.
١٤) «الشرق الأوسط» السعودية، العدد «٣١٦٩»

١٥) «عكاظ» العدد «٧٧٠٧»
١٦) «الجزيرة» العدد «٥٤٣٢»
١٧) «حديث شؤون الساعة» اذاعة لندن، مساء الثلاثاء ٨٧/٩/١٥.
١٨) عن تعليق بقلم المراسل الدبلوماسي «اندرو مكارن» لصحيفة التايمز، ونشرته الصحيفة في عدد ٨٧/٨/٣١.
١٩) من تعليق للوكالة (بتاريخ ٨٧/١١/٢٥) على كلمة السيد الخامنئي رئيس الجمهورية الاسلامية في المؤتمر الذي حضرته شخصيات اسلامية وعالمية في طهران وخصص لبحث قداسة الحرم المكي وأمنه. الملفت ان من أبرز الشواهد التي استندت اليها الوكالة في اثبات «التضامن» العالمي والاسلامي مع السعودية هو الاجتماع الذي دعت اليه «رابطة العالم الاسلامي» السعودية وعقد في تشرين الاول ٨٧ وأسفر عن اعلان «ان أمن الاماكن المقدسة والحجيج يقع على عاتق الحكومة السعودية».
٢٠) من تصريحات أدلى بها لمجلة «الاسبوع العربي» اللندنية، وتم نشرها بتاريخ ٨٧/٨/٢٤.
٢١) نبيه برجي «من ينتصر في الحرب السعودية الايرانية؟» «الكفاح العربي» اللبنانية العدد «٤٧٧».
٢٢) عدد الأثنين ٨٧/٨/٣١ ، كتب التعليق المراسل الدبلوماسي للصحيفة «اندرومكارن».
٢٣) راجع تصريحات على الشاعر لمجلة «الاسبوع العربي» ٨٧/٨/٢٤.
٢٤) من تصريحات السفير السعودي بندر بن عبدالعزيز، المنشورة بتاريخ ٨٧/٨/٦.
٢٥) الملك الحسن هو صاحب المبادرة «الشهيرة» بطلب عقد قمة اسلامية وتشكيل لجنة للقدس مازالت برئاسته، عقب اندلاع موجة من ردود الفعل الغاضبة على جريمة احراق المسجد الاقصى عام ١٩٦٩، وبقصد تخفيف موجة الاستنكار والسخط الاسلاميين التي عمت في ذلك الحين.
٢٦) «الاهرام» القاهرية، «٨٧/٨/٥».
٢٧) نشرتها الصحف السعودية في ٨٧/٨/٦.
٢٨) في مقابلة مع مجلة «نوفيل اويزرفاتور» الباريسية نشرتها بتاريخ ٨٧/١٠/١.
٢٩) نقلت ذلك صحيفة «عكاظ» في سياق تغطيتها لردود الفعل على المجزرة عدد ٨٧/٨/١٦.
٣٠) «الشرق الاوسط» السعودية ٨٧/٨/٥.
٣١) من تلك البيانات تعليق بثته وكالة الأنباء السعودية بتاريخ ٨٧/١١/٢٥.
٣٢) «الرياض» عدد ٨٧/٨/١٦.
٣٣) راجع نص كلمته المنشورة في «عكاظ» في ٨٧/٨/٢٥.
٣٤) عبدالكريم أبو النصر، راجع عدد المجلة الصادر في ٨٧/٨/٥.
٣٥) «النهار» البيروتية، ٨٧/٨/٦.
٣٦) «السفير» البيروتية، ٨٧/٨/٣٠.
٣٧) الطبعة الفارسية الخاصة لـ«عكاظ» الجمعة ٨٧/٨/٧.
٣٨) «الجزيرة» العدد «٥٤٣٢» ٨٧/٨/١٣.
٣٩) «عكاظ» العدد ٧٧٢٢ ، ٨٧/٨/٢٥.
٤٠) «الشرق الاوسط» السعودية ، العدد «٣١٩٣» ٨٧/٨/٢٦.
٤١) «توني ووكر»، مقتطفات من احاديث الصحف البريطانية، اذاعة لندن، مساء الجمعة ٨٧/٨/٢٨.
٤٢) نيويورك تايمز «الشرق الاوسط والمغرب العربي وراء العناوين والاضواء» «صوت اميركا»،

مساء الثلاثاء ٨٧/٨/٢٥.

٤٣) «ميشيل دوبسيون» صحيفة «لوسوار» البلجيكية ٨٧/٨/٤.

٤٤) من وقائع المؤتمر الصحفي «العالمي» للوزير نايف، «الشرق الاوسط» ٨٧/٨/٢٦.

٤٥) «جوناثان بروير» ، «شيكاغو تريبيان»، ٨٧/٨/٢٣.

٤٦) «عبد الله احمد حسين» ، «عندما يكون قطع العلاقات علاجا!»، «الانباء» الكويتية ٨٧/٨/٢٥.

٤٧) المقال بعنوان «الوسيط السعودي والسند العربي» ونشرته المجلة في نفس عدد منتصف آب.

٤٨) نشرت الصحيفة الحديث بتاريخ ٨٧/١١/٤.

٤٩) راجع تقرير وكالة الصحافة الفرنسية الذي أذاعته في نفس يوم نشر «السياسة» الكويتية لحديث الحسن الثاني.

٥٠) تضمن ذلك تعليق لـ«الايكونوميست» اللندنية في ٨٧/١١/١٣.

النفخ في نار الحرب

ان ماحدث في مكة اكثر اهمية من الصدامات التي تجري على الجبهة في الخليج.

«كلود شيسون»
وزيرالخارجية الفرنسي الأسبق

المجزرة يمكن ان تعد واحدة من حلقات التصعيد الأخيرة في الحرب بين العراق وايران.

انها التصعيد الذي تمثله المجزرة له خصوصياته التي تلتقى مع نمط التعامل الاميركي مع موضوع الحرب.

فكما وجد صدام حسين نفسه مدفوعا دفعا بالعامل الذاتي وبالتحريض والتشجيع الاميركيين نحو شن الحرب ومواصلتها باللجوء الى ممارسات التصعيد المختلفة ظنا بأنها ستنقذه من الطريق المسدود الذي آلت اليه خياراته المعلنة في الحرب.

فعلى نفس الغرار، وجد الملك السعودي فهد بن عبدالعزيز نفسه مدفوعا بالعوامل الداخلية والمحلية، وبالضوء الأخضر الاميركي نحو التنفيذ المباشر للمجزرة أملا في أن تساعد النتائج المترتبة عليها في تخليصه وتخليص حكومته من مأزق الدعم الذي لاينتهي لنظام صدام حسين، والذي لانتنهي بوجوده ـ الدعم ـ انعكاسات الحرب واخطارها على الخليجيين والسعوديين أنفسهم.

وبالنتيجة.. فكما شعر الرئيس العراقي صدام بأن تعزيز التواجد الاميركي الخليجي هو لمصحلته في ابقاء حربه مشتغلة، وابقاء تصعيده ضد حركة السفن المتجهة الى ايران أو القادمة منها..

فان هناك شعورا مماثلا لدى الملك السعودي فهد ـ اذا لم نقل تحفيزا مباشرا له ـ لكي يضع مخاوفه ومحاذيره السابقة جانبا ويصعد من حدة المجابهة الى حدود قصوى وبالغة الخطورة عليه وعلى نظامه مع الجمهورية الاسلامية.

منشأ المخاوف الخليجية

ولكن هذه المخاوف من أين أتت، وما هي طبيعتها ولمصلحة من تُستغل وتكرس في العادة؟.

عن طبيعة هذه المخاوف، يحدثنا أحد الخبراء الاميركان المتخصصين بالشؤون السعودية وهو «انطوني كوردسمان»[1] فيقول: «ان أوقات الارتياح بالنسبة للمسؤولين والقادة السعوديين كانت دائما هي الأوقات التي يظهر فيها الجمود على حركة الجانبين المتحاربين ـ العراقي والايراني ـ . . حيث يبدو كل منهما غير قادر على احراز نجاحات ميدانية ضد الآخر، لكن عندما شنت ايران هجومها الذي أطلقت عليه اسم عمليات الفتح المبين في آذار ٨٢ التي يعتبرها المخططون العسكريون نقطة تحول في مسار الحرب (في هذه العمليات تمت اعادة السايت رقم ٢ في شوش ودزفول الايرانيتين، ويرجح ان تكون نقطة التحول الرئيسية في مسار الحرب سبقت هذا التاريخ وتعود الى ٨١/٩/٢٧ في عمليات فك الحصار عن آبادان). . وعندما استعاد الايرانيون منطقة خرمشهر ـ في ٨٢/٥/٢٥ ـ أصيب الحكام السعوديون بأضطراب شديد».

ويضيف كوردسمان «ان الفزع الكامل دبَّ في قلوب الحكام السعوديين عندما أصبحت البصرة مهددة، فقد عنى تهديد البصرة لهم أن الاستقرار السعودي مهدد الآن بعمليات عسكرية».

وقياسا على وصف الخبير الاميركي لنتصور حجم الفزع الذي دبّ في نفوس أولئك الحكام لدى سماعهم نبأ سقوط «الفاو» العراقية والعبور الايراني في شباط ١٩٨٦.

أو عند نجاح القوات الاسلامية الايرانية في الاقتراب مسافة نحو ١٠ كيلومترات أو أقل من مدينة البصرة اثناء سلسلة من العمليات المتلاحقة الموسومة بعمليات «كربلاء» خلال النصف الثاني من عام ٨٦.

لقد كتب حينها مراسل مجلة المستقبل الباريسية من الكويت معلقا: «أن بعض مشايخ الخليج وحكامه لم يسعهم النوم حتى الصباح. . . . . إذ ظلوا يتابعون التقارير الفورية عن تطور العمليات لحظة بلحظة».

أما عن منشأ هذه المخاوف لدى حكام الخليج، فللتعرف عليه يلزمنا التدقيق في جملة ارقام ومؤشرات مؤيدة للتورط الخليجي منذ البداية في اسناد العدوان العراقي الواسع على اراضي الجمهورية الاسلامية:

ـ أول علامة بارزة على التواطؤ السعودي العراقي مثلتها الزيارة الخاطفة لصدام حسين للرياض في ٥ ـ ٦ آب ١٩٨٠، اي قبل ما يناهز الشهر ونصف من بداية الحرب، وعن الذي دار في هذه الزيارة وباقي الزيارات والاتصالات مع العواصم الخليجية قبيل شن الحرب وبعدها بفترة غير قصيرة، حدثنا صدام نفسه في تصريحاته لمجلة «المستقبل» في تشرين الاول ١٩٧٩ مشيرا الى أنه لاغنى للخليجيين عن حمايته في الدفاع عن «السيادة العربية» وقد علقت صحيفة الثورة البغدادية في أحد اعدادها[٢]، وقبل خمسة أشهر تقريبا من بداية الحرب الاولى مشيدة بالتأييد الخليجي «للقائد العربي صدام حسين الذي كان يعني مايقول! وقد أعربت الاقطار الخليجية عن تقديرها لهذا الموقف الحازم.. الذي وقفه العراق الذي يناضل على عدة جبهات».

ولا نظن أن الحكام الخليجيين كانوا يجهلون أن حربا واسعة ومدمرة على الابواب، فها هو «رياض نجيب الريس» الصحفي الشهير بصلاته معهم قد بكر في نشر مقال عن الحرب[٣]، بعنوان «من يحمي الخليج من عودة الاستعمار؟» وفي المقال مانصه: «اذن نحن على ابواب حرب حقيقة، وعلى أرض من الخوف، وعلى شواطئ من القلق، وفي مياه من الرعب، وعلى مشارف اتساع الصحراء، بات من شبه المؤكد ان الاستعمار قد وجد ارادته السياسية واتخذ قراره، وبقى الناس ينتظرون الأداة العسكرية».

وواقع الامر الذي لامناص من قبوله هو أن هؤلاء الحكام لم يكن يراودهم تفكير الا كيفية اجهاض التجربة الاسلامية الفتية في ايران، وعن هذا يحدثنا الصحفي الفرنسي «كينز مراد» في مقال نشر في غصون الأشهر القليلة التي مهدت لبداية الحرب، فيقول بالحرف: «ما من دولة في الشرق الاوسط خاصة، وفي العالم أجمع لاترغب في القضاء على الثورة الخمينية، واقامة نظام حكم في ايران اكثر مرونة..»[٤].

ـ قدمت السعودية ـ ولاتزال ـ دعما ماديا مستمرا الى صدام في حربه، تقدره بعض الأوساط المطلعة بمليار دولار شهريا، وان مجموع ماقدمته دول خليجية لصدام حتى أوائل عام ١٩٨٣ بلغ ٤٥ مليار دولار، من غير الهبات والمساعدات السعودية[٥]. الى جانب ذلك، نقلت وكالة اليونايتدبرس عن مصادر عربية في عمان أن الدول الخليجية لاتكتفي بدعم صدام بل تدعم الملك حسين أيضا معنويا وماديا بسبب موقفه المؤيد للعراق»[٦]، ولايخفى عن عين أن مصر تطمع كذلك بدعم خليجي متميز لمواقفها المؤيدة لصدام حسين ولموافقتها على ارسال قوات مصرية

للمرابطة في الكويت والسعودية وكما جرى الكلام عن ذلك علنا بعد قمة عمان العربية «غير العادية» في تشرين الثاني ١٩٨٧.

ـ بعد مضي شهر واحد تقريبا على اندلاع الحرب العراقية الايرانية نشرت صحيفة كويتية، تقول: «لابد من ملاحظة الخط المتصل الذي اقامته المملكة العربية السعودية والأردن لتأمين خطوط المواصلات والامداد والتموين الى العراق، الذي تعطلت امكانية التصدير اليه عن طريق البصرة وعن الطريق البري عبر سوريا»[٧].

وينسب الى «وليام كانت» مسؤول الشرق الاوسط في مجلس الأمن القومي الأميركي سابقا، أنه في نهاية العام ١٩٨٠، «كان ميناء القديمة السعودي الذي يقع الى الشمال من جدة قد أصبح المرفأ الأكثر أهمية كطريق للأمدادات المتجهة الى العراق».

اسبوعية «الكفاح العربي» التي أوردت ما ذكره «كانت» أضافت من جانبها (عدد ٨/١٠/٨٧) بأن المطارات السعودية استقبلت في بداية الحرب عددا وافرا من المقاتلات والطائرات العراقية خشية الهجمات الايرانية. وفي نفس المضمار، لاتفوتنا ملاحظة أن الكويت والسعودية أعلنتا غير مرة عزمهما على مواصلة ضخ النفط من منطقة «الحياد» الحدودية المشتركة مع العراق لمصلحة الأخير. علاوة ايضا على ان النفط العراقي يجري ضخ قسم منه الى الخارج عبر مرفأ التصدير السعودي «ينبع» على البحر الاحمر.

ماذكرناه من أدلة قاطعة حول أبعاد التورط الخليجي السعودي الى جانب العراق في الحرب يمكن ان يضع قارئنا الكريم في صورة الاسباب التي ترفع من شدة تأثر الحكام الخليجيين من أي خسائر وتراجعات يمنى بهما العراق في حربه.

المخاوف . . لمصلحة من ؟

والقارئ المتتبع لاحظ أن الحكام المعنيين، سارعوا بمجرد احساسهم الواثق بأن العراق لن يكون بوسعه تسجيل نصر حاسم على الجمهورية الاسلامية الى اتباع جملة سياسات احترازية ووقائية، مخافة التعرض للانتقام الايراني أو امتداد الحرب بشكل طبيعي الى من كانوا سببا مباشراً في نشوبها الواسع.

وقد تراوحت السياسات الخليجية الوقائية بين محاولة اقامة أنظمة دفاعية داخلية وطلب العون والاستمداد العسكري والأمني من الخارج وبين محاولة التقرب من ايران والاطمئنان الى حقيقة النوايا الايرانية تجاه المنطقة الخليجية.

ويمكن التأكد من أن أغلب السياسات الخليجية المعنية هي محل رضا واتفاق الغربيين والاميركيين عليها. كما أن العراق وباقي الدول العربية والمحلية المؤيدة له لم تقف موقفا معارضا منها. ماعدا موضوع التقارب والتفاهم مع الجمهورية الاسلامية، فلقد انقسمت الدوائر العربية الى مؤيد ومعارض لخطوة التقارب. ولربما غضت اميركا من جهتها النظر في فترات خاصة عن معارضة هذه الخطوة. الا أنها ظلت تشدد على أهمية التعاون بين أطراف عربية مؤيدة للسياسة الاميركية كمصر والأردن أو غير عربية كتركيا وباكستان من جهة وبين الأطراف الخليجية من جهة أخرى.

وعلى هذا دار في تلك الأثناء حديث ساخن عن الدعم الذي بامكان تركيا أن تقدمه للخليجيين وقام أكثر من مسؤول خليجي بزيارة أنقرة. ولقد نسب الى مسؤول تركي كبير قوله «اذا نشبت أزمة في الخليج لن نظل ساكتين.. اننا نعتبر الخليج عمودا فقريا لنا». كما قالت صحيفة «ديلي تليغراف» اللندنية «ان باكستان تعهدت بارسال فرقتين للدفاع عن السعودية»[٨]. وبرغم كل «التطمينات» التي حصلت عليها دول الخليج من مصادر عديدة والمشاريع التي عرضت عليها أو هكذا تردد في الصحف، كأقامة حلف أقليمي بين تركيا وباكستان والسعودية مشابه لحلف بغداد السابق، فأن المقولة التي أطلقها أحد الرؤساء الخليجيين وهو السلطان قابوس سلطان عمان وتضمنت تأكيدا بأن دول الخليج المجتمعة لن تضاهي في قوتها جانبا من القوة الايرانية، هذه المقولة هي التي بقيت سيدة الموقف الخليجي والغالبة على تفكير دول الخليج مجتمعة.. وعليه حاولت هذه الدول غير مرة أبداء شيء من الرغبة في الحوار مع طهران والتفاهم مع قادتها الاسلاميين الجدد.

والواقع، الذي لابد أن يقال.. فكلما تقدمت الدول الخليجية خطوة تمهيدية واحدة باتجاه التكفير عن الماضي والتفاهم مع جارتها ايران فان ردود الفعل الغربية والعربية ـ العراقية تحديدا ـ ظلت تعيقها وتثنيها عن مثل هذا الأمر. فضلا عن وجود عائق اضافي يجسده بعض القناعة المتفشية والتي هي بدورها صناعة غربية في الاساس، عن كون الانفتاح على الجمهورية الاسلامية لاينبغي أن يكون ثمنه التنصل عن مساعدة العراق مالياً ومادياً والتسبب في فوز ايراني ساحق قد يسمح بـ«تصدير الثورة الايرانية» الى الاراضي الخليجية والى عموم المنطقة.

ومن بين أهم ردود الفعل العملية التي بقيت تشكل حائلا رئيسيا أمام عودة الاتصالات الخليجية الايرانية الى مجاريها الطبيعية وبدء مرحلة جديدة من الحوار بين الطرفين، هي ردود فعل بغداد وحساسيتها البالغة تجاه كل اتصال يمكنه ان ينسحب سلبا على الموقف الخليجي الداعم بلا حدود لها.. ولقد توالت وتنوعت ردود الفعل

هذه بحسب المستجدات التي طرأت على الموقف الخليجي من كل من بغداد وطهران:

- ضرب آبار نوروز النفطية الايرانية الساحلية في ١٩٨٣/٢/٨ وتلوث المياه الخليجية بالنفط المتسرب من الآبار شكل أبرز اشارة تحذير عراقية مبكرة حيال الفتور الذي طرأ على التعامل الخليجي مع موضوع الحرب، وبعد اعادة السيطرة الايرانية على مدينة خرمشهر الجنوبية.

- مهاجمة سفينة الشحن السعودية العملاقة «العرب» في أيار ٨٤ (اعلن وقتها أن الهجوم حصل بطريقة الخطأ) قصد بواسطتها توجيه تحذير هام ومسبق بأنه من غير المسموح للدول الخليجية أن تأخذ فيما بعد موقفا سلبيا ومعارضا للرغبة العربية في اشعال فتيل حرب السفن. ولقد هزت الرياض ايضا موجة تفجيرات عراقية في وقت متزامن مع زيارة قام بها وزير الخارجية السعودي لطهران في ٨٥/٥/١٩، حيث جاءت التفجيرات بمثابة احتجاج عراقي بالغ الشدة على المباحثات الايرانية السعودية بشأن موضوع الحرب ومستقبل العراق السياسي.

- عام ١٩٨٥ (في رمضان ذلك العام) حدث انفجار عنيف في شقة السكرتير الثاني للسفارة العراقية في ابوظبي، وأفرزت التحقيقات أن سبب الانفجار هو وجود كميات ملحوظة من المواد الانفجارية التي كان الهدف منها، القيام بموجة أعمال تخريبية في عدد من الممثليات الايرانية بالمدينة واحداث أزمة حادة في العلاقات الايرانية الاماراتية.

- في «٨٥/٥/٢٥» فاجأ الجميع مخطط اغتيال أمير الكويت من خلال اللجوء الى اعتراض موكبة بسيارة مفخخة استخدمتها السفارة العراقية التي تزود عن طريق عملائها المتنفذين في المواقع الكويتية الحساسة بالمعلومات الوافية عن تحركات ونشاطات أمير البلاد الداخلية. والوحيدون الذين لم تفاجئهم العملية، هم المتابعون لهبوط مستوى المساعدات المالية للعراق وقتذاك، بصورة حادة نسبيا، حيث كانت الكويت تمر بالفعل بضائقة مالية كبرى.

- وأخيرا . . ومع قيام سوريا بمهمة التوسط والتقريب بين وجهات النظر الخليجية والايرانية، فلقد بلغ السخط العراقي الرسمي تجاه هذه المهمة، حداً أدهش الجميع. ويذكر أن وزير الخارجية السوري الشرع نوّه في طهران لدى تسليمه رسالة الرئيس الأسد الى السيد الخامنئي في ٨٨/١/٣١ بأنه متعجب من هذه الحساسية المفرطة التي تبديها بغداد حيال المسعى السوري لمد جسور الارتباط ما أمكن بين طهران وجاراتها الخليجيات. وتساءل الوزير بالمناسبة: هل يرضى العراق ماتتعرض

له الملاحة الخليجية والمتعلقة بدول عربية في الخليج من أخطار؟!.

التحريض الاميركي و الغربي

أوردنا عدة أمثلة حول الحساسية التي يبديها العراق دائما ازاء أي مسعى حقيقي ومثمر للتقريب بين الايرانيين والخليجيين ومنبع الحساسية هو الخشية من آثار التقريب على استمرار الدعم الخليجي المستمر للعراق في حربه. وهناك دول عربية وأجنبية كثيرة تبدي حساسيات مشابهة.. وسنذكر مايؤيدها بقدر مايتيحه المجال هنا. وفيما سنذكره يلاحظ القارئ أن الدول الغربية وأميركا تكرس اهتماماتها ودعواتها ليس لعدم الكف عن دعم نظام صدام حسين فحسب بل ولترويج المخاوف حول «الأخطار» المزعومة التي «تهدد» بها الثورة الاسلامية دول الخليج:

- خلال احد زياراته لمصر صرح الرئيس الفرنسي ميتران بأن بلاده لايمكن ان تسمح بسقوط نظام بغداد مطلقا لان هزيمته في الحرب تعني باختصار هزيمة ساحقة لفرنسا. وكانت الأذاعة الفرنسية قد عقبت على حديث مماثل لوزير الخارجية الفرنسي السابق «كلود شيسون» في ٨٢/٧/١٥ بالقول: «ان سقوط صدام سيسبب سقوط دويلات الخليج الفارسي»!

- في احدى محاضراته السياسية الهامة، قال البروفسور «اردينلوتاكر» أحد خبراء الخارجية الاميركية: «اليوم وبعد تبلور الثورة في ايران، تحولت نواة التهديد المحتمل للمصالح الأمنية في اوربا الى منطقة الخليج الفارسي، حيث ان المصالح الغربية تواجه اليوم الهجوم والخطر من ثلاث مصادر:

(أ) من بلدان المنطقة التي تحاول بواسطة نفوذها أن تحول دون استغلال الغرب لمنابعها بحُرية تامة..

(ب) من قوة جاذبة تدخل كحركة ثورية في الساحة الدولية.

(ج) الهجوم السوفيتي».

ثم يعلن «تاكر» طريقة تصديه لهذه المخاطر بقوله: «ان البلدان التي فشلت فيها السياسة الاميركية كأيران بحاجة الى سياسة أميركية هجومية لتغيير الوضع فيها، وفي حالة فشل أميركا فأن القوات غير الثورية المتواجدة في المنطقة سوف تسرع لمساندة الاستراتيجية الاميركية وتسرع للتدخل في الأمر»[٩].

- «هارولد براوان» وزير الدفاع الاميركي السابق نُشر له حديث عن النفقات العسكرية الاميركية لعام ٨١[١٠]، وفيه يقول: «ان أكبر خطر يهدد الأمن القومي الاميركي في منطقة الخليج الفارسي هو امتداد رقعة التمرد والعصيان التي لايمكن

السيطرة عليها في بلدان العالم الثالث، وليس خطر السياسة التوسعية للاتحاد السوفيتي». والذي يعنيه قول الوزير ومن قبله البروفسور الاميركي هو أن «خطر» الحركات الثورية الاسلامية والتي يعتقد أنها قويت كثيراً بعد قيام النظام الاسلامي في ايران يعد منشأ كل «الاخطار» في المنطقة. وفي القولين تحفيز صريح للأنظمة الخليجية وأنظمة المنطقة لتحاول التخلص مما يتهددها بأثارة المتاعب في وجه ايران.

ـ أبلغ وزير خارجية الولايات المتحدة السابق الكسندر هيغ وزراء حلف شمال الاطلسي في ٨٢/٥/١٧، ان المكاسب التي حققتها ايران في حربها مع العراق قد زادت من حدة المخاوف المتعلقة بالأمن بين دول الخليج المنتجة للنفط مما قد يترتب على آثار سيئة بالنسبة للمصالح الغربية»[١١].

ـ اعلن «كاسبر واينبرغر» وزير الدفاع الاميركي السابق امام جمعية السياسية الخارجية في نيويورك «ان نصراً ايرانياً في الحرب الايرانية العراقية لن يكون في صالح الولايات المتحدة»[١٢]. هذا الاعلان الذي جاء على لسان الوزير قبل ان يستقيل من منصبه بكثير هو اشارة تحذيرية للدول الخليجية بأن مايهدد المصالح الاميركية يضر بمصالحها هي كذلك.

ـ في ٨٤/٢/٢ اجتمع ريتشارد مورفي بصدام حسين، والذي دار في الاجتماع تمخض عنه قرار عراقي بعد أيام معدودة منه بالاغارة على عدة مدن ايرانية في آن واحد وبالفعل استهدفت مدن مسجد سليمان، بهبهان، كيلان، ايلام، دزفول، آبادان، انديمشك، خرمشهر وذلك دفعة واحدة يوم ٨٤/٢/١٤. الأمر الذي نفد معه صبر الجمهورية الاسلامية وأعلنت على لسان الرئيس السيد علي خامنئي قراراً بالتهديد في الرد بالمثل.. ولعل هدف مورفي الواضح من الاجتماع بصدام هو تصعيد مهاجمة الاهداف المدنية الايرانية بالشدة التي دفعت منذ ذلك الحين الى اندلاع حرب المدن. والهدف النهائي هنا، بث المزيد من المخاوف في نفوس الخليجيين ودفعهم الى مواصلة دعم بغداد بلاحدود. ونعلم ان من وسائل صدام لاشعار الدول الخليجية بان ابتعادها عنه يعني امتداد نار الحرب اليها، استئناف مهاجمة السفن والمدن بقوة لاجبار الجمهورية الاسلامية على الرد.. وهذا الاشعار هو في كل الأحوال يكون اشعاراً اميركيا عندما تتصدى واشنطن لتأييد الموقف العراقي بصدده. وكما أصدرت الخارجية الاميركية مثلا في ٨٤/١٢/٢١ بياناً أعربت فيه عن أن هجمات العراق على السفن المبحرة في المياه الخليجية هو أمر مقبول!

وعلى اي حال نرجو ان نكون قد أعطينا للآن فكرة واضحة عن الاسباب التي تجعل الدول الخليجية تراقب بقلق كبير مجريات وتطورات الحرب العراقية ـ الايرانية.

كما أننا أشرنا الى أهم الأمثلة والبراهين عن وجود عراقيل جمة امام هذه الدول، تعيقها عن مراجعة سياساتها التي دفعتها الى التورط العميق الى جانب العراق في الحرب.

يبقى أن نقول بأن كل ماقد يعترض سبيل الدول المعنية منعاً لتقربها أو بلوغها صيغة تفاهم خاصة مع الجمهورية الاسلامية، فهو حسب القناعات الموجودة لدى مسؤولين خليجيين، لن يعفيهم من تحمل جانب كبير من المسؤولية عن الحالة التي هم فيها فعلا. تؤكد ذلك، التصريحات المنسوبة الى وزير خارجية سلطنة عمان، يوسف بن علوي، التي يحث من خلالها «الاشقاء» الخليجيين للسلطنة، ليحاولوا استيعاب تجربة العلاقات الايرانية السوفيتية وأنه على رغم الاختلافات السياسية الكبرى بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية الاسلامية فقد استطاع الطرفان من الاحتفاظ بمساحة ود في العلاقات بينهما، وتساءل بن علوي عن السبب الذي يمنع من تطبيق نفس التجربة على العلاقات الخليجية مع طهران.

وبما يدلل عليه حديث المسؤول العماني الكبير، يمكننا الجزم بوجود خلافات عميقة بين وجهات النظر الخليجية بخصوص الموقف من ايران.. الأمر الذي نسب اليه الملك المغربي رأيه الذي أكده لصحيفة كويتية وأشرنا اليه في الفصل السابق عن «أن غياب الوحدة في المواقف العربية حيال ايران أمتد أيضا الى داخل تركيبة مجلس التعاون الخليجي».

محاولات «توحيدية» ضد ايران

لما تقدم، ربما نتساءل عن المحاولات التي بذلت لتوحيد المواقف الخليجية داخل أطر واحدة، متشابهة وتتمحور حول الرغبة في ابقائها جميعا رهناً بيد الرياض مثلا. ولتتولى من جهتها تحريكها وتوجيهها كيفما تقتضي المصالح العليا للغرب، إما لجهة التحكم بنوعية العلاقات الخليجية مع الجمهورية الاسلامية، وبالتالي فرض أطواق من العزلة المحلية على الأخيرة بعد فشل الخيارات الغربية والاميركية في هذا المضمار.. وإما لمحاولة توفير دعم لاينضب للعراق في حربه ومنع انهياره امام العمليات الحربية الايرانية، المتلاحقة والشديدة الأثر، ولمنع الجمهورية الاسلامية في الحقيقة من تسجيل نصر حاسم في الحرب وانهائها.. اذ المطلوب بنظر الغرب ودول الخليج على صعيد نتائج الحرب هو واحد على الدوام وملخصه: «أنه لامانع من اتاحة الدعم الكافي للعراق لاطالة الحرب أما السماح بفوز ايراني ساحق فهذا ممنوع لأنه سيقود حكما الى تمدد مساحة الحرب»!

ولنـذكر جوانب من المحاولات التي بذلت لتوحيد الموقف الخليجي في وجه الجمهورية الاسلامية:

تشكيـل مجلس التعاون الخليجي: يأتي في طليعة المحاولات المبذولة.. أعلن عن تشكيل المجلس في ٤ شباط ١٩٨١ بعد مشاورات وزيارات سرية متعددة قام بها وزيرا الخارجية والدفاع الاميركي في عهد جيمي كارتر، وساعدهما في مهمتهما وزير الخارجية البريطاني حينذاك اللورد كارنكتن، وقد بدا مجرد انبثاق المجلس بعد ثمانية أشهر من بداية الحرب العراقية الايرانية في ٢٢ ايلول ١٩٨٠، ان المطلوب وراءه هو توحيد القرار والدعم الخليجيين لصالح العراق. وبعدما تعذر على الأخير أن يكسب الحرب بالضربة القاضية وأفضل من عبر عن اهداف المجلس كان الأمين العام له «عبد الله بشارة»، اذ أكد في بداية اشغاله لهذا المنصب، أن الطروحات القائلة بأن مجلس التعاون باستطاعته التوسط في موضوع الحرب هي «غير موضوعية» وأضاف: كيف نكون وسطاء في موضوع نحن «طرف أساسي» فيه، وقال ان الدول الخليجية تتوقع من ايران «احتمالات سيئة عديدة»[١٣]!

عقد الاتفاقيات الدفاعية المشتركة أو وضع أنظمة مشتركة للدفاع: بعد انتقال زمام المبادرة في الحرب تدريجيا الى يد القوات الايرانية الاسلامية، اواسط عام ٨٢، شرعت الدول الخليجية في البحث عن تطبيق وسائل احترازية اضافية تقيها أخطار الحرب، وتبعدها أكثر عن الجمهورية الاسلامية. وقد تمخض اجتماع عاجل لوزراء خارجية مجلس التعاون في الكويت (في منتصف آيار ٨٢) عن توجيه دعوة على لسان الأمين العـام الى الـدول العربية لتتدخل في الحرب. وصاحبت هذه الدعوة مطالبة مصر بالذات لترفع من حجم مساهمتها في الحرب، عبر التشجيع ـ منذ ذلك الحين ـ على استئناف العلاقات العربية المصرية فعبرت صحيفة السياسة الكويتية عن رأيها قائلة: «ان دور مصر في معركة العراق مع ايران لم يعد سرا كما ان مصر لم تطلب ثمنا معنويا له!». كما صدرت في اعقـاب الاجتـماع الـطارئ دعـوة صريحـة للولايات المتحدة الاميركية بالتدخل. فقد قال وزير الدفاع والطيران السعودي في احد تصريحاته: «ان مايحدث الآن في الخليج هو في صالح الاتحاد السوفيتي ٩٩٪(..!) وان الولايات المتحدة الاميركية لايمكن أن تترك الساحة لانفراد الاتحاد السوفيتي بالتدخل». المشير أبوغزالة وزير الدفاع المصري رد من جهته على الدعوات الخليجية المذكورة باقتراح قاضٍ بتشكيل قوة عربية مشـتركة للدفاع عن آبار النفط في الخليج على ان تتولى الولايات المتحدة تسليحها وترصد الدول الخليجية ميزانية خاصة لهذا التسليح.. اما امـيركيا، فجاء الرد عبر أنباء متلاحقة في الصحف عن الاهتمام بمضاعفة تسليح

أركان مجلس التعاون وفي مقدمتهم السعودية التي اشترت مانسبته ٣٣٪ من مبيعات الأسلحة الأميركية لعام ٨٢ فقط. وتعاقدت على شراء طائرات الانذار المبكر (الاواكس) وطائرات تدريب بريطانية (هوك) وأنظمة دفاع بحري فرنسية وبموازاة صفقات التسليح، فقد تم الأعلان في نفس العام عن تشكيل لجنة عسكرية مشتركة بين الولايات المتحدة والسعودية يرأسها وزير الدفاع في البلدين.. ويضاف، أنه على الصعيد الخليجي الداخلي، أعلن عن انشاء قوة تدخل سريع تابعة لمجلس التعاون ثم المبادرة الى اجراء مناورات عسكرية مشتركة لدول المجلس في تشرين اول ١٩٨٣[١٤].

الاتفاقيات الأمنية: الحاجة الى الاتفاقيات الأمنية الثنائية والجماعية داخل دول مجلس التعاون نبعت أساسا من الشعور المفتعل والمكرس داخل تركيبة المجلس بوجود خطر ثوري اسلامي يتهددها من جانب الجمهورية الاسلامية. ولهذا فان اول اتفاق وقع في هذا المضمار، وهو بين السعودية والبحرين، جاء في أعقاب ما زعم من اكتشاف شبكة تخريب ايرانية في المنامة عام ١٩٨١. وبالمقابل فانه ما من اتفاق تم توقيعه الا والسعودية هي الراعية للمباحثات التي جرت بصدده والضامنة لتنفيذه. لأنها باختصار وجدت ماظلت تطمح اليه من تزعم المنطقة الخليجية برمتها في التشجيع على توقيع اتفاقيات ثنائية بينها وبين جميع دول المجلس. وبعد البحرين الذي نص الاتفاق الأمني معها على اتاحة دعم سعودي لضمان أمنها واستقرارها الداخلي مقابل أي تهديد فقد جاء دور قطر والامارات ثم سلطنة عمان لتوقيع اتفاقيات مماثلة. عدا الكويت التي ظلت تماطل وترفض هذا النوع من الاتفاقيات حتى موعد متأخر. لكنها رضخت في شباط ٨٢ لتوقيع اتفاقية أمنية شاملة في الرياض بحضور وزراء داخلية الدول الست[١٥] وظل التوقيع على الاتفاق الثنائي السعودي ـ الكويتي معلقا حتى تسنى تثبيته على الورق بعد فترة وجيزة تلت مجزرة مكة.

طلب التدخل الاجنبي: الكويت هي أول من خطا هذه الخطوة بطلبها استئجار عدد من سفن الشحن السوفيتية في آذار ١٩٨٧. كما تقدمت بطلب تسجيل عدد من سفن الشحن الخاصة بها لدى الولايات المتحدة. والطلبان اقترنا كما هو معلوم برغبة لم تخفها الكويت بأن يتولى كل من السوفيت والاميركان حراسة السفن التي ترفع علميهما. وبذلك تكون الكويت قد طلبت بوضوح التدخل الاجنبي لحماية صادراتها الحيوية، والامر لايخلو بطبيعته من توفير الحماية الاجنبية للكويت نفسها. وتأتي الخطوة الكويتية هذه بعد سنوات من المخاوف والشائعات التي تزعم بأن هذا البلد معرض لخطر

«الغزو الايراني».

لذلك يمكن الاطمئنان الى ان الدوائر التي تقف وراء ضخ الشائعات هذه نجحت في النهاية في بلوغ هدفين بارزين معاً. فعلاوة على السماح بتمرير السياسة الاميركية القائمة على أساس استفزاز الجمهورية الاسلامية وعزلها. تمثل الهدف الآخر في ايجاد موطئ القدم الكافي للولايات المتحدة لتباشر عهداً جديداً من الانتداب الاجنبي في المنطقة تحت مسميات الحصول على التسهيلات والقواعد التي تحتاجها قوات التدخل الاميركية. وعلى ان تستخدم التسهيلات، كضمان أولى لعدم تعرض منابع النفط وارداته الاساسية من هذه المنطقة للأخطار في حال سقوط النظام في بغداد.

تلك هي نبذة عن التطور الذي طرأ على السياسات العملية الهادفة الى لم الشمل الخليجي.. لازيادة تماسكه وقوته من التدخل. فالدول الخليجية تحكمها أنظمة عشائرية متنافرة وغير منسجمة، مع وجود مشاكل مزمنة كثيرة تفرقها، ولاتوحدها، وهي غالباً ـ هذه المشاكل ـ وليدة سياسات استعمارية قديمة ومن أجل تسهيل انقياد الدول المعنية الى بريطانيا والى اميركا.. وتجميع هذه الدول بالتالي داخل أنظمة دفاعية وسياسية ومحلية، هو بهدف توجيهها جميعاً وجهات سياسية خاصة وضمان التكلم بأسمها من جانب القوى الكبرى التي تشرف عليها اشرافاً كاملاً وتستغلها بالصورة التي تشاء.

مجزرة مكة.. المأزق الخليجي الكبير

«أحداث مكة: المأزق الكبير.. ام السلام الكبير؟» تحت هذا العنوان نشرت «الاسبوع العربي» اللندنية مقالاً[11] علقت فيه على الموقف العربي والخليجي من الحرب العراقية الايرانية نتيجة ما أسمته «مرحلة اللارجوع من حرب الخليج» وعلى ضوء ماأفرزته «أحداث مكة». قالت المجلة: «خلال أيام قليلة تبدلت خريطة سياسية كاملة في منطقة الخليج.. لقد أصبح من الممكن تأريخ حرب الخليج بماقبل أحداث مكة وما بعد أحداث مكة..» وتضيف المجلة: «انها نقطة اللارجوع، ومرحلة جديدة استحقت معها عملياً الحرب تسمية حرب الخليج، لا الحرب العراقية الايرانية» وقد تتحول الحرب بعدئذ بنظر المجلة الى حرب «عربية ـ ايرانية» ان المجلة المعروفة بصلاتها الوثيقة ببغداد هي خير من عبر عن الهدف الاساسي وراء تنفيذ المجزرة على صعيد حرب العراق وايران.

فلقد هدف مقالها باختصار شديد الى القول: «ان المرحلة.. قد تبدلت ـ كلياً ـ وبدأت تتجه ألى المأزق الذي لاخيار في الخلاص منه الا بالاستمرار ـ والاستغراق ـ فيه»!! وهذا هو المطلوب بالضبط وراء الاقدام السعودي على تنفيذ المجزرة.

لقد استهدفت المجزرة، اغلاق منافذ العودة عن خيار التورط الشامل والحقيقي، انما غير المباشر دوماً، في الحرب.. أمام الخليجيين.

ولكن كيف يكون التورط الشامل؟ ومن أين يمر الطريق اليه.. بعد المجزرة؟

التورط الشامل يكون من خلال الآتي:

١ ـ الانضواء كاملاً تحت مظلة القرار السعودي. فما تقرره السعودية يصبح قراراً خليجياً. حتى لوحبذت لاحقاً عدم استشارة أي من العواصم الخليجية في أمر القرارات التي تتخذها وعدم اخضاع بعضها للتدارس والبت داخل تركيبة مجلس التعاون. هل يمكننا القول ان «المجزرة» مثلت ربما، نهاية عمر مجلس التعاون بتركيبته المعهودة، والرجوع بعدئذ في أي قرار الى الرياض؟ ذلك مايجيب عليه رأي المجلة المذكورة ـ«الاسبوع العربي»ـ أولا بأن المرحلة الحالية هي مرحلة اللارجوع.. عن البقاء في مأزق المواجهة الكبير مع ايران. ثم ان المجلس لم يصل باعضائه الى هذه المرحلة الاعلى ظهر السعودية التي شرع اعلامها منذ الايام الأولى التي تلت المجزرة في ترديد عبارات تؤكد اشادة المسؤولين الخليجيين «بالقيادة الحكيمة لخادم الحرمين» الملك فهد. أضف الى أنه مامن اجتماع خليجي وزاري أو على سطح القادة الا وتنبثق عنه قرارات تؤيد مجمل السياسات السعودية، بما فيها الموقف من ايران.. ويستدل على ذلك ـ التجاوب التام مع ما تمليه السعودية ـ بأن الوساطة السورية مثلا (لتطويق أزمة العلاقات الايرانية الخليجية ومنع استفحالها اكثر) ظلت محكومة بنتائج المهام المكوكية التي قام بها وزير خارجية دمشق فاروق الشرع بين طهران والرياض. وهذه الوساطة كانت الصحف السعودية هي السباقة الى اعلان الموقف الخليجي العام منها[١٧]. الامر الذي لم يكن مشهوداً في السابق.

٢ـ التأييد التام للأجراء الكويتي القاضي بطلب رفع الاعلام الاميركية على السفن. وكان هذا الاجراء قد لقي معارضة العديد من الاوساط السياسية والاعلامية داخل دول مجلس التعاون وأبرزت صحف الامارات العربية معارضتها وحذرها الشديد من الاخطار التي سترتب على هذا التصرف الكويتي، الذي وصفته بأنه خارج على اجماع مجلس التعاون ولم يأخذ بالنظر مصالح كافة الدول المعنية به بنحو ما.

المسؤولون الايرانيون ابلغوا من جهتهم برأي مشابه من المسؤولين الذين تباحثوا معهم في دولة الامارات وسلطنة عمان. اذ اعرب المسؤولون الخليجيون عن امتعاضهم الشديد من انفراد الكويت باتخاذ هذا الاجراء غير المسؤول. الا أنه يبدو أن حدة المعارضة الخليجية لنفس الاجراء قد خفت كثيراً أمام هول ماحدث في مكة المكرمة وأمام تفاقم حساسية المواجهة السعودية- الايرانية، وبتبعها المواجهة الاميركية- الايرانية في مياه الخليج حيث بدا واضحاً ان من أهداف السعودية، بضلوعها في المجزرة ان تعمق الاحساس بالخطر لدى الخليجيين كافة، تجاه أمن ملاحتهم النفطية وأمنهم الداخلي وتدفعهم الى تأييد الخطوة الكويتية بلا تحفظ. ومن جهتها فقد هدفت السعودية على الأقل من اظهار التأييد الكامل للكويت ان تتنازل الاخيرة عن حساسيتها تجاه توقيع اتفاقيات أمنية ثنائية معها. ولوحظ ان الملك فهد صرح على هامش القمة الخليجية الثامنة في الرياض في كانون اول ١٩٨٧ بأن من حق أي جهة خليجية ان تطلب التدخل الخارجي لحمايتها. وأول مايعنيه التصريح في الحقيقة مخاطبة دول مجلس التعاون بأن عليها التسليم فيما بعد بالدور السعودي او المصري ثم الاميركي، لحمايتها والتدخل في اراضيها. واذا كان الملك فهد قد أطلق تصريحه بناء على التواجد الاميركي المكثف في الخليج، فلايصح تفسير ماقاله ألافي ضوء المخطط الاميركي السعودي المشترك الذي هو السبب في مجزرة مكة وسنمر على تفصيل هذه النقطة في الفصل القادم.

٣- تخلي بعض الدول الخليجية عن أشكال المعارضة التي تبديها احياناً ازاء مخاطر التواجد المكثف للأساطيل الاميركية والغربية وحثها على الاعراب عن رضاها الكامل لما يجري. وبالنتيجة توفير «المبررات» لاميركا لتتحرك وفق خطط معينة خليجية من أجل استفزاز الجمهورية الاسلامية والدعاية لنفسها ومحاولة الحصول على تسهيلات وقواعد ثابتة.

وواضح ان السعي الى تعميق ورطة دول مجلس التعاون فيما من شأنه اعلان حرب شاملة - انما بعيداً عن الاصطدام المباشر- مع الجمهورية الاسلامية، ولمصلحة العراق والولايات المتحدة.. فهذا السعي يظل منقوصاً مالم يمر من قناة التأزيم او التجميد الكامل للعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع طهران.

ولهذا الامر فان الملك الحسن الثاني «عاتب» دول المجلس - وكما اشرنا الى الحديث الذي ادلى به لـ«الانباء» الكويتية - لأنها بنظره لم تتحد كفاية على قاعدة العداء الصارخ لايران. ونضيف هنا بأن هذا «العتاب» تتجاوز معانيه مدلولاته اللفظية. والهدف الاصلي منه الايحاء بأن مجلس التعاون لم يسجل نجاحاً للآن في تجميع أعضائه حول

محور رئيسي واحد هو دعم العراق ومواجهة ايران والعمل كحلف من الاحلاف الناشطة تحت الرعاية الغربية والاميركية. . وبملاحظة ان الملك الحسن هو في طليعة الذين نسقوا مع الرياض وأعانوها على تنفيذ مجزرة مكة يكون معلوماً أن الهدف النهائي من العتاب الذي أبلغه للصحيفة الكويتية، الاستمرار في تأييد الخطوات السعودية اللاحقة لاستغلال كل مانجم عن المجزرة في توحيد الصف الخليجي وراء السعودية وداخل الاطار الشكلي الباقي لمجلس التعاون.

تصعيد جديد بحوافز سعودية

بدأنا فصلنا هذا بالكلام عن ان المجزرة ربما تمثل تصعيداً آخر في مسار الحرب العراقية الايرانية.

وقلنا ان السعودية افتعلته لأنها أخذت تعاني وتتضايق بشدة من ركام الخوف والقلق الذي يثقل عليها بسبب تواطئها الصريح الى جانب العراق في حربه.

وعرضنا لأدلة اثبات قاطعة حول وجود هذا التواطؤ، وحول دور الاطراف المحلية والعالمية في ديمومته، لما يقتضيه موقفها الراهن.

عرضنا ايضاً لحقيقة أن جميع الاساليب المتبعة ـ في مرحلة ماقبل المجزرة ـ لتوحيد كلمة الخليجيين على اساس بذل الدعم المتنوع، لمواصلة تأجيج نار الحرب العراقية، لم تجدِ في الحؤول كلياً دون تفشي الرغبات المتفرقة لديهم عن امكانية الصلح مع ايران. .

ولقد جاء مخطط المجزرة ـ بدوره ـ لاستبدال ثوب مجلس التعاون بالثوب السعودي، أو بالزعامة السعودية الحدية والواحدة. . ولدفع الخليجيين باتجاه واحد، هو مزيد من التورط في حرب العراق ومعاداة الجمهورية الاسلامية.

ويبقي الهدف الاكبر في النهاية هو التصدي لتجربة الثورة الاسلامية الايرانية ولجمها عن التأثير خارج حدودها، وطالما ان الحرب مازالت تعطي نتائج معكوسة لصالح التجربة نفسها، فلابد والحالة هذه من محاولة عكس مجريات الحرب.

وعلى كل فملابسات المجزرة بشأن الحرب، لم تنته فصولاً بعد. . وقد يمضي وقت غير قصير حتى تتكشف جيداً للعالم. فلطالما تكشفت على محك الحرب حقائق وملابسات لاتحصى. وعندها ستصبح حديث الكل. وسيفاجأ السعوديون كما فوجئ نظائرهم العراقيون، بأن الحقائق الناصعة لن تضيع في زحمة الضجيج الكاذب والتحريف الساذج.

وكمساهمة منا لابأس من تركيز الضوء على بعض هذه الملابسات والاهداف

المتوخاة منها:

المجزرة امتداد للحرب.. أم العكس؟

ما ان بدأت الصحف السعودية تتكلم عن المجزرة وتتناول ابعادها وتحلل اصداءها، حتى سارعت الى وصفها بأنها عمل من أعمال «العنف» ونشر «الخوف» و«الرعب» و«الدمار» التي يقوم بها حكام طهران وسارعت الى مقايسة ماحدث في مكة مع مايحدث في ميادين الحرب مع العراق ومحاولة استخلاص رأي مفاده «ان من يزج بشعبه في الحرب.. ويرفض دعوات السلام.. من الطبيعي ان لايبالي بتوريطه في اعمال دموية»[١٨] اثناء الحج.

والخلاصة، فان هذه الصحف وبايعاز من الاجهزة السعودية الرسمية المسيطرة عليها، أرادت استغلال موضوع الحرب والخسائر التي توجدها أية حرب عادة لتلعب لعبة مزدوجة. فمن جانب تتهم الجمهورية الاسلامية بعدم المبالاة ازاء مايكابده الشعب الايراني من استمرار الحرب وفي ذلك افتراء واضح على القيادة الايرانية وماحققته في الحرب لصالح استقلال واستقرار شعبها.

ومن جانب ثانٍ، فأن الاجهزة السعودية يهمها ان تتخلص من مسؤوليتها المباشرة في تدبير المجزرة وألقائها على كاهل المسؤولين الايرانيين. اذ حرصت على التنويه الدائم الى ان ماحدث في مكة، جزء من «استراتيجية افتعال الأزمات» التي تهدف بصفة خاصة «للتغطية على المأزق الحقيقي الذي يعاني منه نظام طهران وتصفية جيل ماقبل الثورة وضمان قيام جيل جديد.. يتعاطف مع مخططات القادة»![١٩] الايرانيين.

لنلاحظ ان اسلوب التعبير لدى الصحف السعودية ربما يتنوع ويزداد خباثة من مقال الى آخر ومن عدد الى غيره. أما الهدف منه فلا يتغير ويبقى يحاول تصغير الانجازات الايرانية في الحرب ونعتها بأنها تعكس الرغبة في «افتعال الأزمات» وبقصد التغطية على «مأزق» داخلي يعيشه نظام الجمهورية الاسلامية، أي أن الاخير لم يكسب شيئاً في الحرب ومع هذا ـ ورغم معاناته الداخلية وضعفه الداخلي حسب الصحف!ـ فأنه يواصلها بهدف «ابادة جيل» بأكمله ولذا فهو يعد «مسؤولاً» عما حدث لحجاجه من تقتيل بشع «كمسؤوليته» عن استمرار الحرب مع كل ماتوقعه من خسائر في الأرواح. ان الاعلام السعودي يهدف بصورة مكشوفة الى تثبيت الادعاء بأن المجزرة هي أحد افرازات الحرب المدمرة «التي يعد الايرانيون المسؤولين عنها،

لاصرارهم على مواصلة الحرب». وهذا هدف يحمل في طياته ربما رسالة الى المسؤولين في الجمهورية الاسلامية بأن السعودية لن تسكت ولن تسمح بأستمرار الحرب حتى النهاية التي تأملها طهران. وهجوم قوات الأمن السعودي على الحجاج الايرانيين هو الدليل، والهجوم مرشح للتكرار بصور مختلفة مالم «يذعن» الايرانيون لمطالب الرياض في وقف الحرب.

ولقد عاضدت الاعلام السعودي في مهمته المذكورة، وسائل اعلام عربية وأجنبية كررت وناغمت نفس الادعاءات التي ساقتها صحف الرياض ومكة. فأشارت كل من الاذاعة الأردنية و «الاهرام» القاهرية الى ما أسمته «العزلة المتزايدة للنظام الايراني» من جراء الحرب، كما أشارتا الى «تخطيط النظام للأعمال التخريبية في مكة» لكسر وتجاوز حاجز «العزلة».[٢٠]

ويستحسن بهذا الصدد التوقف عند مقال تحليلي نشرته «المستقبل» الباريسية وقالت فيه: لا يمكن فهم هذه «الأحداث المفجعة» التي وقعت في مكة المكرمة «بالنظر اليها على أساس أنها ناتجة عن خلافات في الرأي والاجتهاد حول معنى موسم الحج وحول طبيعة سلوك وتصرفات الحجاج» ومعلوم أن البيانات الرسمية وكتابات الصحف السعودية كلها نسبت ماحدث في مكة ـ جملة وتفصيلاً ـ الى «أفعال الغوغائيين الايرانيين» والى محاولة «اقحام عبادة الحج بالسياسة». . اذن كيف ينبغي فهم «الأحداث»؟. لننتقل الى الشق الآخر من مقال المجلة، وفيه جاء ان «أحداث مكة المكرمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما يمكن تسميته الحصار الدولي المفروض حالياً حول ايران». المقال هنا يحاول ضم صوته الى ماقالته صحف سعودية من أن الاحداث هي وليدة الرغبة الايرانية في فتح «جبهات بديلة» لشق الحصار الدولي ـ على ايران!ـ والتخفيف من وطأته. على ان أهم مافي المقال، تطرقه بالاسهاب الى مسألة الجهود الدولية ومن ضمنها الجهد السعودي لخلق قناعة راسخة لدى ايران بأن من غير الممكن السماح بنهاية للحرب التي تخوضها الا على اساس «لاغالب ولامغلوب». ونحن نقرأ فيه: ان الجهود الدولية والعربية تهدف الى «حمل القيادة الايرانية على وقف الحرب مع العراق وحل النزاع سلمياً مع هذا البلد وكذلك وضع حد لخططها الهادفة الى انشاء عدة جمهوريات اسلامية في الشرق الاوسط. . !» وان «أحداث مكة المكرمة. . تكتسب ابعاداً بالغة الأهمية وذات انعكاسات خطيرة مختلفة على الوضع في المنطقة» للغرض ذاته[٢١]

ان كلام هذه المجلة العربية الذي اعادت نشرة عدة صحف سعودية منها «عكاظ» و«الجزيرة» يلفت جيداً الى ان السعوديين الذين أرسلوا وزير خارجيتهم

سعود الفيصل الى طهران عام ٨٥ للتباحث حول موضوع «الانهاء السلمي» للحرب، كما أنهم راقبوا عن كثب وعن اهتمام كبير نتائج مباحثات أخرى جرت حول الموضوع نفسه.. هؤلاء أرادوا التباحث أخيراً بلسان آخر هو لسان «القوة» المباغتة والغادرة، ومن خلال «أحداث مكة» لافهام الايرانيين وغيرهم في المنطقة بأنهم - السعوديون - «لاتعوزهم القدرة على التدخل» للدعوة الى فض قضية الحرب بالاسلوب الامثل لهم والذي لايشعرون منه بالتهديد. اي الذي لايمنح الجمهورية الاسلامية امتيازاً فائقاً يحث الجميع على الانفتاح عليها والتفاعل مع افكارها الثورية.

وتجب ملاحظة أن هناك تصريحات عديدة لمسؤولين سعوديين كبار هدفت الى ايصال نفس المعنى - التلويح بامتلاك القوة الكافية للتدخل - الى طهران والى عواصم المنطقة والعالم.

فنسب الى وزير الدفاع و الطيران السعودي سلطان بن عبد العزيز قوله خلال حفل غذاء أقامه لضيفه وزير الدفاع البلجيكي الذي كان في زيارة للرياض أواخر ١٩٨٧: «.. ان البعض وللأسف يفسر موقف المملكة المتعقل والمتأني، يفسره بالضعف بينما نحن نتصرف بوحي من عقيدتنا(..) التي تدعوا الى السلام على أمل ان تحل هذه المشكلة قبل ان نجبر على اتخاذ اجراء نسعى بكل جهد لتجنبه.. على الرغم من تصرفات القيادة الايرانية المستهترة!! بأمن المنطقة وسلامها».

وكان الوزير سلطان قد طالب الدول الخمس الكبرى في مقدمة حديثة لضيفه البلجيكي: «باتخاذ الاجراءات الفعالة لوضع القرار ٥٩٨ موضع التنفيذ»[٢٢] وهو قرار صادر عن مجلس الأمن بخصوص الحرب.. والمسؤول السعودي هنا يطالب الدول أعضاء المجلس بعدم التردد في اعلان قرار آخر ملزم للجمهورية الاسلامية لتنهي الحرب دونما شروط تذكر.

اننا نستنتج من أقوال هذا المسؤول السعودي (التي كان قد كررها بحذافيرها تقريباً السفير بندربن سلطان في مؤتمره الصحفي بواشنطن في ٨٧/٨/٧)، ان السعودية تطالب القوى الكبرى بالحاح بالتدخل وتقييد ايران عن الاستمرار بالحرب لمصلحتها، لأن من شأن أي نجاح يسجله الطرف الايراني في الحرب أن يعرض الخارطة السياسية في المنطقة للاهتزاز بعنف.. وان السعودية قررت ان تكون البادئة بمحاولة التدخل، او تحضير الاجواء اللازمة له عبر «أحداث مكة» وعبر تحركها الحثيث لتوحيد العرب، كما في قمة عمان، والخليجيين كما في القمة الخليجية الثامنة - ولم يفصل بين القمتين سوى شهر واحد - وراء الرغبات السعودية.

وصحيح ان هذه الرغبات بمجملها، وعرض «القوة» السعودي بكل الضجيج

واللغط المثار حوله، لايتعدى كونه جزءاً من عرض العضلات الاميركي في منطقة الخليج.. لكن يبقى يهمنا من الطابع الحاد والمفتعل لعموم التحركات والرغبات السعودية انها دالة، دلالة أكيدة، على ان ماحدث في مكة أريد له أن يكون بمثابة عمل من أعمال التصعيد الكبرى لتحفيز الجميع على الاصطفاف بوجه ايران واعاقتها عن الاستمرار بالحرب او كسبها نهائياً.

ولكن لماذا اختارت السعودية هذا التوقيت بالذات للاسراع في محاولة تنفيذ وترجمة رغباتها المعلنة وللمبالغة في اظهار حساسيتها ازاء الموقف الايراني في الحرب؟ تتطوع للاجابة على هذا السؤال مصادر اعلامية عربية، تعتقد ان الوقت الفعلي ليس كالسابق حيث ظل السعوديون يباشرون أحياناً دعمهم الكبير للعراق تحت ذرائع الاسناد «القومي»، أو أن العراق يقبل «السلام» وايران ترفضه. وحيث كانوا يخضعون هذا الدعم لمستويات متقطعة وغير ثابتة تبعاً للظروف وتقلباً معها.

ففي السابق ربما ظل السعوديون يقنعون أنفسهم وحلفائهم في المنطقة والخليج «بأن مصلحتهم، مثل مصلحة الولايات المتحدة تماماً، تكمن في استمرار الحرب العراقية الايرانية، شرط ان تبقى بعيدة».[٢٣] أما فعلاً، وفي ظل الظروف الحاضرة، فالحال قد تغير بشدة، كما ان ظروف الحرب تغيرت هي الاخرى.

أين المجزرة من قاموس الارهاب والارهابيين.. من يصنع الارهاب، الجمهورية الاسلامية، ام اميركا وحليفتها السعودية؟

في عددها الصادر بعد عشرة ايام من وقوع المجزرة، طالعتنا صحيفة «عكاظ» بعنوانين بارزين على الصفحة التي كرستها لردود الفعل العالمية على «أحداث مكة». وفي العنوانين نقرأ: «المملكة اعطت تأكيداً جديداً ومهماً على استقرارها»، «أحداث مكة.. كشفت ايران أمام العالم كنظام أرهابي».

وتحت هذين العنوانين، أوردت «عكاظ» نقلاً عن تحليل خاص بالواشنطن بوست الاميركية مانصه: «أن الاعتداء على مكة المكرمة من قبل حكام طهران! جعل الناس يدركون المسؤولية الهدامة! لايران من تلك الأحداث.. ان على الذين يعتبرون النظام الايراني نظام ديني ان يفسروا كيف يمكن الحط من قدر الحج بالمظاهرات السياسية.. ان الاستفزاز الايراني في مكة قد فشل وان النظام الايراني متطرف! بالمعنى الذي لايعترف من خلاله بأية حدود في عمله و.. ان اعراب الدول الاسلامية ـ بالمقابل ـ عن تعاطفها الفوري مع المملكة اكد قوة دورها في العالم الاسلامي».

الذي نستنبطه من تحليل الصحيفة الاميركية ومن اسلوب عرض الصحيفة السعودية

للتحليل هو:

١ـ ان الـذي يحكم طهـران هو نظام «متـطرف»، لايؤمن «بـأية حدود» ويمارس «الارهـاب» على عادتـه، مرة في مكة! ومرة أخرى.. في الخليج أو في مكان آخر وبـالنتيجة فان طهران هي التي تعد مسؤولة عن «أحداث مكة» كمسؤوليتها عن تدهور الاوضاع الخليجية! مثلاً. هكذا يحاولون ربط سلسلة الاتهامات مع بعضها ولتكون صياغة الاتهام النهائي هي: ان طهران تتحمل مسؤولية المشاكل والازمات التي تعيشها المنطقة، والخليج تحديداً، وليس الولايات المتحدة أو الدول التي تشاركها سياساتها في المنطقة وعلى رأسها السعودية.

وفي هذا السياق تقول «عكاظ» في مقال رئيسي لها: «ان الانسان بالنسبة لنا هو المستقبل!.. هو الثروة الغالية!.. وليس بالعكس كما يفعل حكام طهران الذين آلو على انفسهم أن يفنوا هذا الشعب ـ الايراني ـ ويورطوه في كل مصيبة يمكن ان تصفيه».[٢٤] ان الملاحظ من المقارنة التي أجرتها الصحيفة أنها لم تكتف بمحاولة تبرئة ساحة السعوديين من دماء الحجاج الذين صرعوا برصاص القوات الأمنية السعودية بل لم تكتف بتوجيه أصابع الاتهام هنا الى القادة الايرانيين. فلقد تجاوزت ذلك الى ماهو أبعد منه وأهم بكثير. أنها هدفت من الادعاء الذي ساقته بالمناسبة وظلت تركز عليه في اكثر من مقال وتعليق لها، الترويج بأن قادة ايران لايعيرون أهمية للخسائر والمصـائب التي يواجههـا شعبهم في الحـرب وفي جبهـات ملتهبـة أخـرى بسبب الاستفزازات الاميركية ـ مثلا ـ في الخليج. وانهم هم المسؤولون بالتالي عن استمرار الحرب وعن السماح بتعزيز تواجد الاساطيل الاجنبية. ان الصحيفة بدت في مقالها وكـأنها مكلفـة بتكريس كل كلمة تقولها وكل رأي تعبر عنه بصدد «أحداث مكة» للتشويش على الموقف الايراني والثناء على الموقفين العراقي والاميركي حيال الحرب وما انبثق منهما من توتير وتعقيد للأجواء الخليجية.

٢ ـ ان الصحيفة الاميركية «الواشنطن بوست» ليست بالطرف المؤهل لأصدار الفتاوى عن أن الحج مناسبة تسمح بالنشاط السياسي للحجاج أم لا. ونحن لن نناقشها في ذلك انطلاقاً من أن اميركا وسائر دول الغرب تخشى من أن يؤدي عدم فصل الدين عن السياسة في أي ممارسة وأي مقطع من حياة المسلمين الى توليد شرارات ثورية اسلامية تهدد العروش الكارتونية العلمانية بالاحتراق والتلاشي وكما حصل في ايران.

وبالتالي فلعل الصحيفة الاميركية بما نقلته «عكاظ» على لسانها من الرغبة في التشكيك بأسـلامية النظام في ايران وبمصداقيته الدينية، أرادت ان تحفز الاعلام المحلي والعربي المتعاطف مع السياسة الاميركية لكي يسخر طاقاته على سبيل الطعن

بسمعة الجمهورية الاسلامية ومصداقيتها. الى جانب انها ارادت الرد بهذه الصيغة على الاتهامات الايرانية للولايات المتحدة كونها المخطط الرئيسي للجريمة التي نفذتها أيادي السعوديين.

ان الواشنطن بوست مازالت تتذكر النتائج التي ترتبت على اتهام واشنطن بالسعي لتضخيم واستغلال «حركة جهيمان» الداخلية المعارضة للنظام السعودي عام ١٩٧٩، والتي بادر النظام الى قمعها بشدة على الرغم من اعتصام ثوارها في المسجد الحرام، وهي حركة ليست مرتبطة بالخارج وأهدافها كانت تتلخص في كشف مساوئ النظام السعودي القبلي والمتوارث.. ومن بين تلك النتائج، مهاجمة وتهديد المصالح الاميركية في نقاط عالمية مختلفة كمهاجمة المسلمين الباكستانيين لمقر السفارة الاميركية وممثلياتها في المدن الباكستانية.

وعلى هذا فيبدو أن ما أوردته الصحيفة الاميركية كان هدفه مطابقاً لما أعلنه ناطق الخارجية الاميركية «تشارلز ريدمان» عندما تولى بسرعة نفي الاتهامات القائلة بأن ادارته ضالعة في التدبير لمجزرة مكة. فلقد كان هذا الناطق قد صرح بأن الادارة الاميركية تملك معلومات تفيد بأن «الايرانيين قاموا بتظاهرات أدت الى اعمال عنف». وهدف الناطق من هذا التصريح جلي، اذ شاء تحميل الجمهورية الاسلامية مسؤولية الاحداث من باب أنه ماكان ينبغي ان تُقحم الحج بالسياسة. وقد أضاف الناطق الى نفيه للاتهامات الايرانية التي وصفها بأنها «لااساس لها من الصحة» القول بأنها تهدف الى «اثارة الانفعالات وزيادة حدة التوتر لتيسير تحقيق هدف ايران وهو زعزعة الاستقرار في المنطقة» والزعزعة انما يخشى منها الناطق لآثارها الخطرة على المصالح الاميركية.

ويشار الى ان ناطقين اميركان آخرين اصدروا من جهتهم ماينفي التورط الاميركي في «احداث مكة» لكنهم ضمنوا نفيهم تأكيداً بأن «واشنطن تراجع وتراقب الوضع.. ولاتعيد النظر في سياستها» في الخليج[٢٥]. ويرجح أن يكون التأكيد المذكور قد استهدف في حينه تطمين السعوديين بأن اميركا لن تنسحب من الخليج ولن تتركهم وحيدين قبالة ايران، والمطلوب منهم اذن ان لايترددوا في تنفيذ باقي فصول المخطط المتفق عليه بشأن الاحداث في مكة. ونحن سنتناول هذا الامر بالشرح الوافي في فصل مستقل.

ونكتفي هنا بالتذكير، أنه على طول فترة التحركات السعودية المكثفة دبلوماسياً وسياسياً من أجل التحضير لانبثاق قرارات معينة عن القمة العربية المعقودة في تشرين

ثاني ٨٧، تدين الموقف الايراني في الحرب وتؤيد ولو بأسلوب غير مباشر الحشد الاميركي الاستفزازي في الخليج.ثم من أجل أن يتم الطلب لاحقاً من مجلس الأمن لأصدار قرار جديد بمقاطعة ايران تسليحياً ، فقد حرص اكثر من مسؤول وناطق اميركي على تجديد الاعراب بأنهم لن ينسحبوا من الخليج ولن يتركوا السعودية وحيدة في مساعيها لزيادة الضغط الدولي على ايران. فنائب الرئيس ريغن، جورج بوش اعرب عن نفس الشئ خلال مباحثات ولي العهد السعودي الأمير عبد الله في العاصمة الاميركية في تشرين اول ٨٧[٢٦]. كما اعرب وزير الدفاع الاميركي «فرانك كارلوتشي» عن نفس المضمون خلال جولة خليجية قام بها في كانون أول ٨٨ وبدأها باجراء مباحثات في العاصمة السعودية بالرياض.[٢٧]

٢ ـ اشارت الواشنطن بوست ـ حسب صحيفة «عكاظ» ـ الى ان «أعراب الدول الاسلامية عن تعاطفها الفوري مع المملكة اكد قوة دورها في العالم الاسلامي». عن هذا التعاطف يلزم أولاً توضيح ان السعودية هي التي طلبت رسمياً من الرؤساء المسلمين والعرب عدم التأخر في الاعراب عن تأييدهم لها في موقفها الحساس من الجمهورية الاسلامية وبأمكاننا مراجعة البيان الصادر عن اجتماع مجلس الوزراء السعودي في ٨٧/٨/٧ للاطمئنان الى ذلك. كما في وسعنا الرجوع الى واحدة من حالات التأييد التي ابلغت للرياض للتعرف على هوية اصحابها وما يصبون اليه بالفعل.

الملك الحسن الثاني هو من بين الذين أبرقوا فور اعلان نبأ المجزرة لابلاغ تأييده الكامل للسعودية في مواجهتها مع ايران. ولقد ضمن برقيته معاني هامة يمكنها ان تعرفنا كذلك على طبيعة الدور المناط بـ«المملكة» السعودية والتي اختارت بعض الصحف التركيز عليه. ففي هذه البرقية أعرب الحسن الثاني عن «يقينه بأن المملكة بقيادتها الحازمة والحكيمة ستعرف كيف تحبط مؤامرة خصومها وتقضي على مخططاتهم . . »[٢٨]. واذا كانت «أحداث مكة» هي التي تمثل «المؤامرة» المزعومة بنظر الحسن الثاني، فأي مخططات وأي خصوم ينبغي على السعودية ان تواجههم وتقضي عليهم فيما بعد؟

ان الاهداف التي تسعى من أجلها السعودية لتحجيم ايران وتقييد موقفها في الحرب لاتخفي عن عين أمثال الملك الحسن. وكيف يجهلها وبلاده تعد اليوم احدى اكبر القواعد الاميركية في منطقة الشمال الافريقي، فكل تنسيق اميركي سعودي لابد ان يعلم شيئاً عنه، ولربما هو يمر من قناته ايضاً. ولقد نشرت صحيفة «كريستيان ساينس مونيتر» الاميركية تحليلاً اخبارياً عن ذلك التنسيق الاميركي السعودي، قالت

فيه: «ان الولايات المتحدة ملتزمة بمواصلة دعم دول الخليج المعتدله الى أن تخف الحماسة الثورية لدى ايران أو الى ان تنتهي الحرب الايرانية ـ العراقية» وترى الصحيفة أن التحدي الذي تواجهه الحكومة الاميركية لايزال يتمثل في وضع الحرب المتأزم ـ واحتمال حدوث مجابهة مع ايران مما قد يؤدي الى نتائج سلبية. وتقول الصحيفة: «ان الوجود الاميركي المتزايد دعم موقف دول الخليج وسهل على عدد منها كالمملكة العربية السعودية المطالبة صراحة بالضغط على ايران لانهاء الحرب».[٢٩]

ان تحليل هذه الصحيفة هو من أوضح الواضحات حول الدور الذي تقوم السعودية بتنفيذه لزيادة حدة الضغوط التي تواجهها الجمهورية الأسلامية في مسعاها لمواصلة الحرب أووقفها بالصورة المشرفة والمناسبة. ولئن كانت السعودية تخشى سابقاً الجهر بهذا الدور خشية انعكاساته المختلفة عليها، اسلامياً وعربياً، فهي من أجل الانتقال الى المرحلة العلنية ـ أو الأكثر علانية ـ ضد ايران لم تجد بداً من محاولة الاحتماء بنوع من الالتفاف العربي والدولي حول تحركها المنسجم تماماً مع التطلعات الغربية والاميركية.

ومادامت التطلعات تلك هي التي تحرض على التصدي بأي ثمن للحماسة الثورية داخل ايران والتخفيف من وهجها ومن حرارتها التي تجعل الحرب العراقية الايرانية مستمرة ودون أن يتسنى لقوة في الارض التحكم فيها لغير صالح الايرانيين، فلامانع ـ بل المطلوب ـ من وجهة النظر الاميركية ان تتحول السعودية الى رأس حربة.. لارجاع «روزنامة» الحرب الى الوراء أو لضبطها عند الحدود التي تخفف من حرج، ومن مأزق الاميركيين وهم يشاهدونها تتخطى عتبة تصوراتهم وسياساتهم المعلنة.

فالتكليف الاميركي للسعودية منحصر بالتورط المتزايد وغير المحدود في ممارسة ضغوط شتى على ايران وتقييدها عن الاسترسال في الحرب أو كسبها لصالحها. لأن من شأن ذلك ان يثير حفيظةالاميركان والغربيين ويدفعهم الى دائرة مواجهات غير مضمونة ونتائج سلبية.. مع ايران.

ولهذا فأن الولايات المتحدة ملزمة بمواصلة سياسة دعم دول الخليج ومنها السعودية، كما ان الاخيرة ملزمة ـ على رأي «كريستين سيانس مونيتر» ـ بأن تمارس تكليفها ودورها في الحؤول دون تقدم ايران في الحرب ودون أية مواجهات واصطدامات قد تحدث بين الجانبين الايراني والاميركي و«تهدد» عموم المنطقة بالاشتعال وبعدم الاستقرار.

هذه هي صورة، أو معادلة التكليف الواجب على السعودية اتباعها. ونكاد

نجد تشابهاً، بل تطابقاً كبيرين بينها وبين أقوال المسؤولين السعوديين فيما يخص الحرب خلال البدايات التي أعقبت المجزرة والى الآن. وبديهي أن المراد من شقي المعادلة المذكورة هو واحد ويتلخص بأن توالي السعودية بذل جهود مختلفة وقيادة مساع معينة لتشديد وطأة الضغوط على الجمهورية الاسلامية وبحجة أن الذي يحفزها علىً ذلك هو الخشية من تعرض المنطقة لحريق كبير ولمصير غير مضمون في ظل احتمالات المواجهة القائمة بين ايران وأميركا.

ولنحاول ان ننتقي.. ونطلع على نماذج تؤيد التحرك السعودي بالاتجاه المذكور:

- أوردت «عكاظ» في أحدى مقالاتها المنشورة بعد مضي ثمانية أيام على المجزرة مانصه: «لقد فوجئ النظام الايراني الذي انكفأ على نفسه بردة الفعل العنيفة التي وجهت لفعلته!.. في مكة وهي غضبة عزل النظام الايراني عزلة تامة» ومن خلال هذه الكلمات تكشف الصحيفة عن أمنية غالية في نفوس السعوديين بأن يصار بالفعل الى عزل ايران عزلاً تاماً ويمر مخطط المجزرة بنجاح تام ثم هي تقول: «ان العقاب الحاسم يتمثل في تصدي الامة الاسلامية لهذا الطوفان المدمر لأمن الشعوب واستقرار الاوطان..»[٣٠] ولهجة الصحيفة هنا لاتخلو من التمني على الحكومات العربية والاسلامية بأن تساير السعودية في تحركها من أجل التصدي لـ«الطوفان» الايراني اتقاءً لخطره المهدد «لأمن الشعوب واستقرار الاوطان»! على حد تعبير الصحيفة. ويلاحظ في أسلوب التعبير هنا تميزه بشئ من الغموض. اذ أن خطابات الاعلام السعودي وأقوال الرسميين السعوديين اتجهت تدريجياً نحو الافصاح الكامل عما تستبطنه من رغبات في تضييق الحصار حول ايران.. لنتوقف عند مقال آخر ولاحق لنفس الصحيفة، فنشرت تحت عمود «رأي» تقول: ان قضايا الأمة «تظل حلولها العادلة والحاسمة مرهونة بتظافر الجهود الاسلامية وتضامن الامة ووحدة صفوفها» وفي هذه الكلمات دعوة صريحة الى معاضدة السعودية في صراعها ومواجهتها المفتعلة مع ايران. والصحيفة بعد أن تعلل سبب دعوتها هذه بأنها لأجل «صيانة الأمن الاسلامي والعربي» تمضي الى القول ان «المملكة بما تلتزم به من تعاليم الدين!.. تتمتع بمصداقية وباحترام وتقدير العالم لسياستها التي تتسم بالحكمة والاعتدال»[٣١] انه الاعتدال الذي ينادي به الغرب طبعاً.

- في خطابه أمام اجتماع مجلس الجامعة العربية، الذي عقد في آب ٨٧ «دورة طارئة» لبحث الموقف العربي الرسمي من ايران، لم يترك سعود الفيصل وزير خارجية

الرياض صغيرة أو كبيرة الا وعددها ليخلص الى اتهام ايران بأنها «اشاعت الاضطراب والقلق في المنطقة وعرضتها الى مخاطر التدخل الاجنبي واقحامها في اتون الصراع الدولي و. . » وعليه فقد طالب باتخاذ «موقف عربي موحد مجمع عليه تجاه هذه الحرب ـ العراقية الايرانية ـ حيث ان الامور وصلت حداً لم يعد فيه الصمت مجدياً»[٣٢] كما حمل خطابه.

ـ امام دورة الجمعية العامة للامم المتحدة، خطب سعود الفيصل ايضاً يوم ٨٧/٩/٢٩ فأعرب عن الرغبة «في أن تؤدي ردود الفعل الدولية ولاسيما الاسلامية. . الى أن يدرك القادة الايرانيون أن القوة والارهاب! والعنف لايمكن ان تكون وسائل للاقناع» ورجح ان تقود ردود الفعل تلك الى «عزل ايران الكامل» ثم دعا الوزير الامم المتحدة لكي تتخذ موقفاً «حازماً وحاسماً» باعداد التدابير اللازمة لتطبيق القرار ٥٩٨ الصادر عن مجلس الأمن وأبرز أنه يتعين ان تتضمن تلك التدابير توقيع «عقوبات».[٣٣]

ـ البيان الختامي الصادر عن القمة العربية «غير العادية» في عمان (تشرين ثاني ٨٧) والذي اعتبره المراقبون بمثابة ورقة عمل تقدمت بها السعودية وتمت المصادقة عليها جراء ضغوط الاخيرة، هذا البيان جرى الاعراب من خلاله عن الاستياء «لاصرار النظام الايراني على استمرار الحرب وعلى. . تهديد دول الخليج» وعن ان هذا «التهديد» قد تسبب في «نتائج خطيرة» خليجياً. ولذا فقد طالب البيان «المجتمع الدولي ان يتخذ الاجراءات الكفيلة بحمل النظام الايراني على الاستجابة للقرار ٥٩٨» الصادر عن مجلس الأمن.

ـ عن القمة الخليجية الثامنة في الرياض صدر بيان مشابه في فحواه لبيان القمة العربية اذ تم التأكيد بواسطته على الرغبة في «التحرك لفرض عقوبات دولية على طهران اذا واصلت اعتداءاتها! واستمرت. . في الحرب مع العراق»! الا أنه مع ذلك فهناك من وصف البيان الخليجي بأنه «لم يستخدم عبارات قاسية في حق ايران خلافاً لقمة عمان. . وللمقارنة فان قمة عمان ـ حسب تقرير وكالة الصحافة الفرنسية ـ اتخذت هذا الموقف استجابة لمخاوف دول النفط العربية»[٣٤]!

دورة . . الموقف السعودي

خلال انعقاد القمة الخليجية الثامنة نسب الى الوزير سعود الفيصل قوله من موقعه كمتحدث باسم القمة «ان الحوار لم ينقطع أبداً(!) مع طهران» وان «الكرة هي الآن

في الملعب الايراني».

وحسب هذا الذي قاله الفيصل ومن سياق البيان الصادر عن القمة الخليجية يمكننا القول، ان الموقف السعودي عاد الى أصل ما كان عليه سابقا بعد أن دار على نفسه دورة كاملة من التحركات والمساعي المحمومة التي تلت وقوع المجزرة.

وهـذا مايفسر ربما، سبب التسكين الذي طرأ ـ لفترة قصيرة ومحدودة ـ على الموقف السعودي، والخليجي العام، بعدما بلغت الازمة ذروتها في العلاقات مع طهران خلال النصف الثاني من عام ١٩٨٧.

على ان هذا التسكين لم يعمر طويلاً بل انتهى الى «القطيعة»! الكاملة، للأسباب التي سنذكرها هنا بايجاز:

١ ـ ان الهدف الدائم للسعودية وراء التظاهر من وقت الى آخر بابقاء باب الحوار مفتوحا مع الجمهورية الاسلامية هو أن تبقى الاخيرة محشورة في دائرة ردود الفعل السلبية والحرجة. ولقد عُرف السعوديون دائما بحرصهم على اظهار الرغبة في الحوار وفي العلاقات الحسنة فيما هم يتعمدون اخفاء دعمهم المباشر والمتنوع للعراق ويحاولون اضفاء مبررات غير مجدية عليه. ودائما، فالى جوار ما نادت به السعودية من الحوار مع طهران فقد نشطت ايضا في التحرك لمعاكسة طهران في كل الاتجاهات ومن ذلك زيارات ومباحثات وزير خارجيتها سعود الفيصل في موسكو و في عواصم أخرى طلبا لاصدار قرار عن مجلس الأمن يتولى «معاقبة» الجمهورية الاسلامية وحرمانها من بعض مصادر قوتها.

٢ ـ ان «التسكين» اشترط مقابله سعود الفيصل مثلا أن تتوقف العمليات الحربية مع العراق وهو شرط مرفوض وغير منطقي، لانه لم يأخذ بالاعتبار الحقوق المعلنة للجمهورية الاسلامية كما لم يراعِ أنها اعتادت أمام أي محاولة لا تراعي بالنظر هذه الحقوق ان تقرر الاستئناف السريعَ والواسع لعملياتها. وهذا أمر لايشجع على أي انفراج في العلاقات كونه ينطوى على فهم خاطئ لقوة وحقانية الموقف الأيراني.

٣ ـ ولعـل حالة التسكين أو التهدئة الطارئة على أزمة العلاقات قد سبقتها محاولات وساطة سورية للتقريب بين وجهتي النظر الايرانية والسعودية بصدد الموقف من الحج، ومن مواسم الحج المقبلة على وجه التحديد..وحيث علم أن هذه الوساطة لم تكن ناجحة كما لم تنجح وساطات اخرى فيما بعد.

هوامش :

١) «الكفاح العربي» اللبنانية، العدد «٤٧٣»
٢) عدد ٢٨/٤/١٩٨٠ .
٣) مجلة «المستقبل» العدد «١٥٠» ، ٥/١/١٩٨٠ .
٤) عن الترجمة الحرفية لمقاله المنشور في صحيفة دي فيلت الالمانية الصادرة في ١٤/٤/٨٠ واوردت الترجمة نشرة «مقتطفات من أقوال الصحف الاجنبية» تصدرها وزارة الاعلامه الكويتية، العدد «٨٦٩». عنوان المقال «الجيش العراقي له اليد الطولى في الخليج»!
٥) ذكرت ذلك «القبس» الكويتية نقلا عن «الفيغارو» الفرنسية الصادرة بتاريخ ٩/١/٨٣.
٦) «السفير» البيروتية ، ٨/١٠/٨٠ .
٧) الرأي العام الكويتية ، ٣٠/١٠/١٩٨٠ .
٨) خريف الاستكبار «ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩».
٩) عن مجلة ميدل ايست كارنت.
١٠) نشر بيان رسمي بالحديث في ٢٨/١/٨٠.
١١) عن «الرأي العام» الكويتية، ٢٨/٥/١٩٨٢
١٢) عن «السفير» البيروتية ، ٢٢/٥/٨٢ .
١٣) المتغيرات السياسية في المنطقة خلال الحرب، «خريف الاستكبار».
١٤) المصدر السابق.
١٥) المصدر السابق.
١٦) عدد ١٠/٨/٨٧ .
١٧) «الشرق الاوسط» السعودية ، عدد ٧/١/٨٧.
١٨) رأي «عكاظ» الاسبوعية، العدد «٧٧٠٧»، ١٠/٨/٨٧.
١٩) تعليق المحرر السياسي لـ «عكاظ»، «مافيا.. طهران المدمرة!»، العدد السابق.
٢٠) المصدر السابق.
٢١) عبدالكريم أبو النصر ، «الصدمة!» ، مجلة «المستقبل»، العدد «٥٤٦»، ٨/٨/٨٧.
٢٢) راديو «مونت كارلو»، مساء الاثنين ١٨/١٢/٨٧ .
٢٣) «مكة المكرمة .. بالدم والتظاهرات»، تقرير مكتب «الكفاح العربي» من واشنطن، العدد «٤٧٣».
٢٤) «عكاظ» ، العدد «٧٧٠٧».
٢٥) «السفير» ، ٤/٨/٨٧ .
٢٦) «السفير» ، ٢٢/١٠/٨٧ .
٢٧) «معرض الآراء»، صوت اميركا، مساء الجمعة ٢٩/١/٨٨ .
٢٨) صحيفة «المدينة» ، ٥/٨/٨٧ .
٢٩) «الشرق الاوسط و المغرب العربي وراء العناوين و الاضواء»، صوت اميركا مساء الثلاثاء ١٧/١١/١٩٨٧.
٣٠) «عكاظ» ، العدد «٧٧٠٥» ، ٨/٨/٨٧ .
٣١) «عكاظ» ، العدد «٧٧٢٢».
٣٢) المصدر السابق.

٣٣) وكالة الصحافة الفرنسية ، ٨٧/٩/٢٩ .
٣٤) «سليم ياسين» ، «قمة الرياض تركت الباب مفتوحا للحوار مع طهران»! ، تقرير وكالة الصحافة الفرنسية، ٨٧/١٢/٣٠.
٣٥) المصدر السابق.

انعاش المشروع الامريكي

اشاد مسؤولٌ اميركي «بالأداء الرائع» لقوات الأمن السعودية في مكة المكرمة.
«الوكالات»

هل ان اميركا متورطة في مجزرة مكة..؟
الجمهورية الاسلامية تتهمها كونها الفاعل الرئيسي في الجريمة.
واميركا نفسها سارعت لنفي ذلك.
والسعودية لاتتهم أحداً الا.. الجمهورية الاسلامية!
هذا هو السؤال الكبير الذي يبحث عن جواب واضح، لالبسَ فيه.
ونرجوا أن تساعدنا على الاجابة ملاحظة جملة مؤشرات، والتدقيق فيها:

- المهدات الاميركية السابقة للمجزرة.
- ردود الفعل الاميركية السريعة عليها.
- الخطوات الاميركية اللاحقة.
- مسؤولية السعوديين المباشرة.. و تحركاتهم.
- تعاطف الجناح العربي الاميركي مع الجريمة.
- مواقف الجناح العربي المنافس.

اولاً: المهدات الاميركية

سلسلة الهزائم و النكسات التي ابتليت بها المصداقية الاميركية امام الجمهورية الاسلامية مازالت متواصلة.

ولئن بدأت بسقوط الشاه أو احتجاز الدبلوماسيين الاميركان كرهائن بتهمة الجاسوسية ثم الهجوم الفاشل على طبس وفشل سياسة الحصار الاقتصادي وزعزعة

ايران داخليا واخفاق مهمة الحرب التي شنها العراق. . فان نهايتها ليست مقرونة فحسب بفشل التدخل الاميركي في لبنان،بهدف مشاغلة ايران ونسف احد خطوطها الدفاعية ـ المتقدمة ـ في المنطقة.

الا أن كل شيء كان هينا وقابلاً للتحمل تقريبا الّا النكسة الكبرى المتمثلة بفضيحة مكفرلين «ايران غيت».

فبمحض اعلان هذه الفضيحة، أخذت سمعة الولايات المتحدة تهتز بعنف وتكاد تتلاشى وتتحول الى قصة تافهة، وحديث يتداوله الناس. وصار كل اميركي يشعر بضياع وتبدد هويته السابقة، القائمة على حسّ الاستعلاء والفوقية. . وأكثر من ذلك، فالادارة الاميركية أحست فجأة أو تفاقم لديها الاحساس، بأن سياساتها الاقليمية، وحتى العالمية أصبحت ريشة في مهب الاعصار الايراني. .

ولندع هنا أحد الشخصيات الاميركية يصف لنا هذه الحالة بمرارة فائقة. اذ رد السناتور «ماكغوفرن» على سؤال حول «الفضيحة» فنوّه الى أن اميركا كلها استيقظت على دوى ردود الفعل التي تبعت «ايران غيت» وقال: «لقد تأثرت علاقاتنا بنحو أساس مع الجميع ولم يتوقف الأمر على نظرة الدول العربية وحدها الينا، بل امتد ليشمل اصدقاءنا في طول العالم وعرضه»[1].

«ايران غيت» اذن كانت «الصدمة الكبرى» للاميركيين. ولكل من ارتبط معهم وراهن عليهم.

وكانت المؤشر الى مرحلة جديدة من استراتيجية التخطيط الاميركي ضد الجمهورية الاسلامية وتجاه الحرب العراقية الايرانية. .

فقد«استمر الرهان الاميركي الخليجي على تحسين العلاقات مع طهران خيارا لجعل المستقبل السياسي للخليج مأمونا بعد انهيار السد العراقي، حتى تفجُر قضية ايران غيت. .

حينها لاسباب كثيرة، تشكل اتجاه جديد يقضي بشن الحرب الشاملة ضد ايران والخطر الاصولي. . عبر دعم النظام العراقي بقوة وحشد الطاقات الخليجية والحضور العسكري الاميركي المباشر.

كان كل ذلك ايذانا بحلول مرحلة التصعيد الشامل الهادفة الى تقليم الأظافر الاصولية لايران، لتكون الثورة الاسلامية ثورة في حدود الجغرافيا الايرانية، وليتم ادارجها من بعد في النظام السياسي العالمي الصارم.

وهذه المرحلة سجلت العديد من الوقائع: الحملة المركزة على النهضة الاسلامية في العالم، اثارة المشاكل الدبلوماسية مع ايران، الحشد الاميركي، مجزرة

مكة، العدوان الاميركي المتكرر»[٢].

بداية التخطيط

من المرجح أن تكون بداية العمل لتوفير مستلزمات القمع السعودي للحجاج في مكة المكرمة تعود الى أوائل عام ١٩٨٧ والى الفترة المبكرة التي واكبت الاعلان المتلاحق عن أنباء فضيحة مكفرلين والآثار الواسعة التي أفرزتها على المستويين الاميركي والعالمي.

فمنذ ذاك نشطت الادارة الاميركية لمحو الآثار المتعلقة بالفضيحة، بمحاولة افتعال مصادمات دبلوماسية وسياسية مع الجمهورية الاسلامية، تغطى عليها. والبوادر الأولى لهذا النشاط المضاد جسدها السعي الاميركي الحثيث والذي ازيح عنه الستار تدريجيا لأصدار قرار من مجلس الأمن يطالب ايران بالوقف الفوري للحرب وباتباع موقف «ساكن» تجاه الحالة الامنية المتدهورة خليجيا تلافيا لتعقيدها أكثر!.

وقد رافق المسعى الاميركي، طيلة المدة التي مهدت لصدور القرار ٥٩٨ لمجلس الأمن تكثيف مستمر في هجمات الطيران العراقي على سفن الشحن التجارية المتعاملة مع ايران، مما اقتضى رد الاخيرة ايضا على تلك الهجمات بالمثل.

الأمر الذي سهل على الادارة الاميركية تحقيق غايتين رئيسيتين: ممارسة ضغوط متتالية لحمل مجلس الأمن باعضائه الخمسة الكبار على ادراج النقاط الاميركية المقترحة بشأن القرار ٥٩٨ وأهمها البند القائل بأن على المجلس أن يعيد النظر ويصادق على أمر معاقبة أي طرف من الطرفين المتحاربين، العراقي والايراني، يرفض الاستجابة الكاملة للقرار المعلن.

وكذلك استغلال حالة التوتر الخليجي المتفاقمة لتكريس شبح التواجد العسكري الاميركي في مياه الخليج بهدف مضايقة الجمهورية الاسلامية واستفزازها عن قرب.. واجمالا، فقد واصلت اميركا مسعاها الدبلوماسي بموازاة مسعى آخر لرفع حجم تواجدها العسكري في منطقة الخليج.

وفي هذا السياق، فقد بدت قصة الالغام البحرية التي أصابت سفينتين سوفيتيتين والهجوم العراقي «عن طريق الخطأ» على المدمرة الاميركية «ستارك» (١٧ ايار ٨٧) بمثابة اللغز المحير الذي لم تتكشف أغراضه الكاملة بعد، مع مراعاة أن القصة بكاملها، وماتبعها من ضجيج كانت واشنطن المستفيدة الرئيسية منها، في تبرير أرسالها قطع حربية أميركية اضافية الى المنطقة.

ولكن ماجرى للمدمرة ستارك قاد للتعرف على نوايا أميركية مبيتة من السابق وذلك بالشروع في توفير الحماية للسفن الكويتية مباشرة بعد اصدار مجلس الأمن القرار ٥٩٨ في ٢٠ تموز من نفس العام.

وهذه النوايا عبرّ عنها في حينها الخبير في معهد «بروكغنز» الاميركي للدراسات الاستراتيجية «توماس ماكناور» بالقول: «ان تغييرات جوهرية ستقع وستتجذر على قاعدة الازمة الطارئة الناجمة من تضاعف الاستفزاز الاميركي لايران عبر سياسة رفع الاعلام على السفن الكويتية». وأضاف «ان هذه التغييرات سيليها انضمام بريطانيا وفرنسا ـ الى التواجد الاميركي الخليجي ـ ولاضافة مزيد من الاستقرار الى الوضع الجديد الذي ظلت الادارة الاميركية تأمل في تحقيقه»[٣].

نلفت الى أن كلام هذا الخبير قد أدلى به لمجلة عربية قبل بضعة أيام من وقوع مجزرة مكة في ٣١ تموز ٨٧[٤].

وكانت كل من وكالتي يونايتدبرس واسوشيتدبرس الاميركيتين قد أكدتا في برقيتين منفصلتين يوم الاثنين ٢٧ تموز ٨٧، أنه «نظراً لاستمرار معارضة هولندا والمانيا الغربية وبريطانيا وايطاليا لأرسال كاسحات ألغامها الى الخليج الفارسي، فلقد قررت الولايات المتحدة ان تشرع من طرفها في الايعاز بتحرك اولى كاسحات الالغام الاميركية التي ستتوجه الى الخليج من قاعدة ديغوغارسيا»[٥].

اذن يمكن الاستنتاج بأن «التغييرات الجوهرية» التي «تنبأ» بها الخبير الاميركي تشمل علاوة على أمور اخرى سنمر عليها تدريجيا، أن زلزالاً سياسياً سيقع في المنطقة بحجم ماترتب على المجزرة، وسيسهل على ادارة الرئيس الاميركي ريغن مهمة اقناع واستدراج حلفائها الغربيين الى الخليج.

وهذا ماحصل فعلا. حيث ظلت عملية الاقناع صعبة ومستعصية على ادارة ريغن، حتى أواخر تموز ومطلع آب، وهي الفترة التي شهدت مقتل عدد كبير من الحجاج والايرانيين منهم خصوصا، بفعل القمع السعودي.

وكان امراً لافتا للاهتمام جدا، ان يتوقف استهداف الطيران العراقي للسفن في الفترة الممتدة من ٢١ تموز الى ٢٩ آب، ثم استئنافها مجدداً وبكثافة غير معهودة في السابق. اذ من حق الجمهورية الاسلامية في مثل هذه الحالة، أن تقطع صمتها وتجميدها عمليات الرد بالمثل اللذين التزمت بهما بناء على القرار الصادر عن مجلس الأمن. وعلى أساس أن اميركا صاحبة القرار الاصلية كانت أول المبادرين الى نقضه بحضورها المكثف وتشجيعها العراق على استئناف هجماته.

وبديهي أنه وسط هجمات العراق المتزايدة واحتفاظ ايران بحق المعاملة بالمثل

تصبح المهمة الاميركية في حراسة السفن الكويتية معرضة للخطر الجدي.

بيدَ أن وجود اتفاق اميركي عراقي مسبق هو الذي حال دون ذلك، كما جرى ضبطه في حدود معينة. فالولايات المتحدة كان يهمها من رفع موجة التوتر الخليجي الى أقصاها أن تستدرج الاوربيين الى معاضدتها في تحركها المحسوب أمام ايران ولتضع الخليجيين بدورهم أمام أمر واقع لا مناص من قبوله وأن لايترددوا في الموافقة على كل ما تمليه عليهم. وأما العراق، فالفائدة التي يجنيها من الاتفاق، أن يتاح له تحقيق حلمه الكبير في جر أقدام القوى الكبرى الى استفزاز الجمهورية الاسلامية ومواجهتها وأملا في توسيع رقعة الحرب ونجدته فيها.

من هنا فان الهجمات العراقية على السفن توقفت مع شروع المواكبة الاميركية للسفن الكويتية أي في ٢١ تموز، ثم عادت الى شدتها السابقة بمجرد استكمال وصول الكاسحات والقطع البحرية الاوربية لتلحق بمثيلاتها الاميركية..

ولكن ما علاقة السعودية بكل ذلك؟ أوضحنا أن السعودية كانت تدرك الحاجة الاميركية الماسة الى فعل معين بحجم مجزرة مكة ليتسبب في شحن الأجواء وتأزيمها الى الحد الذي توقع معه البعض أن حربا باتت وشيكة بينها وبين ايران.

فمثلا بادرت «الواشنطن بوست» الى نشر تعليق في ٨٧/٨/٤ قالت فيه: «ان مالجأت اليه الولايات المتحدة قد ضاعف فجأة من الحس الثوري لدى الايرانيين» وتوقعت أن يكون الخليج مقبلا على وضع حساس وعرضة للانفجار بسبب «غليان الغضب» داخل ايران واجتياز ألاخيرة عتبة «مرحلة متميزة من ثورتها».

وركزت الـ «تايم» الاميركية في عددها الصادر في ٨/١٧ على «مناورات الشهادة» التي أجرتها فصائل من الحرس الثوري الايراني في مياه الخليج وقتذاك واستشهدت بها على أن ايران باتت مستعدة لتنفيذ هجمات انتحارية على مصالح خصومها.

ثم مما ضاعف من توقع امكانية اندلاع «حرب سعودية ايرانية»!، تصريحات صدرت عن مسؤولين سعوديين من قبيل مانقلته وكالة «رويتر» عن أحدهم الذي «رفض الافصاح عن اسمه» وتضمن: «أننا على استعداد لأن نذهب الى أي مدى في المواجهة ـ مع الجمهورية الاسلامية ـ.. لايوجد حل وسط.. وبعد ذلك فليكن مايكون»[٦]!

وهذا ما دفع السفير العراقي لدى واشنطن آنذاك «نزار حمدون» الى أن يجزم قائلا: «انها مسألة وقت فقط وستنضم السعودية ودول أخرى في المنطقة الى مجهودنا في الحرب ضد ايران»[٧].

تنسيق متقدم

ثبت للآن أن اميركا لم تكن وحيدة في تحديها واستفزازها المباشر للجمهورية الاسلامية في الخليج وأن شكلاً من أشكال التنسيق كان قائما لاريب بينها من جهة وبين الرياض أو بغداد من جهة أخرى.

طبعا ان محاولة اثبات ذلك وتقصى الأرقام والحقائق التي تؤيده ستستمر حتى نهاية فصلنا هذا.

أما يكفينا هنا، تتبع الى أي حد وصل أمر التسيق الاميركي السعودي لتضييق الخناق على ايران عسكريا، من خلال العمليات الاميركية المحدودة التي استهدفتها في الخليج . . ودبلوماسيا، على طول التحرك الذي والته السعودية لبلوغ «اجماع عربي» يعادي ايران، ويتم استغلاله وتسخيره لصالح اصدار قرار من مجلس الأمن يفرض «العقوبات» عليها.

فعلى صعيد المواجهة العسكرية، بات من الامور المؤكدة أن الأدارة الاميركية ضاعفت من وجودها في الخليج ودعت الاوربيين للانضمام اليها ومساندتها من أجل ان يتيح لها ذلك ادخال الحذر الشديد في تفكير القيادة الايرانية الاسلامية اذا ما شاءت الرد على أي تهديد أو تحدٍ اميركيين.

وان الادارة هذه حثت العراق على قطع هجماته على السفن ثم خففت من معارضتها لاستئناف تلك الهجمات بسبب رغبتها في استدراج الايرانيين الى حالة من حالات المجابهة معها ولتستطيع عقب ماستتولى تدميره أو الحاق الضرر به من اهداف ايرانية ان تثأر لمصداقيتها المتداعية أمام ايران وأن تفرض ماتشاء من الضغوط الدولية عليها لاعاقة تقدمها في الحرب.

وكم كان لافتا أن تختار القوات التابعة للاسطول الاميركي أهدافها التي سددت الضربات اليها في الجانب الايراني من بين الأهداف والمراكز ذات الطابع غير النظامي والعسكري وأن تحاول الاستناد الى نوع من المبررات والاتهامات وراء كل مجابهة مفتعلة، لم يلق قبول واستساغة أحد من المراقبين داخل اميركا وخارجها.

فهي عللت احتجازها سفينة الشحن التجارية «ايران أجر» - في ايلول ١٩٨٧- ثم تدميرها وسط احتفال كرنفالي حضره وزير الدفاع الاميركي السابق واينبرغر خصيصا لاضفاء لمعان خاص على العملية، عللت ذلك بأن السفينة ضبطت اثناء قيامها ببث الغام بحرية.

ولقد ادعت في حينه أنها تملك صوراً ومستندات تثبت ذلك وبعد مرور زمن

معين سحبت ادعاءها هذا. واكتفت بالقول ان الصور التي بحوزتها مبهمة ولاتوضح شيئا!.. وهكذا.

والمهم في ذلك كله أن مسؤولي الادارة الاميركية حرصوا وراء كل عملية مجابهة على التصريح بأن حضورهم الخليجي هو بالدرجة الاساس لأجل حث القوى الكبرى ـ والمعنيون هنا السوفيت ـ على سحب معارضتها لمبدأ «فرض عقوبات تسليحية» على ايران.

ذلك ما أكده ونطق به «كاسبر واينبرغر» على وجه التحديد، أثناء اشتراكه في «مراسم» تدمير السفينة «ايران أجر».

ولقد دعمت هذه التصريحات، الجهود الدبلوماسية غير العادية التي بذلتها السعودية من جانبها لجمع الرؤساء العرب على «موقف موحد يدين ايران ويحملها المسؤولية ازاء التدهور الخطير للأمن الخليجي».

فالسعودية بما جنته من ثمار ضغوطها خلال قمة عمان العربية ثم قمة الرياض الخليجية انما وفرت على ادارة الرئيس ريغن عبء التحرك باتجاه أربع غايات رئيسية:

ـ أضفت على الدور الاميركي الخليجي أهمية لايستحقها وشرعية ليست من نصيبه.

ـ أسهمت في التخفيف من معارضة الداخل الاميركي لأفكار الرئيس ريغن الخليجية المتهورة.

ـ كرست ولو على الظاهر الموقف العربي والخليجي العام لصالح الحضور الاميركي في الخليج.

ـ مهدت للتحرك العربي المشترك باتجاه أكثر من عاصمة كبرى ـ موسكو وبكين ـ لمطالبتها بعدم الممانعة من اتخاذ أي اجراء تقرره اميركا عبر مجلس الأمن ضد الجمهورية الاسلامية.

ومجمل ما حققته السعودية لصالح اميركا وبالتنسيق والارتباط المباشر معها هو ماعرض له الخبير الاميركي «ماكناور» في حديث خص به راديو صوت أميركا، بمناسبة مرور ستة أشهر على بداية مهمة الحراسة الاميركية للسفن الكويتية فقال: «ان المهمة الاميركية دعمت عن طريق زيادة الضغط الدولي على ايران» وأردف يقول موضحا قصده من هذه العبارة: «لقد وجدنا أنفسنا عن تخطيط من ناحية وعن طريق الصدفة! من ناحية أخرى، الى جانب أصدقاء لنا في الخليج، اضافة الى وجود خمس دول اوربية والاتحاد السوفيتي وقرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ وقيام الجامعة العربية بتحديد موقفها من الحرب العراقية الايرانية». ولهذا، يستطرد الخبير الاميركي معربا عن رأيه:

«فان الجزء الثاني من تلك السياسة الاميركية هو زيادة الضغط الدولي على ايران»[٨]. ونذكر أننا أشرنا الى «تنبؤات» هذا الخبير المسبقة بوقوع المجزرة وباقي التطورات التي تلتها والتي أعاد الكلام عنها في حديث لـ«صوت اميركا».

وجدير بالاشارة، أن «الجزء الثاني» من السياسة الاميركية القائمة على تعبئة الضغوط الدولية ضد ايران حسبما تطرق اليه «ماكناور» قد جسدته مباحثات سعود الفيصل وزير خارجية الرياض في كل من موسكو ثم واشنطن في شباط ١٩٨٨. وقد وصف ناطق الخارجية الاميركية «تشار لزريدمان» مباحثات شولتز ـ الفيصل بأنها أكدت وجهات النظر المشتركة حيال أهمية الاسراع في تبني مجلس الأمن لقرار بمعاقبة ايران، وعلى ضوء قرب ترؤس الولايات المتحدة لمناقشات المجلس وقتذاك[٩].

وكانت وكالة اسوشيتدبرس قد سبقت وصول الوزير سعود الفيصل الى واشنطن بنقل خبر مفاده أن جورج شولتز أكد امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ أن موضوع «معاقبة» ايران قد أصابة التعثر في الوقت الحاضر. وقال «ان أزمة الخليج تتطلب اعادة النظر في العلاقات الثنائية بين واشنطن وموسكو»[١٠].

ثانيا : ردود الفعل الاميركية

مررنا من قبل على نماذج كثيرة من ردود الفعل الاميركية حول مجزرة مكة. وقد دلتنا هذه النماذج على ضلوع اميركا القاطع في مخطط المجزرة وسنقصر كلامنا هنا على نماذج أخرى لم نتطرق اليها قدر الامكان وتخص ردود ألفعل المعلنة مباشرة بعد شيوع نبأ الحادث:

دلالات الارتياح الاميركي

في تصريح يستبطن ارتياحا أميركيا عميقا ازاء نجاح مخطط قمع الحجاج، قال «تشارلز ردمان» متحدث الخارجية في واشنطن « ان حكومته واثقة من قدرة الحكومة السعودية على التصدي لهذا النوع من التهديدات». ولقد نشرت احدى المجلات اللبنانية حواراً أجراه مراسلها مع «ردمان» بهذا الشأن. حيث كان المراسل قد طالب المتحدث بتفسير أوضح لما أبداه من الارتياح لـ«القدرة» السعودية وعما اذا كان يعني «القدرة البوليسية وحدها.. أم أنه يريدأن يقول أن لدى الحكومة الاميركية مايوفر لها الاطمئنان الى استقرار الحكومة السعودية». فأجاب ردمان انه لايرى تناقضا.. وذكر المراسل أن المتحدث الرسمي لم يجد بداً في النهاية من التصريح بأن مغزى ارتياحه

عائد الى «قدرة» السعودية على حفظ «الاستقرار بمعناه الشامل»[11].

الذي نخرج به من هذا الحوار هو أن الارتياح الاميركي له خلفياته غير المنفصلة عن التنسيق الجاري والمستمر بين الرياض وواشنطن والذي بدونه لم يكن بالمتوقع تجرؤ السعودية على عمل طائش كمجزرة مكة، «فالاميركيون طمأنوا السعودية بصورة كاملة بشأن اتاحة مايلزمهم من دعم اعلامي ودبلوماسي مستقبلا» كما طالعنا في تقريره الخاص «ظفر بنكاش» رئيس تحرير «كريسنت اينترنشنال» والذي نشرته له الصحيفة بصفته أحد الشهود العيان لماجرى في مكة[12].

وبالمقابل فان الاميركيين يهمهم ابقاء «حوار مستمر» بينهم وبين السعودية «والعمل معا في البحث عن حلولٍ للمسائل الاقليمية.. بما في ذلك الحرب العراقية الايرانية». هذا هو نص ما حملته وثيقة نشرتها مجددا وزارة الخارجية الأميركية تحت عنوان «تقرير حقائق»[13]، تزامنا مع الزيارة الرسمية التي قام بها ولي العهد السعودي الامير عبد الله لواشنطن في تشرين اول ٨٧.. والغريب انه بينما نسب الى مصدر أميركي وصفه لمباحثات الامير السعودي في العاصمة الاميركية بأنها «تركزت حول الموقف في الخليج بالتفصيل، فضلا عما أسماه بالاداء الرائع لقوات الأمن السعودية» أثناء حوادث مكة. فان «مسؤولا أميركيا كبيرا» ذكر في نفس المناسبة «ان السعودية تتعاون تماما مع الولايات المتحدة في الخليج، لكنها لاتريد الاعلان عن هذا الدور»[14].

المجزرة مقابل الدعم

على الصعيد الرسمي ايضا، اتسم الموقف الاميركي بالاسناد الصريح للموقف السعودي. فعلى أثر وصول نبأ المجزرة الى واشنطن، انبرى أحد المتحدثين باسم الخارجية هناك الى التعليق على الحادث فانحىٰ باللوم على ايران ووصف القمع السعودي أنه «تصرف.. بطريقة مسؤولة حين أعادوا ألنظام!»[15] ويقصد السعوديين.

ولكن لنرَ هل الهدف من قمع الحجاج كان اعادة النظام أم لا؟ فلقد أذاع التلفزيون الاميركي - القناة (١١) - رأيا لمسؤول سعودي لم يذكره بالاسم، علل فيه مهاجمة الحجاج أنه بسبب احراق العلم الاميركي وانتهاك حرمة اميركا[16]!

صحيفة «نيوزيوك» الاميركية أيدت من جانبها أن مالقيه الحجاج هو من أجل «عيون» أميركا. اذ قد وصفت مسيرة الايرانيين في مكة بأنها «بدت مسالمة للوهلة

الاولى ثم مالبثت أن تحولت الى هتافات سياسية من مثل الموت لاميركا . . ولقد تدخل بوليس الأمن السعودي لتفريق المشاركين في المسيرة بسبب ذلك»[١٧] فنلاحظ أن الصحيفة التي حاولت الأيحاء بأن حفظ النظام كان سبباً بين الاسباب لم تجد بداً من تأييد أن عداء الايرانيين لأميركا هو السبب الاصلي في حادث القمع .

«سونسكاد اكبلادت» السويدية، كررت تقريبا نفس ماقالته نظيرتها الأميركية انما بأسلوب أكثر اعتدالاً وقرباً للحقيقة فنقلت عن «مصادر في البوليس السعودي أنه «لما كان المتظاهرون الساخطون يرددون هتافات ألموت لاميركا واسرائيل فقد تدخلت قوى ألامن»[١٨] ليقع ماوقع ! .

والمحصلة النهائية لما نشرته الصحف وأقرته الدوائر هو أن عملية القمع السعودي كانت أجراءً متبادلاً لقاء الدعم الاميركي، ومن غير المعهود أن يتم هذا الأجراء دون علم اميركي مسبق .

قلق أم تواطؤ ؟

بعد ثلاثة أيام من المجزرة أدلى ناطق البيت الابيض «مارلن فيتزووتر» ببيانات أعرب فيها عن أن «التهديدات» الايرانية للكويت والسعودية اثر وقوع الاحداث هي «مصدر قلق لنا» ولكنه أكد أن هذه التهديدات والتحركات العسكرية (يقصد هنا مناورات الشهادة التي أجرتها في ذلك الحين فصائل من الحرس الثوري، القوة البحرية) لن تؤثر على السياسة الاميركية في الخليج أو «على التزامنا بعملية المواكبة التي ستستمر حسب مواعيدها المقررة» للناقلات الكويتية وأضاف، أن واشنطن تراجع وتراقب الوضع[١٩] .

«القلق» الاميركي الذي نوّه اليه «فينتزووتر» جاءت التطورات الخليجية المتعاقبة لتعرفنا بماهيته الحقيقية ولتدلنا على أن بيانات هذا المتحدث لم تكن سوى «شفرات» سرية متبادلة بين واشنطن والرياض حول ماينبغي فعله من قبل كل منهما لاستكمال تنفيذ المخطط الذي تعد مجزرة مكة احدى زواياه . هذا المخطط الذي نعتقد أننا سلطنا الضوء على تفاصيل مهمة بصدده في بداية فصلنا هذا . ويبقى أن نشير الى لمحات اضافية تكمل صورته لدينا .

فما أن ترددت أصداء المجزرة في كل مكان من العالم، حتى باشرت صحف كبرى مقربة من أجهزة القرار في الادارة الاميركية أو لها اطلاع وافٍ بما يدور داخلها، بتشريح الكلام عن أخطار مواجهة سعودية ـ ايرانية ومالكل دولة من امكانات

وقدرات ومايبعدهما ويفصلهما من حساسيات . .

فصحيفة «وول ستريت جورنال» لا تعتقد أن ايران بوسعها وضع «تهديداتها» موضع الفعل، لماذا؟ «لأن السعودية مسلحة حتى أسنانها»، وحكام السعودية «يقظون» و «منتبهون» لضرورات حفظ أمنهم الداخلي[٢٠].

أما «نيوز ويك» فلها رأي مخالف تقريبا، فهي تحتمل أن تكون «حوادث مكة» قد حفرت أثراً عميقاً للغاية في نفوس الايرانيين بحيث صار بالمقدور «تعبئتهم تعبئة شاملة لشن هجمات أساسية على ـ مصالح ـ الولايات المتحدة وحلفائها في الخليج الفارسي». وتوالي الصحيفة القول زيادة في التأكيد بأن «الغموض الذي هو من سمات الايرانيين يجعلهم أخطر في الوقت الحاضر»[٢١].

ثم تصل باقي الصحف الى استخلاص رأي مؤداه: «أن الاحتفاظ بعلاقات بين (الامام) الخميني والسعودية هو من شبه المستحيل». هكذا أستنتجت الـ«تايم»[٢٢] لا بل بلغ الأمر أن تقول «وول ستريت جورنال»: «كان لازما أن يدرك السعوديون ثم الكويتيون أنه لاتوجد منطقة ـ حياد ـ وسطى في صراعهم» مع الايرانيين وتضيف نقلا عن عضو اللجنة الفرعية في البرلمان الاميركي الخاصة بشؤون الشرق الأوسط «توبرت تورتجلي»: «. . ويؤمل بعدئذ أن يكون هؤلاء ـ الخليجيون ـ اقتنعوا بان وجودهم معرض باستمرار للخطر»[٢٣] الايراني.

وماذا بعد ؟! اقتربت «كريستين ساينس مونيتر» من جانبها من مرحلة الجزم بأن الاجواء المشحونة في الخليج تنطوي على خطر تدشين جبهة جديدة من جبهات الصراع المتزايدة بين ايران وباقي القوى الاقليمية والعالمية»[٢٤]. .

وشيئا فشيئا تتبلور الانطباعات الحاصلة في الوسط الاميركي ويتضح المزيد من الخفايا عن دوافع «القلق» الاميركي الرسمي الذي أعلنه مسؤولون في ادارة ريغن فتنشر «نيوز ويك» رأيا لأحد محلليها أكد فيه أنه «بات واضحا بأن هنالك خطراً متفاقماً يهدد قوات التدخل الاميركية في الخليج»[٢٥].

وجلي أن هذه الرواية (. .) وأمثالها المحبكة بدقة قد أستغلت أيما استغلال لتحفيز دول أوربية وأخرى اقليمية أيضا لتسقط تحفظاتها الباقية من أيديها وتسرع للانضمام أو لتأييد سياسة الحشد الاميركي الخليجي.

علماً أن اغلب الروايات التي شاعت في غضون أيام قلائل بُعيد المجزرة لم تخلُ من عنصر تقليدي من عناصر الاثارة السياسية والمتمثل باكثار الحديث بالمناسبة عن الخطر السوفيتي الذي قد يركب موجة ايران الساخطة أو يستغل الحاجة الايرانية الشديدة للسوفيت في ظرف حساس كهذا، ليقترب بشبحه من شواطئ الخليج . .

نفي برسم التأكيد

ان «الولايات المتحدة ترغب في توضيح أنه لا علاقة لها على الاطلاق باعمال العنف الأخيرة في مكة، ان الاتهامات الايرانية بأن الولايات المتحدة مسؤولة عن أعمال العنف التي وقعت ضد الحجاج في مكة، لا أساس لها من الصحة، ان اتهامات ايران الزائفة، تستهدف اثارة المشاعر».

ما ذكرناه هو جانب من البيان الذي تلته المتحدثة باسم وزارة الخارجية الاميركية «سوندرا ماكارتي»[٢٦]، يوم السبت «٨٧/٨/١٠»، وعقب أقل من ٢٤ ساعة على صدور بيانات الاتهام الايرانية. حيث كان حجة الاسلام كروبي ممثل الامام الخميني في بعثة الحج الايرانية قد بعث في مساء الجمعة الذي شهد الحادث برسالة ايضاحية موجزة الى الامام أعرب فيها عن الرأي بأن «الهجمة الوحشية لنظام آل سعود ـ على الحجاج ـ والتي لاتمر دون تنسيق وتواطؤ مع أميركا المجرمة، دليل صارخ على تبعية هذا النظام للبيت الأسود ـ الاميركي ـ وانتقاما للهزائم العسكرية والفضائح السياسية الاميركية»، وتبع رسالة كروبي اجتماع طارئ لمجلس الوزراء في طهران برئاسة السيد علي خامنئي رئيس الجمهورية، أعلن في أعقابه أن « هذا المخطط مؤامرة دبرتها الولايات المتحدة، وما من شك في أن الأخيرة تتحمل المسؤولية عنها، والحكومة السعودية مسؤولة ايضا بالطبع لأن المؤامرة نفذت بأيدي السعوديين وشرطتهم».

الاتهامات على تتابعها وأهميتها القصوى، و فعلها الكبير في نفسية كل مواطن ايراني وكل متعاطف مع الثورة الاسلامية الايرانية، انما قوبلت برد فعل فوري من الادارة الاميركية، جسده الاسراع في رفض هذه الاتهامات. . وكما ألفناه من الادارة هذه، في عدم الكف عن تسخير أساليبها المراوغة قبل الاعلان التدريجي عن مسؤوليتها ازاء أحداث عالمية ومحلية. فان أسلوب تعاملها مع مجزرة مكة اتسم فضلا عن محاولة النفي السريع لمسؤوليتها عنها، بالرغبة في تهدئة الموقف الاميركي الداخلي وكسب الاوربيين الى جانب أي مواجهة محتملة مع الجمهورية الاسلامية، وبتوجيه اشارت تطمينية مقصودة الى المجموعة الخليجية والى السعودية خاصة.

ومن هنا تميز أول تعليق للبيت الابيض على أحداث مكة، وبلسان الناطق «فيتزووتر» بالتشدد الظاهري في نفي أي تورط لأدارته في الأحداث..

بالاضافة الى اهتمام الناطق تارة بالتقليل من شأن الاتهامات الايرانية التي يخشاها كل فرد اميركي، لانعكاساتها السلبية عليه وعلى مصالحه في المنطقة، بالقول:

«ان ايران تهدد دائما»!

وأخرى، وعلى النقيض مما تقدم، فان الناطق يوعز للمغربيين بأن عليهم أن يأخذوا ما أعلنته ايران بمأخذ الجد الذي ينبغي معه الوقوف في وجهها وتأييد ماتراه أميركا مناسبا في الخليج، وهو بقوله: «نحن نأخذ هذه التهديدات ـ الايرانية ـ على محمل الجد»!؟

وبين هذا الموقف ونقيضه، فالذي يلفت الانتباه أكثر من سواه، تلويح «فيتزووتر» للدول الخليجية، وبضمنها السعودية التي لابد أن تكون قلقة من احتمال انسحاب الولايات المتحدة من الخليج وتخفيف تواجدها البحري فيه فجأة على غرار تجربة لبنـــان وتركها وحيدة أمام ايران بعد توريطها في مجزرة مكة.. تلويحه بابقاء الدعم والمساندة الاميركية لها وبأن اميركا تراجع وتراقب الوضع «ولكنها لاتعيد النظر في سياستها»[٢٧] الخليجية.

ولما سلف، فان المراقب الحاذق، لا تنقصه الخبرة في استقصاء الحقيقة من بين التعليقات والتناقضات التي لها دلالتها طبعا في كلام الناطقين الاميركان.

فالولايات المتحدة لم تقر يوماً بمسؤوليتها عن تشجيع صدام حسين على شن حرب قدرة أمتدت سنين طوال. ومازالت هي على المستوى الرسمي ملتزمة باعلان «حيادها» تجاه الحرب. لكننا لاحظنا أنه حتى قبل أشهر معدودة من الاجتياح العراقي الواسع للاراضي الايرانية فان مسؤولين اميركان لم يخفوا ضلوعهم فيها. فنسب الى «كارتر» الرئيس السابق تصريحه بتاريخ ٢٠/٤/١٩٨٠: «لقد قمنا بعملية لم تنجح وأخفقنا في طبس ـ الايرانية ـ ولكن هناك ماهو أشد وانكى»! كما نسب الى مستشاره لشؤون الأمن القومي تأكيده في ذلك الوقت بأن التوتر المتزايد بين ايران والعراق سيكون الدليل الآخر على أن الخطر شديد على ايران». ولقد اندلعت الحرب في «٢٢/٩/١٩٨٠» وعلى محكها تكشفت حقائق كثيرة، من جملتها أن من الحوافز الاميركية على دفع العراق دفعا نحو الحرب، الثأر من الموقف الايراني الصلب في قضية الرهائن الاميركان.

ولاحظ الجميع أنه حتى بعد أن بلغ الحال بالادارة الاميركية أن تُقرر افتعال مصادمات مباشرة مع ايران خليجياً واجماع أغلب الدوائر الاميركية والعالمية على اتهام الادارة هذه بأنها أسفرت عن انحيازها الصريح الى جانب العراق دون أن يكتب لها النجاح في مهمتها الخليجية، فان الموقف الاميركي الرسمي حيال الحرب مازال على طبيعته «المحايدة».

ونحن قياساً الى كل هذه التجارب، لن نتوقع من الولايات المتحدة أن تسلم

علنا بدورها في مخطط المجزرة التي أوكلت مهمة تنفيذها الى السعوديين.

لكن توالي الزمن وصلابة الموقف الايراني كفيلان بتوضيح ماقد نجهله للآن بشأن المجزرة والجهات الضالعة فيها. وان كنا سنتعرض لذلك بعض الشيء خلال بحثنا المختصر لطبيعة الخطوات التي سارت عليها ادارة الرئيس الاميركي ريغن في مرحلة مابعد المجزرة.

وانفجر خزان الحقد

الطريقة التي تعاملت بها الولايات المتحدة بمؤسساتها الرسمية وغير الرسمية مع نبأ المجزرة وآثارها، تشف عن كثير من الحقد الدفين في نفوس الاميركيين الذين ظلوا يترقبون حدثاً بارزاً ودمويا كهذا يوجه طعنة الى ايران في أعز ماتملك وهو سمعتها ومصداقيتها في الداخل والخارج.

التحليلات والتعليقات التي حفلت بها الصحف الاميركية والتصريحات المنسوبة الى شخصيات اميركية سياسية ومسؤولة، وحتى الانباء المتفرقة بخصوص المجزرة وماتلاها من تطورات، لم تخلُ طريقة عرضها في وسائل الاعلام الاميركية من حسّ حاقد ورغبة قصوى في الانتقام من ايران، وذلك بتعمد اخفاء المعلومات والتشهير بالموقف الايراني والاسلامي.

وفي البداية، ربما سيطر شعور على المتتبع لوسائل الاعلام الاميركية بأن مابثته فور وقوع المجزرة وطابق بحذافيره الروايات السعودية الرسمية هو فقط بسبب قلة المعلومات. أو أن السعودية طرف حليف وايران طرف عدو للولايات المتحدة، ولذلك فان البيانات الايرانية حول الحادث لاتجد في أوقات عصيبة كهذه طريقها للنشر على صفحات الصحف التي يشدها ارتباط وثيق الى الرسميين في البيت الابيض.

الا أن عدم الممانعة بعد ذاك من نشر حقائق لم يتم التعرض لها في السابق بهدف احراج السعودية وممارسة الضغوط عليها لجرها الى مزيد من التوتر مع ايران من قبيل نبأ اطلاق السعوديين النار على الحجاج الايرانيين. فالأمر هنا نفيٌ أولاً، صحة أن يكون فقر المعلومات هو الذي سهل تبني الروايات السعودية من جانب الصحافة الاميركية.

وثانيا، أكد ان المصالح هي الأساس في بلورة أي موقف اميركي رسمي وغير رسمي حيال أي جهة. ذلك أن الاحراج الذي تعرضت له السعودية كان هدفه النهائي حملها على عدم التردد في منح قطع الاسطول الاميركي في الخليج تسهيلات

أضافية على أراضيها.

وعموما فالمراقب الموضوعي يسهل عليه من مراجعة تحليلات الصحف وأسلوب تعاطيها المتذبذب مع أنباء التطورات الخاصة بالمجزرة، أن يمسك بأكثر من رأس خيط يدله على مايحتاج للاقتناع بأنه لولا الضوء الاخضر الاميركي ماعمد السعوديون الى استخدام كل هذه القسوة والوحشية ضد الحجاج.

والمواقب عندما يقرأ ويتمعن في أي تحليل أميركي لابد أن يقع نظرة على معلومات لاتتوفر ألاّ لمن كان على دراية مسبقة وتفصيلية حول أمر المجزرة والضالعين في الاعداد لها.

ولا نغفل أن هذه المعلومات تكون غنية بها عادة المقالات ووجهات النظر المكتوبة باسلوب شامت وينطوي على رغبة انتقامية من الجهة المقصودة بها، أي ايران.

وربما نفترض: أن هذه المعلومات مهما بلغ حجمها أحيانا قد تكون مسربة من مصادر أميركية رسمية أو مخابراتية والقصد منها، ممارسة ضغوط سياسية على جهة معينة كالسعودية.

ولكن هذا الافتراض لو سلمنا بصحته، لابد أن نسلم من باب أولى بأن المصادر التي قامت بتسريب معلومات خاصة، شريكة في الاطلاع والتخطيط المسبقين فيما يخص المجزرة، والآن وقع ثمة اختلاف بينها وبين السعودية ازاء أمور معينة تتعلق بالثمن السياسي ـ وما شاكل ـ الذي ينبغي أن تقبضه من الاخيرة، دَفَعها الى افشاء جانب مماتلم به.

وإلاّ فأي تفسير نضعه لنشر الـ «نيويورك تايمز» في أواخر آب ٨٧ ما ترجمته الحرفية: «انه رغم أن الاسلام يحرم العنف وحمل الأسلحة اثناء فترة الحج ألاّ أن الخميني دأب في كل عام على ارسال أتباعه بهدف تحويل الحج الى ساحة قتال»! والترجمة منقولة عن احدى الصحف السعودية[٢٨].

ثم ان «نيويوك تايمز» تعود (في عدد ٧ ايلول) لتنسخ اعتقادها الاول وتستبدله باعتقاد يفيد بأن الذين يحرضون على العنف والقتال في الحج هم السعوديون. اذ نقلت الصحيفة عن مصادر في الاستخبارات الاميركية تقريراً مفصلاً نسبياً بهذا المعنى وبأسباب حدوث المجزرة. ومجمل التقرير: «ان التعزيزات السعودية وصلت ـ الى مكان المسيرة التي قام بها الحجاج في مكة ـ وأطلقت قنابل الغاز بين الجموع» واضاف التقرير: «ان التعزيزات من الحرس الوطني السعودي فتحت النار من اسلحة اتوماتيكية» على الحجاج.

وزيادة على ذلك نسبت الصحيفة الى مسؤول في وزارة الخارجية الاميركية قوله: «ان السعوديين ابداً لن يعترفوا بأنهم فتحوا النار»![٢٩]

ان أي تفسير موضوعي لذلك يقودنا الى التشكيك في سلامة كل مدعيات اميركا بعدم علمها بالحادث الا بعد وقوعه.

ولعل اقتباس الصحيفة الاميركية معلوماتها من مصادر استخباراتية أريد بواسطته الاشعار بأن الاجهزة المخابراتية وحدها التي كانت مطلعة على ماجرى في مكة المكرمة أو أنها استقت ماتعرفه بدورها من مصادر سعودية.

ونسأل: اذا كانت الاستخبارات الاميركية لها نفوذ متشعب في كل مؤسسات الحكومة السعودية ولاتشق عليها مهمة التجسس لمعرفة حقيقة ماحصل في مكة فهل يصعب عليها تلمس ان السعودية كانت تعد منذ فترة ليست بالقليلة، لقمع الحجاج الايرانيين ومن شاركهم في نشاطاتهم من سائر الحجاج؟

ثم، اذا كانت الاستخبارات الاميركية على علم بأن أمراً بهذه الاهمية سيشهده موسم الحج ـ عام ٨٧ـ فهل يعقل ان تكون الادارة الاميركية بعيدة عنه ولاتتخذ موقفاً مسبقاً وداعماً للسعودية بصدده.

هذا اذا لم يكن مخطط قمع الحجاج بكليته من تنظيم وتحفيز أميركيين. وبأيدينا العديد من الشواهد العملية التي تؤيد ذلك. وسبق ان تناولنا بعضها بالكلام.

ونعود للتطرق الى الدوافع الحاقدة التي طفحت بها كتابات الصحف الاميركية وتحليلاتها بشأن المجزرة.

فمن أبسط مايدلنا على وجود هذه الدوافع، تركيز الصحف ووسائل الاعلام على أنه لولا شعارات وهتافات الحجاج الايرانيين المعادية لاميركا لما وقع الهجوم عليهم من جانب القوات الامنية السعودية.

ففي التقرير الخاص الذي نشرته «هيرالدتربيون» نقرأ: أنه «بسبب خروج الحجاج فجأة في تظاهرات فوضوية جداً!، ادانة لاميركا، فان قوات الامن السعودية سعت للسيطرة على هذا الامر»[٣٠] وتطويقه وقمعه.

الصحف لم توضح بالمناسبة العلة التي حملت السعودية على ابداء كل هذا التشدد والقمع تجاه الحجاج الذين يجهرون بكراهيتهم لاميركا.. وألا يمكن أن يعد ذلك خدمةً لقاء وعودٍ بالدعم؟

لكن بعضها تمادى في استغلال الضجة التي أثارتها «حوادث مكة» لينبري الى شن حملة كلامية سافرة على النظام الاسلامي في ايران وينعته باحتضان «الارهاب» العالمي وأدواته.

فاحدى الصحف الكبرى علقت تقول، انه ماكان ينبغي للايرانيين (. .) ان يمارسوا «التخريب والفوضى واشعال الحرائق» في مدينة مقدسة كمكة.[٣١]

و«التخريب» في مفهوم هذه الصحيفة هو تنظيم المسيرات والنشاطات المنددة بالشيطان الاكبر «اميركا». اذ ان كل نشاط معاد للغرب هو من وجهة نظر الاخير ارهاب وتخريب! اما اشعال الحرائق فالمقصود بواسطته اشعال العلم الاميركي على مرأى من مئات الآلاف من حجاج الدول الاسلامية. وهذا «امر مرفوض تماماً» كما نوهت الصحيفة اليه، لانه يهدد النفوذ الاميركي.

بهذا الاسلوب و غيره، اندفع المحللون والمعلقون الاميركان يوجهون ابشع عبارات اللوم والمسؤولية عن المشاكل والاحداث التي قد تحصل، الى القيادة الاسلامية ويصفونها احياناً، انها تهمل علاقاتها بالعالم الخارجي وتحارب في وقت واحد على عدة جبهات. وأحياناً ثانية، يتهمونها بتوظيف اساليب الخداع والمكرالدبلوماسي لابقاء المواجهة ساخنة بين القوى الكبرى وبين الفرقاء الاقلميين لمصلحتها.

وهذه المعاني المتناقضة والمتضاربة برعت مجلة «تايم» في تضمينها احدى مقالاتها.

فبعد ان اوردت المجلة التفاصيل السعودية الرسمية لـ«احداث مكة»، اتهمت ايران بالبرود والجفاء وبعدم التحقق من اتهاماتها التي اطلقتها على السعودية. وقالت المجلة وهي تصف شعور الايرانيين لدى سماعهم نبأ مقتل العدد الكبير من حجاجهم في مكة: «مليون شخص تجمعوا في شارع انقلاب وسط طهران وهم يلوحون بقبضاتهم ويصرخون بنداء واحد: انتقام، انتقام. . انه منظر هائج وساخط، لكن اي جديد فيه؟!. . الجموع تهتف: الموت لاميركا. . وهاشمي رفسنجاني رئيس البرلمان لايملك ألا ان يدعوا الله للانتقام. . الجموع تزداد غضباً على غضب! لدى سماعها ذلك. . المذياع ينقل صوت آية الله، روح الله الخميني، هادئاً، حزيناً، ومشوباً بالغضب. . الخميني يعنف آل سعود، يصفهم بالجبن وبفقدان الارادة. . ثم لايلبث ان يحمل اميركا المسؤولية. . ويتوعدها بالانتقام. . انه يهدد منذ ٧٩. . اراد تصدير افكاره الاصولية الى دول النفط الغنية. . اقتفى نفس الاثر في الحرب. . ارسل المتفجرات! اشاع الارهاب! واعمال الاختطاف!. . والآن في ذروة غضبه، لعله يأمل ان يسحر ـ الجميع ـ بخطاباته الجياشة. .»!

لنلاحظ نبرة التشفي والحقد في وصف الـ«تايم» هذا. ولنتابع من سياق الوصف الذي اكتفينا بالجانب المذكور منه الى أي اجواء تنقلنا المجلة، وأي نتائج تحاول استخلاصها في خاتمة المطاف، وماذا توحيه هذه النتائج لنا؟

لم ينجح، فهل حقق ريغن ماعجز عنه سلفه..؟؟

الملفت ان مقال المجلة قبل تطرقه الى هذا الامر تعمد الأشارة الى ان اميركا لاقت اذلالاً من نوع خاص عندما توجهت بالطلب الى حليفاتها الغربيات لمعاضدتها في مهمتها الخليجية فلم يرضخوا لطلبها فقررت ان تكون هي ـ الولايات المتحدة ـ البادئة في ارسال الكاسحات والقطع البحرية الاضافية الى مياه الخليج.

ولكن هل كانت هذه الخطوة الاميركية كافية لاستدراج الاوربيين الى هذه المنطقة الحافلة بالاخطار والنتائج غير المحسوبة.. فهم لم ينسوا بعد تجربة لبنان وكيف اقتادتهم اميركا الى الوحل اللبناني ثم كانت هي أول المنسحبين دون اعلامهم المسبق برغبتها في الانسحاب؟!

من الطبيعي، لا.. وهذا تدركه ادارة الرئيس الاميركي ريغن، ولأجل وضع حد له ولمخاوف وتشكيكات الاوربيين في أي عمل تقوم به في المنطقة فماذا فعلت.. سيما وان مهمتها الاخيرة في الخليج تعثرت منذ البداية باللغم الذي اصاب سفينة الشحن الكويتية المسجلة اميركياً «بريدجتون» ثم بسقوط طائرة الهليكوبتر من طراز «سي استالبون» اثناء مهمة ابطال مفعول احد الالغام البحرية، ولاننسى كذلك الصاروخ العراقي الذي اصاب «خطأً» المدمرة ستارك في أواسط أيار من نفس العام..؟

تقول مجلة الـ «تايم»، بعدما تستعرض واقع ماخلفته المجزرة، خصوصاً على الصعيد الايراني الداخلي ووعود القادة الايرانيين بالانتقام من اميركا، انه «.. اصبح معلوماً فجأة! ان زمن المجابهة للولايات المتحدة وسائر الدول ـ اي الدول الحليفة طبعاً مع ايران ـ قد آن أوانه»

وزيادة في حث الاوربيين على الاسراع في الانضمام الى الحشد الاميركي الخليجي فان المجلة تستغرق في وصف حالة الانزعاج وعدم الارتياح لدى الجمهورية الاسلامية تجاه رفع الاعلام الاميركية على سفن الكويت فتستطرد قائلةً: ان «ايران الغاضبة أعلنت وسط ضجة كبرى قرارها باجراء مناورات بحرية باسم مناورات الشهادة ولعل الاسم وحده كفيل بمحو أي غموض عن طبيعة نواياها المستقبلية بشن هجمات «انتحارية» على مصالح الغربيين الحيوية في نفط المنطقة».

ذلك ماهدفت المجلة الى قوله بالضبط. وهي لكي لاتخلق عراقيل جديدة تُبعد الاوربيين عن تأييد المهمة الاميركية الجديدة في الخليج فلقد بادرت من جانب الى التقليل من شأن المناورات ومن قدرة ايران العسكرية ثم في الجانب المقابل حرصت على اثارة المخاوف من نوايا ايران المستقبلية «الانتحارية».

لنقرأ معاً هذا النص الذي هو آخر ماننقله حرفياً عن مقال الـ«تايم»: «بصرف النظر عن نوايا الولايات المتحدة في الخليج فان ايران تجد صعوبة بالغة في دخول حرب مباشرة معها. فعلاوة على انه لاأمل لايران في تسجيل اي تفوق، فمن شأن أي حرب أن تعرض مصادر تمويلها الحيوي في الحرب مع العراق لخطر الفناء.. الا أنه برغم ذلك، لاينفي المحللون العسكريون الغربيون احتمال قيامها بهجمات انتحارية عن طريق الجو أو بالزوارق المملؤة بمواد انفجارية»!

بقى أن نقول ان هذا المقال نشر بتاريخ ٨٧/٨/١٧، أي عقب أقل من ثلاثة أسابيع من يوم المجزرة ونعتقد أن المقال أعطى فكرة واضحة عن المدى الذي ذهب اليه تخطيط اميركا لأستغلال افرازات المجزرة في افتعال مواجهات محسوبة مع الجمهورية الاسلامية.. بيدَ ان التطورات اللاحقة كشفت غلط الحسابات الاميركية وعدم دقتها، لانها لم تراع كفاية ان تماسك ايران الداخلي والقوي يجعلها كقطعة الاسفنج امام الضربات الاميركية، ولامانع اذن من أن ترد على أي ضربة بما يناسبها وأشد أحياناً.

ثالثاً: الخطوات الاميركية اللاحقة

تتمثل هذه الخطوات بمحاولة تكريس الاجواء الناجمة عن المجزرة بهدف تحقيق فائدة سياسية وعسكرية دعائية تتيح لادارة الرئيس ريغن انعاش رصيدها الداخلي والخارجي.

ونحن كنا قد تعرضنا لهذه الخطوات بالشرح في فصول وأجزاء سابقة.. وتناولنا اياها هنا له مفهومه الخاص، الذي نرجو ان نوفق في تفصيله أكثر فيما يتعلق بالهدف الدعائي، من وراء التعاطي الاميركي الرسمي مع ظروف المجزرة.

في تعليق خصصته «وول ستريت جورنال» لـ«أحداث مكة» جاء على لسان مسؤول أميركي لم تذكر الصحيفة أسمه: «ان التهديدات الايرانية الاخيرة بالعمل على اسقاط العائلة المالكة السعودية، من المحتمل، الا تؤدي الى تحفيز الرياض على.. زيادة تنسيقها المعلن مع أميركا ودعماً لجهود الاخيرة في ابقاء طرق الملاحة الخليجية سالكة».

هذا التعليق الذي نشرته الصحيفة في وقت مبكر، من شأنه توضيح أمرين معاً:

١ ـ ان السعودية ظلت محافظة على قدر معين من التعامل الحذر مع النوايا

والمشاريع الاميركية، ومبعث حذرها هو الخشية من عدم سكوت ايران. ولذلك فنحن نقرأ في تعليق الصحيفة أيضاً: «أتصفت حكومة المملكة بموقفها المحتاط للغاية تجاه الراديكالية الايرانية في المنطقة ولقد أبلغ مسؤولون سعوديون الولايات المتحدة بأن انسياقهم الى مهادنة ايران! ـ احياناً ـ سببه ان عدد نفوس ايران هو عشرة اضعاف نفوس السعوديين وأن قوتها ولحمتها الداخلية لايمكن قياسهما بما لدى السعودية، الامر الذي يدعو للحذر البالغ ازاءه».[٣٢]

٢ ـ هذا الحذر السعودي لم تقابله الولايات المتحدة على الدوام بالارتياح، لأنه بات يتعارض مع مشاريعها الخليجية، ومع رغبتها في استهلاك امكانات أطراف محلية ودولية في المواجهة مع ايران وتسجيل نقاط ضعف حاسمة عليها، ولفائدة المصداقية الاميركية التي عانت مما عانت أمام امتداد نفوذ الثورة الاسلامية خارج اطارها الجغرافي الذي ولدت فيه.

ثم ان ما أوردته الصحيفة عن مسؤول اميركي بعد أيام قلائل من فاجعة المجزرة يثبت ان هذا المسؤول وغيره في الادارة الاميركية يثقل عليهم شعور، بألا تكون السعودية مستعدة لنبذ مخاوفها كلياً أمام ايران ومؤيديها حتى بعد أن تسنى توريطها ـ السعودية ـ في «حوادث مكة». وعليه كان متوقعاً من الادارة هذه ومسؤوليها ان يفعلوا شيئاً لتشديد الحصار النفسي على السعودية وجرها الى موقع متقدم من المواجهة مع الجمهورية الاسلامية ولكي تجد باب العودة والتراجع عما هي فيه الآن موصداً أمامها تماماً.

ويلاحظ ان الخيار الذي لجأ اليه المسؤولون الاميركان هنا هو الافشاء التدريجي لجانب من المعلومات الموجودة بحوزتهم بخصوص وقائع المجزرة ومن المسؤول الحقيقي عنها؟ وهو أمر أغضب السعوديين وألجأهم ـ تلافياً للاحراج ـ الى ابداء حالة من التجاوب مع جهود المصالحة السورية مع ايران. علماً بأن الجهود السورية لم ترض واشنطن كما هي لم تقابل برضا بغداد.

وليت الامر اقتصر على سياسة افشاء المعلومات، فقد تعداها المسؤولون الاميركيون الى ماهو اشمل وأكثر مدعاة لتوريط السعودية فيما لاقبل لها على تحمله، وفي اطار محاولات الترهيب والترغيب التي يعد هدفها الاصلي، مواجهة السعوديين بنوع من الأمر الواقع الذي لامناص من التسليم به خدمة للتطلعات المعروفة لأدارة الرئيس ريغن.

تسريب المعلومات

في هذا الصدد نكتفي بذكر جانب من تقرير عممته وكالة يونايتدبرس، فنقلاً عن مسؤولين في الاستخبارات الاميركية قالت الوكالة: «ان الدلائل المتزايدة تناقض الاصرار السعودي على أن قوات الأمن السعودية لم تطلق النار على التظاهرة الايرانية التي كانت تضم نحو ١٥٥ ألف شخص. وقال المسؤولون الاميركيون ان تحقيقاً واسعاً يجري مع المسؤولين في وزارة الداخلية السعودية. وقد توصلت العائلة السعودية المالكة الى الاستنتاج بأن رجال الأمن السعوديين لم يبذلوا جهداً كافياً قبل اطلاق النار لقمع التظاهرة، عندما بدأ المتظاهرون ـ الحجاج ـ في ترديد الشعارات...».

ان هذا النمط من سياسة افشاء المعلومات لاينبغي ان يحملنا على الاعتقاد بأنه ناجم عن «صحوة ضمير» أميركية أو ماشابه، بقدر مايعد الهدف منه، أشعار السعوديين بأن مماطلتهم في منح التواجد الاميركي في الخليج تسهيلات اضافية ـ ومعلنة بالاخص ـ ستكلفهم ثمناً باهضاً.

وهذا بالتالي ليس بمعنى أن الاميركيين لم يحصلوا مسبقا على بعض مايلزمهم من «تسهيلات» فقد تضمن تقرير قدمته ادارة الرئيس ريغن للكونغرس في ٨٧/٩/٢ تفصيلات ذات مغزى عن «الدور الذي تلعبة الحكومة السعودية خلف الكواليس لمساعدة قوات البحرية الاميركية في الخليج.. حيث قدمت بهدوء مساعدات فعالة للولايات المتحدة في دورها الحالي في حماية ناقلات النفط.. من بينها ان أول مهمة قامت بها طائرات الانذار المبكر اي ـ ٣ التي يملكها السلاح الجوي السعودي، كانت لمساعدة العمليات البحرية الاميركية في جنوب الخليج».

أكثر من ذلك، بعث مراسل مجلة عربية من واشنطن بتعليق، عالج فيه موضوع «التسهيلات» وقال: «كان من المثير للدهشة حقاً أن أبدى بعض المسؤولين في ادارة ريغن فزعهم من اقدام السعوديين في الفترة الأخيرة على تقديم تنازلات وتسهيلات عسكرية للولايات المتحدة، لم يسبق ان وافقت السعودية في أي من العهود السابقة على تقديمها وتفسيرهم لذلك، أن العرش السعودي، عودنا على أن لايتحرك بهذا الاتجاه الاعندما يشعر بأنه مهدد بخطر مباشر وليس عندما يشعر أن المصالح الاميركية وحدها هي المهددة».[٣٣] الخطر المباشر، هو ما وصلت اليه الحرب العراقية ـ الايرانية، في الفترة التي سبقت المجزرة خاصة، من احتمال تكللها بفوز ايراني ساحق يبسط آثاره فيما بعد على الخارطة السياسية للمنطقة برمتها.

وأضافة الى ماذكرناه، لابأس من ملاحظة، أن اغلب الامكانيات العسكرية

للسعودية من مثل المطارات والقواعد والمنشآت الضخمة، تفوق قدرة السعودية على استخدامها وربما هي أوجدت لتستقبل اضخم الطائرات الاميركية بمافيها طائرات النقل العسكرية العملاقة. اذ أن السعودية باتت تشكل في كل الاحوال قاعدة اميركية كبرى. وعن هذا يقول «وليم كانت» مسؤول الشرق الاوسط في جهاز الأمن القومي الاميركي في عهد الرئيس السابق كارتر: «ان السعودية هي الحافة التي يود البنتاغون احتلالها لأنها ضرورية لمن يفكر في أية عمليات في الخليج وعينه على الشمال»[٣٤] أي الاتحاد السوفيتي وايران.

ان الولايات المتحدة بيدها كل التسهيلات التي مر ذكرها الى جانب أنها لن تكون بحاجة لأذن خاص، ولن تستأذن احداً في السعودية أو الخليج اذا ما أزمعت الاستفادة العملية من أي نوع من القواعد والامكانات وحتى الترسانات المكدسة في هذه المنطقة، على حد ما صرح به السلطان قابوس الى مجلة المستقبل الباريسية.

اذن بماذا نجيب من يسأل عن مغزى الضغط الاميركي على السعودية بصدد التسهيلات؟

نلفت النظر هنا الى أن التسهيلات التي تعد الادارة الاميركية الحالية بأمس الحاجة اليها هي من نوع التسهيلات المعلنة.

بل انها من نوع التسهيلات التي يستشف من اعلانها أن الادارة هنا نجحت في الاخير في بلوغ ماظلت تصبو اليه خليجياً، خصوصاً امام الجمهورية الاسلامية.. ولأعادة ثقة أصحاب المنطقة بها.

فمثلاً نقل عن مسؤول اميركي أثناء زيارة الامير عبد الله بن عبد العزيز الرسمية لواشنطن في تشرين أول ٨٧ قوله: «سيكون أمراً طيباً لو أن السعودية تفصح بشكل اكثر علانية عن الدور الذي تقوم به من اجلنا».

كما ان نفس المسؤول نسب اليه قول آخر بمناسبة الزيارة، اذ ذكر بأن الامير عبد الله اثنى على الهجوم الاميركي ضد منصتي نفط ايرانيتين أبان تواجده في واشنطن معتبراً «ان مافعلته الولايات المتحدة هو مسؤوليتها كقوة عظمى»[٣٥]!

ونظراً لأن ادارة الرئيس ريغن تعيش أزمة ثقة داخلية مستفحلة، ولامناص من ان تبذل جهوداً استثنائية لمعالجتها او التخفيف من وقعها على نظرة الناخب الاميركي في الانتخابات الرئاسية المقبلة.

ثم ان التحركات والحشود الاميركية في الخليج لم تساعد «الادارة» في تقرير موقفها الداخلي امام معارضيها حيث أفرزت هذه التحركات أمراً واحداً: المواكبة الباهضة الثمن لعدد من السفن الكويتية فيما باقي السفن ـ الكويتية وغير الكويتية ـ

مازال هدفاً مفضلاً للضربات الانتقامية رداً على غارات الطيران العراقي على أهداف بحرية ايرانية وغير ايرانية.

على هذا فأن الادارة الاميركية عادت تفتش بين أفكارها القديمة، المستهلكة، عن حل يشفع لها أمام شعورها بضرورة الانسحاب من الخليج وقطع الطريق أمام زحف السوفيت وتكريس ظلهم على هذه المنطقة، بصورمختلفة، منها الدبلوماسية، ولمبادلة عملية الانسحاب بامتيازات سياسية تحصل عليها واشنطن من موسكو في سياق معركتها مع طهران من على منبر مجلس الأمن.

وأول ماتداعى الى ذهن الأدارة هذه فعله، ارسالها مبعوثين الى عواصم الخليج والى الرياض، أبرزهم وزير الدفاع «فرانك كارلوتشي» للتفاوض حول كسب تسهيلات جديدة و«معلنة».

عن جولة كارلوتشي، حدثتنا صحيفة القبس الكويتية بان الوزير كان قد اقترح بين جملة عروض ان يصار الى منح الاسطول الاميركي في المنطقة زيادة في التسهيلات التي يطلبها وتمويله مادياً ايضاً اذا كان مقرراً بقاؤه أطول[٣٦].

بَيدَ ان هذه العروض وماسبقها وشابهها، لم تلقَ على مايبدو، تجاوباً كافياً من الحكومات الخليجية، ولأسباب لخصتها وكالة الأنباء الكويتية في تحليل لها بطرح التساؤل التالي: «هل سترتكب الولايات المتحدة.. الغلطة غير المبررة في عصر حلفائها بالخليج لمنحها حقوق الهبوط والقواعد والتسهيلات، تحت التهديد بالانسحاب، وهو طلب سوف يرفض بالضرورة لاعتبارات محلية واقليمية، لابد للأدارة أن تأخذها بعين الاعتبار؟»[٣٧]

وبناءً على تلك الأسباب فأن ادارة ريغن أوعزت لعدد من مسؤوليها في جهاز الاستخبارات الاميركية وخارج هذا الجهاز لتسريب معلومات واقعية الى الصحف عن دور السعوديين المباشر في تنفيذ المجزرة.

والمعلومات التي جرى تسريبها لم تنطوِ على أي جديد طالما ان صحفاً عالمية وغربية وحتى أميركية ـ الهيرالدتربيون نقلاً عن شاهد عيان من بين الصحفيين الباكستانيين البارزين[٣٨] ـ كانت قد سلطت الانظار عليها سابقاً.

أنما الجدير والمهم فيها، هو ان تقرن بتصريحات لمسؤولين أميركان تهاجم السياسة الداخلية السعودية. وهذا أمر له دلالته الخاصة. فمثلاً علق أحد هؤلاء المسؤولين على التحقيق ـ الذي زعمت وكالة الاسوشتيدبرس ان وزارة الداخلية أجرته لشتخيص دوافع اطلاق النار على الحجاج ـ بقوله: «مانشهده اليوم هو بحث عادي عن كبش فداء»! وقال مسؤول في وزارة الدفاع الاميركية: «لايمكن ان تكون هناك

قوات أمن غير منضبطة، لكن عليك ان تكون قادراً على ضبط الوضع من دون الاستخدام المفرط للقوة، ان اطلاق النار من أجل القتل والاستفزاز ليس عذراً»[٣٩]

الترغيب و الترهيب

تتفاوت أساليب واشنطن في الضغط على حلفائها الصغار في المنطقة، حسب النظرة الاميركية الداخلية الى التطورات الجارية فيها وتأثيرها سلباً أم ايجاباً على مجمل السياسة الاميركية الخارجية.

مصداق ذلك لمسناه جيداً في ماطرأ على التحركات الاميركية الاقليمية، وفي منطقة الخليج على وجه الخصوص، في أعقاب اكتشاف فضيحة مكفرلين.

فعقب اعلان الفضيحة اتخذت حكومة الرئيس ريغن قراراً بالموافقة على اعادة تسجيل عدد خاص من السفن الكويتية لدى شركاتها حيث فسر القرار كجزء من محاولة الحكومة هذه «لاستعادة الثقة والمصداقية بأنها دولة صديقة لدول الخليج العربية بعد النيل من تلك الثقة اثر فضيحة ايران غيت»[٤٠]

ذلك القرار يحتمل تفسيرات عديدة، انما الذي نحن بصدده فعلاً ان تبنيه اميركياً لم يخل من معارضة اكثر من دولة خليجية وعربية، أضف الى أن القرار بالصيغة التي أعلن بها وجُسد عملياً عبر رفع الاعلام الاميركية على سفن الكويت، لم يأت مطابقاً تماماً لميول الاخيرة «الامنية» بل عرضها لأخطار أضافية ولشروط وطلبات أميركية لم تكن في الحسبان على الارجح.

وهو ماحفز بالنتيجة مصادر خليجية معينة لتعترض عليه، وعلى صيغة تنفيذه على الأقل، بالقول: «ان الكويت عقدت اتفاقاً تجارياً مع واشنطن لحماية نفطها فقط وبعد تنفيذ الاتفاق، باتت وكأنها بحاجة الى اتفاق آخر لحمايتها».[٤١]

صحيفتا «المدينة» السعودية و «الاتحاد» الاماراتية نشرتا بدورهما تعليقات وصور كاريكاتر ساخرة ازاء الافكار التي حددها الاميركيون لاستمرار مواكبتهم للسفن الكويتية. وهو بعد تعرض الناقلة المسجلة في الولايات المتحدة «بريدجتون» للغم بحري عائم أصابها باضرار فادحة، ثم تصريح قائد احدى القطع الحربية الاميركية التي كانت بالقرب من الناقلة وقت اصابتها بانه يجبذ ان تعكس المهمة المناطة به، فتتولى الناقلات التجارية الضخمة حماية القطع الاميركية وليس أي شيء آخر!

انطلاقاً مما سبق. فان ادارة ريغن رأت وأحست بان مهمة مواكبة السفن

التجارية باتت تعطي ثماراً معكوسة. وأخذت تترك بصماتها على مواقف الاميركيين في الداخل تجاه نمط السياسة الخارجية لهذه الادارة.

اذ أن بعض الباحثين الاميركان باتوا يجهرون علناً بخشيتهم من أن تقود سياسة رفع الاعلام على السفن الكويتية الى نسف جهود الأمم المتحدة لاقرار «السلام» بين العراق وايران. ولم يخفوا رأيهم الصريح في ان الاستفزازات الاميركية الخليجية اوجدت نسبياً مناخاً داخل المنظمة الدولية «باتجاه تأييد مطالب ايران المعقولة وأن تعلن الأمم المتحدة حقيقة أن العراق هو الذي بدأ الحرب» في حين أن الجهود الاميركية الرسمية كانت تتحرك بالمقابل عكس هذا الاتجاه.

أحد هؤلاء الباحثين، هي السيدة «روبين رايت» خبيرة الشرق الاوسط والخليج في «مؤسسة كارينجي للسلام» أثارت من جانبها ان «حكومة ريغن لم تقم بأي محاولة للضغط على العراق لوقف هجماته على السفن التجارية وناقلات النفط في الخليج.. مع علمها بأن هذا النشاط هو الخطر الرئيسي الذي يهدد تدفق النفط الى الغرب». (٤٢)

بمعنى ان حكومة ريغن لم تهدف بقرارها في تقديم الحماية للسفن الكويتية الى تحجيم الخطر المذكور بل هدفت بالضبط الى استغلاله وتكريسه لصالح ترميم سمعتها.. لولا اصطدامها بعقبات كبرى في الخليج.

وأمام شدة المعارضة الداخلية المتفاقمة والاحراج الكبير الذي واجهته ادارة ريغن، كيف رأت الادارة هذه ان تتصرف وتصد الضرر عن نفسها وعن حزبها الجمهوري الذي لم يقطع أمله بالفوز في الانتخابات الرئاسية بعد انتهاء ولاية ريغن..؟

شرحنا من قبل أن «الادارة» اعتمدت بالفعل خطة عمل جهنمية، مثلت مجزرة مكة وتوابعها، جانباً منها لاستدراج الاوربيين وحمل الخليجيين على اسقاط مابأيديهم من تحفظات دعماً للاستفزازات الاميركية لايران وانقاذاً لريغن وحاشيته من مأزقهم الداخلي.

هذه الخطة اصطدمت منذ البداية بنتائج غير مرضية جعلت ريغن وحاشيته في موقف لايحسدون عليه أمام منافسيهم الديمقراطيين.

اذ ان السناتور سام نان رئيس لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ الاميركي، وأحد القلة من الديمقراطيين الذين استطلع البيت الأبيض رأيهم وحصل بالفعل على موافقتهم (..!) قبل شن هجمات عسكرية محدودة على أهداف بحرية وساحلية ايرانية غير نظامية، كان من الأوائل الذي رفع صوته معترضاً على مجمل

السياسة الاميركية الخليجية وحيال ايران، واعتبر انها مليئة بالمفارقات بقوله: «ان هذه الحكومة ـ التي يقودها ريغن ـ تورطت في بيع الاسلحة سراً لايران ثم هي الآن تقرر الدخول في مواجهة عسكرية معها، ان هذا الامر يدل على انعدام التوازن، اننا بحاجة الى سياسة متوازنة». (٤٣)

من عمق هذه الكلمات التي قالها السناتور الاميركي والديمقراطي يمكن ادراك الى أي حد وجدت ادارة ريغن نفسها محرجة ومستهدفة داخلياً. ولنترقب بالتالي ان تفعل الاعاجيب للقفز على حالتها تلك.

وباعتقادنا ان الادارة الاميركية تحركت في اتجاهين رئيسين لتلافي أزمتها الصعبة هذه:

ـ على صعيد الداخل، بذلت الادارة جهداً خارقاً لاستثمار «عوائد» الازمة الكبرى في سوق الاسهم المالية والضجة الواسعة التي أحدثتها للتغطية على نتائج فشلها الخليجي.

وحتى ان ناظرين أميركان اتهموها بافتعال الأزمة المالية ككل لفائدتها السياسية. ولقد عرفت هذه الادارة طيلة السنوات الماضية بنزوعها المستمر الى تخفيض سعر الدولار لمعالجة العجز في موازناتها الداخلية.

وبهذا الصدد فان رياح التوتر في الخليج تم توجيهها بشكل مقصود ـ من قبل ادارة ريغن ـ لتصيب اسواق الأوراق المالية بضرر فادح.. انما من الممكن السيطرة عليه وتلافيه لاحقاً، بعد جنى فوائد سياسية منه. فنسب الى أحد سماسرة سوق الاوراق المالية في «وول ستريت» (الكائن في قلب العاصمة واشنطن) تصريحه بالحرف مشيراً الى ماكان يعاني منه السوق: «هذا مافعلته قذائف مدفعية المدمرات الاميركية في الخليج». (٤٤)

ومعلوم ان الهجوم الاميركي على منصتي نفط الايرانيتين في ١٩/١٠/٨٧ هو الذي ولد الأزمة كلها. وقد تساءل حينها محللون أميركان عن السبب الذي حدا بأدارة ريغن الى انتخاب هذا الهدف النفطي وعدم توجيه الضربة الى اهداف ثانية لها طابع تجاري وغير نفطي.

صحيفة «بالتيمورسان» فسرت عدم توجيه النار الى أهداف بذاتها في منطقة الفاو الاستراتيجية العراقية التي تسيطر عليها القوات الايرانية بأنه من باب تجنب التورط المباشر والعلني في حرب العراق وايران.

لكن التفسير الاقوى الذي طرح بالمناسبة هو ان انتخاب هدف نفطي ايراني، جاء لأجل التحفيز على توقع رد ايراني مماثل على أهداف ومنشآت نفطية خليجية وعلى

غرار اصابة ميناء الاحمدي الكويتي مثلاً. وأمر كهذا، من البديهي جداً أن يخلق اضطراباً حادا ومفاجئاً في الأسواق المالية. وهو ماحصل فعلاً، كما أمكن فيما بعد التحكم في آثاره وتسكينها.

ـ الاتجاه الآخر الذي سارت وفقه ادارة ريغن، تمثل في الضغوط الخفية والمعلنة التي مارستها الادارة على دويلات ودول الخليج. واتخذت الضغوط صفتي الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى لحمل الدول المعنية على التجاوب الى أقصى حد بشأن التسهيلات التي تطلبها واشنطن.

لأجل ذلك بدأنا نسمع في قالب أنباء وتحليلات صحفية أميركية ، أن الرياض ضاعفت من تسهيلاتها الممنوحة لتسهيل مهمة الاسطول الاميركي في الخليج.

كما أصبحنا نقرأ بكثافة غير عادية وعلى صفحات الصحف دوماً تقارير متبادلة بين أجهزة الادارة الاميركية (البيت الأبيض ـ البنتاغون ـ الخارجية) وبين الكونغرس بشأن ماسمي بتعاون سعودي ـ اميركي غير عادي في مجال «المحافظة على حرية الملاحة الدولية» في الخليج.. وليس الغريب ان يكون مثل هذا التعاون قائماً، انما من غير المألوف أن تسلط الاضواء بهذه الشدة والكثافة عليه.

الأمر الذي شعرت السعودية منه بضيق كبير وتردد أنها أبلغت الوزير الاميركي المستقيل «واينبرغر» ومن بعده «كارلوتشي» ومبعوثين أميركيين آخرين زاروا الرياض بعدم تحبيذها أن تظهر بمظهر المنقاد بلا أرادة وراء ماتميله ارادة البيت الابيض.

لكن هذا لم يمنع مسؤولين أميركان بالمقابل من مواصلة التصريح والقول بأن «السعوديين متعاونون للغاية»[١٥] وأنه ياحبذا لويتم الافصاح عن هذا التعاون بين الجانبين بنحو اكثر وضوحاً.

الكويتيون كذلك كانوا قد اصدروا نفياً على لسان وزير الدفاع السابق سالم الصباح بشأن ماقيل عن وضعهم امكانات وقواعد تحت تصرف القطع التابعة للاسطول الاميركي الذي يواكب حركة سفنهم.

الا أنه بعد أصابة منصة بحرية عائمة قرب السواحل الكويتية بصاروخ لم تتبن جهة محددة مسؤوليته، قبل يوم واحد من اجتماع ريغن ـ غورباتشوف في واشنطن، في كانون أول ٨٨، فأن أجهزة الاعلام الاميركي عاودت تسخين الحديث عن التسهيلات الكويتية الممنوحة لقطع الاسطول.

وبهذا المنوال ـ بين ما تذيعه أميركا وتنفيه الكويت أو السعودية دون انقطاع ـ أمّلَتْ الادارة الاميركية نفسها في أن تسهم عملية تسريب الحقائق للصحف في اشعار الداخل الاميركي بأن ثمة أمر حادث فعلاً، وان بالغ المسؤولون الخليجيون في

التكتم عليه لأنه «يعد مساساً بسيادتهم الداخلية»!

وخلاصة القول، فأن الادارة هذه ظلت حريصة على مجرد التظاهر بأن خطواتها الخليجية مهما تعثرت وتسببت في أضرار فادحة، أقلها الدمار الذي لحق بالمدمرة ستارك مع مقتل ٣٣ من بحارتها، فهي لم تخل من نتائج ايجابية تعيد ثقة أصحاب المنطقة والعالم بدورها الاقليمي.

وطبعاً فمؤشر الرضا الاميركي الداخلي على سياسات الادارة الفعلية يمكن قياسه والتعرف عليه من خلال وجهات النظر المطروحة داخل الكونغرس ومدى استعداد الاخير للتمديد لبقاء قطع الاسطول الاضافية في الخليج والموافقة على بيع أي طرف خليجي اسلحة اميركية متطورة.

ونظراً لأن كلاً من مجلسي النواب والشيوخ الاميركيين تشغلهما غالبية ديمقراطية معارضة وحساسة لنهج ريغن الخارجي، والخليجي بالاخص، فأن الرئيس الاميركي الحالي وحاشيته رموا بكل ثقلهم نحو محاولة كسب تسهيلات مصرح بها على لسان مسؤولين خليجيين.

اذ من شأن هذا اللون من التسهيلات أن يعد بمثابة توثيق اقليمي لسلامة وقوة السياسة الريغانية الخارجية، وعلى هذا الاساس فأن مسؤولي ادارة ريغن لم يتركوا خياراً الا وسلكوه على سبيل اقناع حكام الخليج بأن أمنهم الذاتي والخارجي مناط بما تقرره أميركا وتجاوبهم بالمقابل مع طلباتها من غير تحفظ.

ونحن نكتفي هنا بذكر ثلاثة مصاديق تؤيد هذا المعنى:

ـ اختارت الولايات المتحدة التلويح بعدم اكتراثها ازاء بيان صدر لمجلس الوزراء الكويتي يوم ٨٧/٩/٦ وموضوعه اصابة صاروخ «ايراني» ـ حسب الاتهام الكويتي الذي لم تؤيده طهران ـ للمنشآت «الصناعية» والساحلية الكويتية. فلقد تحدث السفير الاميركي فيرنون والترز في نفس اليوم لشبكة التلفزيون «سي. بي. اس» معرباً عن رأيه بأن الصواريخ «سقطت في البحر على حد علمي» ولم تصب اية منشآت كويتية كما أنه اذا كانت ثمة امتدادات للحرب فهي مازالت في «المياه الاقليمية الكويتية» ناسفاً هنا ما ادعته الكويت من ان الحرب اخذت تنذر بالتوسع لتشملها هي ايضاً. هذا الرد الاميركي «اغضب» مصادر خليجية وكويتية ودفعها للتصريح بأن «البوابة التي انفتحت للاميركيين ـ حشر حكومات الخليج في مواقف محرجة ـ قد تنفتح ايضاً امام الكثير من المفاجآت» في اشارة ضمنية الى أن أمام الخليجيين مجال طلب الاستمداد من قوى اخرى ليست غربية واميركية بالضرورة.[٤٦]

ـ نشرت صحيفة «وول ستريت جورنال» أوائل ايلول ٨٧، نقلاً عن «محققين

اوربيين» ان وسيط السلاح الدولي كارل اريك شميدت وهو من السويد كان يقوم عبر شركة «تويل» بشحن اسلحة وذخائر الى باكستان، «بعدها تقوم ايران بشراء البضاعة من الحكومة الباكستانية». هذا النبأ علقت عليه جهات خليجية بأنه يأتي ضمن «بعض الاشارات ذات الدلالة»[47] على ان الولايات تزمع الابتعاد عنها وتقوية ايران بهدف الضغط على حكومات الخليج وابتزازها!

ـ تحت عناوين مختلفة أخذت «تضغط الولايات المتحدة، في ظل التهديد باحتمال الانسحاب، من أجل المزيد من القواعد والتسهيلات». هذا ماحمله تقرير مراسل صحيفة عربية من أبو ظبي.[48] وأيد التقرير، تحليل بثه راديو صوت اميركا قال فيه: من «المعروف ان عمليات الحراسة ـ للسفن الكويتية ـ مكلفة فمعظم التقارير التي نشرت تقدر التكاليف بما يصل الى ٢٠ مليون دولار في الشهر ولذلك راجت تكهنات صحفية خلال الجولة التي قام بها وزير الدفاع الاميركي كارلوتشي للمنطقة مؤخراً حول احتمال سحب بعض السفن التابعة للبحرية الاميركية من الخليج»[49]. ونذكر بأننا أشرنا بالفعل الى نبأ خاص لصحيفة القبس الكويتية، عن مسؤولين خليجيين، جاء فيه ان وزير الدفاع الاميركي كان قد ألح خلال جولته على لزوم عدم التشدد في منح التسهيلات وتحمل الاعباء المادية الناجمة عن مواكبة السفن الكويتية، مقابل ابقاء مهمة المواكبة مستمرة وعند الحدود التي عبر عنها الوزير نفسه اثناء توقفه في باريس في طريق عودته من الخليج الى واشنطن اذ صرح محاولاً تهدئة مخاوف الخليجيين «بأننا لانرغب في ان تكون لدينا سفن في الخليج أكثر مما هو ضروري».

بهذا النمط سعت ادارة الرئيس ريغن الى مضاعفة القلق في نفوس الخليجيين ومحاولة استثمار ذلك لاقناعهم بصورة من الصور بأن لاغنى لهم عنها.. وأن مصالحها هي المرجحة في النهاية.

وأما العلة الاصلية في ذلك فيصفها تحليل اخباري اميركي بأنه «تحت ضغط من بعض الحكومات في منطقة الخليج وضغط الكونغرس الاميركي في واشنطن بدأت حكومة الرئيس ريغن بمراجعة عملية وجود قواتها البحرية في الخليج، فمنذ أن بدأت الولايات المتحدة عملية الحراسة والجدل محتدم داخل اميركا حول طبيعة الاهداف التي ترمي اليها المهمة الاميركية، ويدعي منتقدوا عملية الوجود العسكرية الاميركية ان القوات الاميركية موجودة في تلك المنطقة دون تحديد واضح لمهمتها».

أما الحكومة الاميركية، فبماذا ردت على منتقديها؟.. لعلنا من خلال ذلك نتعرف على ماهية الضغوط التي مارستها واشنطن على دول خليجية لمساعدتها في

التقليل من أعباء ماتواجهه في الداخل.

يضيف التحليل الاخباري: لقد «أوردت الحكومة عدة أهداف لتلك المهمة ـ الخاصة بالخليج ـ بما في ذلك حرية الملاحة.. وحرية تدفق البترول.. وتعزز الثقة لدى اصدقاء الولايات المتحدة في الجانب الغربي من دول الخليج والأمل في وضع نهاية للحرب العراقية ـ الايرانية».

وطبيعي فأي من تلك الاهداف هو ثانوي قياساً لهدف أهم وأشمل توصل اليه «التحليل» بالقول: «على الرغم من ان الاحصاءات تشير الى ان الوجود العسكري الاميركي في الخليج أدى الى زيادة حادة في الهجمات التي تشن ضد الملاحة» فأن الأمل يحدو بالحكومة الاميركية ان ينظر الى «مهمة الحراسة» التي تقوم بها للسفن الكويتية بأنها «عملية ناجحة لأنها ردعت ايران ـ التي لم تدع مجالاً للشك في أنها تنتقم من أي هجمة عراقية كما جاء في التحليل ايضاً ـ عن توسيع نطاق النزاع!»[٥٠]

والنظرة المقصودة هنا، هي نظرة الفرد الاميركي الى كل ماحققته وماعجزت عن تحقيقه ادارته الفعلية بصدد قضايا المنطقة الحساسة. وهي بالتالي نظرة الناخب الاميركي، الى صالح من سيدلي برأيه في الانتخابات الرئاسية بعد انتهاء عهد الرئيس ريغن؟

ووصولاً الى تصحيح تلك النظرة، وبعدما رأت وأيقنت ادارة ريغن بأن الضغوط والمخاوف التي تم تزريقها للخليجيين لم تجدِ نفعاً ـ في المدى القصير والمنظور، على الاقل ـ لهذا فهي عمدت أحياناً الى استخدام اسلوب آخر قائم على محاولة استرضاء الخليجيين وتطميعهم بزيادة دعمها التسليحي وابقاء «حمايتها» لهم، أملا في أن يجاروها في مخططاتها الدعائية في الفترة الوجيزة المتبقية من حكم الرئيس ريغن.

وبذا اخذنا نشهد ـ مثلاً ـ فصول اثارة جديدة لصفقة صواريخ «مافريك» الاميركية المضادة للدبابات المزمع بيعها الى السعودية. فحملت الأنباء: «أن التعاون السعودي قد يدفع بالرئيس الاميركي ريغن الى ان يقترح على الكونغرس بيع صواريخ مافريك الى الرياض، وذلك نقلاً عن تصريحات مصدر اميركي وأثناء زيارة ولي العهد السعودي الى واشنطن. وكان الكونغرس قد رفض طلباً سعوديا لشراء ١٦٠٠ صاروخ «مافريك» مضاد للدبابات.

وفسر هذا الرفض في وقته على أساس أن الصواريخ قد تستخدم ضد اسرائيل»[٥١] في حين أن السبب هو يناقض تماماً ما أشيع عنه.

فلا الصواريخ هي مهمة الى ذلك الحد بالنسبة للسعودية التي حرص وزير

دفاعها الامير سلطان بن عبد العزيز على أن يقابل اثارة مسألة الصواريخ مرة أخرى باطلاق تصريح عن نية حكومته في اقامة تعاون عسكري مع البرازيل، وأشارة الى ان حكومته بوسعها تأمين السلاح من مصادر عدة.

ولا الأدارة الاميركية التي ما أسرع ما انقسمت حول أمر الصفقة كان في نيتها تقوية طرف اقليمي على حساب طرف آخر. ففي تعليق لمراسل عربي من واشنطن جاء: ان زعامة هوارد بيكر رئيس اركان البيت الابيض ترى ان واجب المسؤولين الاميركيين الأول والرئيسي هو تجنيب الرئيس ريغن هزيمة أخرى مهينة في الكونغرس «مهما كانت طبيعة المخاطر التي تتعرض لها حكومة أجنبية»[٩٢].

المطلوب اذن ـ وراء اقتراح صفقة صواريخ «مافريك» ـ هو ان يخوض الرئيس الاميركي اختباراً جديداً لقياس مدى ثقة الكونغرس به وبسياسته الخارجية، وأن ينجح في هذا الاختبار الذي سيبقى بمثابة البوصلة التي تهدي الناخبين الاميركان الى التصويت لصالح الحزب الجمهوري الحاكم او سواه.

ولا يقصد بالاقتراح في التالي تأمين مستلزمات قوة اضافية للسعودية التي تمتلك ماتمتلك من ترسانات الاسلحة. ثم ما العبرة من تكديس السلاح اذا كان صاحبه والمالك له، عاجزاً عن استخدامه، الا بما يشعره بأنه قوي داخلياً.

وبالنتيجة، فهذا الأمر مضافاً الى اعتراض أكثر من دولة في المنطقة على سياسة ريغن الخليجية وعلى «ان مشاركة البحرية الاميركية ـ بدعوى حماية الملاحة ـ لن تساعد في تحسين الوضع في المنطقة»[٩٣] هو ما أفرز شعوراً لايطاق ممزوجاً بمرارة الاحباط والفشل لدى شخص ريغن وحاشيته.

فماذا كان آخر ما ابتدعه فريق العمل في البيت الابيض للتخفيف من وطأة هذا الشعور؟ لقد كان آخر ماطالعنا به هذا الفريق، ما ركز عليه مقال، لصحيفة «كريستين ساينس مونيتر» ونقلاً عن مصادر حكومية لم تذكرها بالاسم عن «ان وزارة الدفاع الاميركية تقترب بعد ستة اعوام من العمل الدؤوب الهادف، من تشييد شبكة من المرافق الجوية والبحرية ومستودعات الاسلحة والذخيرة المعدة لاستخدام القوات الاميركية اذا اصبح لزاماً عليها القتال في منطقة الخليج» وقالت الصحيفة: «ان تلك التسهيلات تستخدم حالياً على نطاق ضيق دعماً لعمليات مرافقة السفن الاميركية لناقلات البترول الكويتية» و«ان بعض الطائرات الاميركية تستخدم ـ بالفعل! ـ المطارات في منطقة الخليج»[٩٤]

لقد بلغ الافلاس السياسي الداخلي بادارة الرئيس ريغن ان تحاول تلفيق الانباء والتقارير عن «النجاح» الذي سطرته في مجال سياستها الخليجية، وأنها تمكنت

طيلة ستة أعوام من حكم الرئيس ريغن ـ رئاستين متتاليتين ـ ان تقيم «المرافق» العسكرية والحيوية وتعدها لوقت الحاجة فيما لو اشتعلت حرب معينة على ارض الخليج!.. أو أن هذه «المرافق» دخلت فعلاً حيز الاستعمال، وثم فلا داعي للشك في جدوى مافعلته هذه الادارة خليجياً.

ان «الحرب» التي ادعت الصحيفة ان ادارة الرئيس ريغن تعد نفسها لها قد استنفدت اغراضها بالفعل، اذ نودي عليها منذ ان اشتعلت شرارة الاحداث في مكة المكرمة .. انما كيف كان الحصاد الاميركي للنتائج؟

فلم تكد تنقضي ثلاثة ايام على الاحداث حتى قرأنا في صحيفة المانية، أن اصوات طبول الحرب باتت تدوي بشدة من مكة وان هذه الاحداث اصبحت تؤشر الى «تبدل هام في مسار المواجهات العسكرية والاقتصادية التي ستدفع حرب الخليج الى حافة ازمة اقليمية كبرى قد تتحول جراء عود ثقاب واحد الى حرب مدمرة واسعة تجتاح المنطقة الممتدة من اندونوسيا الى المغرب».(**)

رابعاً: مسؤولية السعوديين المباشرة .. وتحركاتهم

الاعتراف الاميركي بأن السعوديين اطلقوا النار بالفعل على الحجاج، هذا الاعتراف تحت أي عنوان أو مبرر جاء، انما يسلط الضوء على وجود علاقة خفية بين اليد السعودية التي نفذت المجزرة والعقل الاميركي الذي خطط لها.

وهذا التخطيط هو الذي سنسلط الضوء عليه هنا، وبالذات على شقه الذي تحملت السعودية مسؤولية تنفيذه، ثم محاولة ترسيخ آثاره وتوجيهها دعماً للسياسة الاميركية في المنطقة.

لنتوقف بادئ ذي بدء عند الحصيلة الاولى من البيانات والمواقف الرسمية وعبر الصحف التي تخص المجزرة لكنها موجهة في الحقيقة لخدمة الاغراض الاميركية.

تناغم سعودي ـ أميركي واضح

الذي يقرأ الصحف السعودية وهي تتهم ايران برعاية «الارهاب العالمي» والقيام بأعمال «تخريبية»، في لبنان مثلاً، وتهديد «أمن» جيرانها والمنطقة وتعريض الملاحة الدولية «للخطر» وماشاكل.. لاينبغي ان يسيطر عليه شعور بالدهشة وهو يلاحظ هذا السيل من الاتهامات التي تشبه في مفرداتها وأغراضها الاتهامات التي تطلقها

وتعممها عادة الولايات المتحدة على كل معارضي سياساتها الاقليمية.

والسبب، هو أن مصدر التخطيط والتنسيق واحد أي الولايات المتحدة أما الجهة المنفذة فهي السعودية، ومن ضروريات التنفيذ، العمل على لفلفة الجريمة والتغطية على ذيولها او توجيهها وجهة مقصودة، وبأسلوب مطابق تماماً للأسلوب الذي يتميز به أي تحرك أميركي مضاد للجمهورية الاسلامية.

لنقرأ مثلاً أحد أعمدة «الرأي» الرئيسية لصحيفة «عكاظ»، في هذا العمود جاء: «ان اشاعة الارهاب في كل مكان!.. هو مايفعله حكام طهران»![٥٦]. وفي اطار تغطيتها لـ«ردود الفعل» العربية على مجزرة مكة فان صحيفة أخرى هي صحيفة «الرياض» تعمدت ابراز عناوين من قبيل «تونس تطالب بوقفة اسلامية!.. في وجه المد الارهابي الايراني» ونقلت «الرياض» عن احد الصحف التونسية: «ان ماقام به النظام الايراني في مكة المكرمة يتجاوز ان يكون مجرد تحرشات.. ولم تكن مكة فقط مستهدفة به بل هو مخطط واسع وخطير يعم المدن والعواصم المركزية.. في عالمنا الاسلامي!»[٥٧]

صحيفة «المدينة» اهتمت كذلك في تطرقها لموجة «ردود الفعل»، بابراز عناوين فضفاضة لكنها ذات مغزى معين، ومن هذه العناوين: «دول العالم تدين التخريب الايراني»! و«شجب اعمال العنف الايرانية في مكة»[٥٨]!

الوزير السعودي نايف بن عبدالعزيز قال في مؤتمر صحفي موسع عقده لشرح أبعاد ماحدث في مكة: «ان ماقاموا به ـ الايرانيون ـ لايمكن أن يصدر عن عفوية أو بعيدا عما يراد بهذه المنطقة والعالم الاسلامي ونحن نعلم الاطار الذي يتحركون فيه «ثم أضاف موضحا هذا البند من كلامه في المؤتمر الصحفي بأن أتهم الايرانيين بمحاولات «زعزعة الاستقرار في العالم الاسلامي»[٥٩].

ومن جانبه فان وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل ركز على اتهام ايران برعاية «الممارسات الارهابية» و «الأعمال التخريبية» وذلك في كلمته أمام مجلس الجامعة العربية في تونس أواخر آب ٨٧[٦٠].

والغرض من ايراد كل هذه النماذج هو ملاحظة شكل التحرك المنظم، الدعائي والدبلوماسي، الذي ميز المسعى السعودي الهادف الى تحميل ايران أولاً مسؤولية حالات عدم الاستقرار التي تعيشها دول اسلامية وعربية ثم لاتهامها بأنها تقف وراء تفجير أحداث مكة وأنها.. هي المسؤولة عن حالة الفوضى واللاأمن في الخليج «لدأبها على زرع الفوضى و..» في نقاط عالمية ثانية.

وجلي تماماً، أن الاتهامات المذكورة تلتقي مع مثيلاتها من سلسلة الاتهامات الاميركية لايران عن ضلوعها في «الارهاب» الذي يمارسه أفراد ومنظمات معينة والاتهامات السعودية عند تفصحها جيداً ومقارنتها بخطوات التحرك السعودي الدبلوماسي اللاحق وماهدف اليه، يتضح لدينا أن هم السعودية الرئيسي من وراء افتعال مجزرة مكة والحاقها بضجة كبرى هو تأييد المزاعم الاميركية والتمهيد للمواجهة الاميركية مع الجمهورية الاسلامية.

نشاط . . بصبغة أميركية

التحرك المكثف والمضاد للسعودية، عندما يحمل صبغة أميركية ويطابق بأهدافه التطلعات الاميركية المعروفة ضد الجمهورية الاسلامية، لابد أن يحملنا على التصور بأن تكون أميركا هي منبعه أساسا، وأن نرى المجزرة التي جعلت منطلقا لهذا التحرك، أنها من صنع وتدبير أميركيين في الأساس.
وسنطلع القارئ هنا على بعض الأمثلة المؤيدة لذلك:

١ ـ **الدعوة الى عزل ايران** : هذه الدعوة جاءت امتداداً لما عرف بحرب السفارات عام ٨٧ التي تكللت بقطع العلاقات الدبلوماسية أو تجميدها وتخفيضها الى أدنى مستوى بين طهران ولندن وباريس.

ونذكر بأن خطوات قطع العلاقات الاوربية مع طهران جاءت اثر اتهامات لم تتأكد فيما بعد عن علاقة أحد موظفي السفارة الايرانية في باريس بموجة التفجيرات التي عمت هذه العاصمة في أيلول ٨٦. كما أن الأزمة الدبلوماسية الحادة التي نشبت بين العاصمتين الايرانية والبريطانية، مردها الى اتهام واهٍ لنائب القنصل الأيراني بمدينة مانشستر عن ضلوعه في عملية «سرقة»!!

وطبعا فأي من الاتهامين لم يتأكد بدليل ما أفرزته التطورات اللاحقة من قبيل الافراج المتبادل عن السيد وحيد كرجي موظف السفارة الايرانية المتهم في باريس مقابل القنصل الفرنسي جان بول توري الذي أخذت عليه محكمة الثورة بطهران تعاطيه مع عمليات التهريب واتصالاته بالعناصر المعادية للثورة الاسلامية.

فهذا الافراج المتبادل جاء بعد اعلان المحكمة الفرنسية العليا تبرئة «وحيد كرجي». الأمر الذي تسبب في احراج فادح للأوساط الفرنسية التي لم تكف عن كيل الاتهامات لايران ودبلوماسييها. كما أدى الى نشوب معارك كلامية أشبه ماتكون

بحرب دبلوماسية باردة بين باريس ونظيرتها البريطانية. وبسبب، أن العاصمتين لم تقدما على خطوات قطع العلاقات مع طهران الا بالتنسيق المشترك بينهما ومع واشنطن لتسليط مزيد من الضغط على ايران وانتقاما لآثار فضيحة مكفرلين. ولهذا لم يكن غريباً تشابه الاتهامات البريطانية والفرنسية لدبلوماسيين ايرانيين، مع ما ساقته الشرطة الفيدرالية الاميركية في وقت متزامن تقريبا، مع اتهام الممثل الايراني الدائم في الامم المتحدة السيد رجائي خراساني بـ«جريمة سرقة»!! من أحد المحلات الكبرى في نيويورك.

المهم، أن الأزمة التي أبعدت طهران شبحها عن نفسها وتحولت بالتالي الى حرب كلامية ساخنة بين فرنسا وبريطانيا، هذه الحالة شطبت كليا ماتردد عن دور ايران في احاطة نفسها بحزام من المشاكل الدبلوماسية والقطيعة مع دول العالم، لاسيما الاوربية منها. ونخص فرنسا بالذات التي استأنفت لاحقا مساعي التقرب من الجمهورية الاسلامية طمعا في اسنادها لها لتذليل مشاكلها في المنطقة وفي لبنان.

أما، مادخل السعودية في ذلك كله؟ فهنا نلفت النظر الى المسعى السعودي الحثيث الذي بدأ يطرح نفسه على الصعيدين الاعلامي والدبلوماسي، بعد الفراغ من المجزرة مباشرة. فعبر كتابات الصحف وفي أقوال المسؤولين السعوديين ترددت كثيرا عبارات الحث على مقاطعة الجمهورية الاسلامية وعزلها. فضلا عن أن التحركات الدبلوماسية التي قادتها السعودية في اجتماعات وزراء الخارجية العرب وقادتهم وفي الاطار الخليجي هدفت في ظاهرها الى اقصاء ايران من الساحة العربية ثم الدولية.

وهنا يمكننا الاطلاع على مالجأت اليه السعودية عبر العناوين والآراء المنشورة في الصحف:

ـ في مقال افتتاحي لصحيفة «عكاظ» نقرأ: «عندما فشل مخططهم في استثارة عواطف الشعب الايراني.. ضد عدو وهمي باستمرار! وتعرضهم للمزيد من العزلة.. واصرار المجتمع الدولي على ادانتهم.. فجروا حقدهم.. في مكة المكرمة.. ونقلوا الحرب الى جبهة اخرى»[٦١]. بهذا المعنى وهذا الاسلوب كرست العديد من الصحف السعودية كتاباتها للاشارة الى أن ايران باتت في عزلة وأن «الادانة» الدولية لها ـ من جانب الولايات المتحدة مثلاً! ـ هي دليل هذه العزلة كما انها دليل على أن ايران ما انفكت تحارب على جبهات عديدة.. كأن المطلوب من الجمهورية الاسلامية أن تهادن أميركا و «اسرائيل» لتصبح غير معزولة بنظر «عكاظ»..

ان اتهام ايران بالتورط في منازعات خارجية عديدة هو اتهام أميركي وغربي لتشويه سمعة الايرانيين. و«عكاظ» تسخر نفس الاسلوب لمحاولة الاستشهاد أولاً بأن أمل ايران في خرق «عزلتها» قادها الى «احداث مكة» والسعوديون ليسوا مسؤولين هنا! ثم ان الصحيفة تساير رغبات الغربيين في اظهار ايران أنها السبب في «العزلة» التي تعيشها! وأنها تقف وراء المنازعات والمجابهات التي قد تحدث بينها وبين أميركا في الخليج أو في الميادين الأخرى. وكلام الصحيفة، علاوة على اتاحته الفرصة لاعداء الثورة الاسلامية الايرانية لتمرير ادعاءاتهم، فانما يشجع على اعلان الحرب على هذه الثورة من الخارج. من باب أن الاخيرة هي التي ترمي تصدير مشاكلها الى الغير وليست اميركا التي تفعل ذلك وتتستر عليه دائما.

ـ في مقال لصحيفة الجزيرة اتهمت الصحيفة ايران بـ«افتعال الأسباب لاستمرار الحرب مع العراق».. والتعامل مع «منظمات تحترف الارهاب.. في كل بقعة». واتهمت القادة الاسلاميين الايرانيين بأنهم «يحاولون ايجاد نظريات عكسية لطبيعة الأمور!.. وهذا ما أوجد ـ برأي الصحيفة ـ ردات الفعل المتوالية.. مستنكرة أساليب هؤلاء المنبوذين!! من المجتمع الدولي»[٦٢]. هكذا وبسهولة تكرر «الجزيرة» نفس الالفاظ والمعاني التي سبقتها اليها صحيفة «عكاظ» وتزيد عليها باتهام الجمهورية الاسلامية بالتعاطي مع المنظمات الارهابية وهو اتهام غربي مائة بالمائة.

فالغرب هو الذي ينعت حركة المخالفين له في لبنان وفي مصر وكل مكان، بالارهاب والتطرف ويحاول دائما ايجاد علاقة بين نشاطاتهم وبين ماتنادى به الثورة الاسلامية في ايران. ثم ليستغل وجود هذه «العلاقة» في تفسير موقفه العدائي المضاد للثورة وفي انحيازه الكلي الى جانب العراق في حربه المدمرة.

ـ وتحت عنوان «دعوة الى الحسم العاجل» نشرت «عكاظ» أيضا مقالا، هذا مقطع منه: «... نحن في مواجهة زحف مذهبي ـ ايراني ـ يستهدف، الاضرار بالاوضاع الأمنية في المنطقة، بل يستهدف وفي المقام الأول زعزعة ثقة وايمان واقتناع المسلمين في معتقداتهم وتراثهم.. وخطر في هذا الحجم لايصح أن نواجهه بمطلق القول، ولابد من عمل دبلوماسي مكثف، في اطار القنوات الدولية.. لبتر هذا العضو الفاسد! من الجسم الاسلامي»[٦٣]. هذا المقال ليس الأول من نوعه، ولكنه من أكثر مانشر وضوحاً، اذ يؤشر بالضبط الى ما كانت تبحث عنه السعودية وراء افتعالها للمجزرة، وتحركها تحت غطاء من ضجيجها الاعلامي، من أجل عزل ايران وتضييق الحصار حولها. ومن الواجب أن نلاحظ فيه تحذيره أولاً من «خطر الزحف المذهبي» على الطريقة الغربية والاميركية وتحذيره كذلك من انعكاسات هذا الزحف

على الاوضاع الأمنية الداخلية للانظمة المجاورة لايران. . ولعل أقصى طموحات الغربيين في الوقت الحاضر هو استمرار تصدير مخاوفهم الى العالم العربي والاسلامي المحيط بايران والمباعدة بين كل ماهو اسلامي ايراني وغير ايراني منعا من انتقال أفكار الثورة الاسلامية الى الخارج. ولذلك فان مقال الصحيفة يكاد يعترف بأن من الاهداف الرئيسية وراء تنفيذ مجزرة الحجاج هو الفصل بين اسلام السعودية واسلام ايران ومحاولة التشويش على اسلام الأخيرة بعد اتهامها بالاعتداء على حرية الحج. فيقول كاتب المقال ان خطر الزحف المذهبي يستهدف «زعزعة ثقة وايمان واقتناع المسلمين في معتقداتهم» ومن بعد، يطالب بعمل مكثف عبر القنوات الدبلوماسية لعزل ايران.

ـ من العناوين التي حفلت بها الصحف في نفس المضمار هذه المجموعة مما نشرته «عكاظ» في أحد أعدادها:

* «كوماندوز ايراني انتحاري جاء لتخريب الاراضي المقدسة. . !» «تجب مواجهة هذا المد الايراني الاهاربي عربيا واسلاميا» لنلاحظ هذا التلازم في المعنى بين العنوانين. فمن جهة اتهام ايران بالتخريب، ومن جهة الدعوة الشاملة الى مواجهتها.

* «الاعلاميون والصحفيون الاسلاميون ! يستنكرون ويطالبون: عقوبة دولية حازمة ضد الاجرام الايراني»[٦٤].

ـ ومن عناوين «الجزيرة»، هذا العنوان: «اجماع اسلامي وعالمي على التنديد بجريمة النظام الايراني»[٦٥]. . وهو واحد من العناوين الفضفاضة والبراقة التي يُستهدف بها اظهار ايران في عزلة كبرى ولا يوجد من يؤيدها.

دبلوماسيا، اتسم التحرك السعودي بالنشاط المحموم الذي استقطب اهتمام وتتبع الدوائر العالمية له، اذ أخذت الدوائر بدورها تعبر عن وجهة نظر قائلة بان السعودية غيرت سياستها كليا تجاه ايران وبدأت مسعىً منظماً ـ منذ «أحداث مكة» ـ لتكتيل العرب في الطريق المؤدي الى فرض نمط من المقاطعة العربية عليها.

أما من أين استقت الدوائر وجهات نظرها المعلنة هذه؟ فنذكر بأن المسؤولين السعوديين كانوا قد باشروا وخلال الأيام الاولى التي تلت المجزرة، الحديث عن ضرورة توسيع نطاق المجابهة الدولية والعربية مع ايران.

فالحكومة السعودية دعت الى ذلك عقب اجتماعٍ «طارئ» لاعضائها يوم «٨٧/٨/١». ونصت تصريحات المسؤولين والرسميين السعوديين على اعتبار أمر «المقاطعة» مفروغاً منه وأن الجميع باتوا يميلون الى السعودية في موقفها «الحازم» من ايران. ومن ذلك ما ادلى به السفير لدى واشنطن بندر بن عبدالعزيز في مؤتمر

صحفي، نوه فيه الى أن تأييد مؤسسة الازهر الرسمية المصرية لحكومته قد حسم الموقف الاسلامي كله لصالحها!، وحاول الاستنتاج بأنه اذا كانت ايران «معزولة» من قبل فان ماحدث في مكة قد ثبت هذه «العزلة»![٦٦].

وطالب وزير الخارجية سعود الفيصل بـ«موقف عربي موحد ومجمع عليه» أثناء خطابه أمام اجتماع لمجلس الجامعة العربية في تونس، أواخر آب ٨٧.

كما ان السعودية كررت نفس الطلب وألحت عليه خلال اجتماع القمة العربية «غير العادية» في العاصمة الاردنية في تشرين ثاني نفس العام.

وقد صدر عن هذه القمة كما هو معلوم بيان يضم مجموعة من الادانات اللفظية لايران، لموقفها من عدد من القضايا الخاصة بالحرب مع العراق والوضع الخليجي و«أحداث مكة». الامر الذي اعتبرته الادارة الاميركية في رد فعلها عليه انه ملائم ومؤيد تماما لخطواتها الخليجية الاستفزازية حيال ايران.

٢ ـ **اعلان الحرب بالنيابة . . !**: الحرب المعنية هنا هي «حرب الدعاية» والتضليل المتعمد للرأي العام بشأن عدد من محاور الاختلاف الاصيلة بين الولايات المتحدة والجمهورية الاسلامية في ايران، وبخصوص ما أسفرت عنه الاتصالات الاميركية الفاشلة مع طهران أو مايعرف بفضيحة مكفرلين، على وجه التحديد.

وسنحاول تسليط الاهتمام في هذا الجانب على بعض مانشرته الصحف وجاء على لسان المسؤولين السعوديين ويعد الهدف منه الطعن في مصداقية وسلامة الموقف الايراني ازاء العلاقات المحرمة مع «اسرائيل» وبالنسبة لوجود نمط من الاتصالات أو عدمها مع الولايات المتحدة وخدمة لسياسيات الاخيرة في النهاية على صعيد موقفها من ايران:

ـ في عمود «شجون عربية» نشرت «الشرق الأوسط» مقالاً على حلقات تحت عنوان «ماذا تريد ايران». وحاول كاتب المقال أن يخضع السياسة الايرانية الخارجية للمناقشة في مجالاتها الحساسة المذكورة، فكتب يقول: «فكرة تحدي العالم بشرقه وغربه ومبدأ التصعيد الى مالا نهاية والتصلب بلا حدود. . هذا الأسلوب الفريد. . وهذه التركيبة غير المعتادة عالميا في النظام السياسي جعلت الانسان يحتار في أمره ولايعرف كيفية التعامل مع أصحاب القرار في طهران». ثم يمضي الكاتب قائلا ـ مع قليل من الاستدارك ـ وموضحاً بالضبط غايته النهائية من هذا الكلام: ولكن مع ذلك «هاهي ايران تفتح جسورا سرية للحوار مع روبرت مكفرلين، وتقابل مستشار الامن الخاص لرئيس الوزراء الاسرائيلي!!. . . وهاهي أيضا تجرى مباحثات علنية مع السوفيات. . لكنها في الوقت ذاته ترفع شعارات تهاجم الأطراف الثلاثة»[٦٧]

ان الكاتب يعترض على مبدأ لاشرقية ولا غربية في السياسة الايرانية الخارجية ويعتبره تصلبا وتعنتا وخروجا على الجو السياسي الحاضر. وهذا شأنه طبعا، الذي يحاول بواسطته الدفاع عن السياسات الذيلية للأنظمة بالتشكيك في جدوى التجربة المستقلة والرائدة للثورة الاسلامية في ايران. ثم ليحاول تبرير المعاملة التعسفية والدموية التي تعرض لها حجاج بيت الله الأمن ممن هتفوا بشعارات معادية لأميركا و«اسرائيل». . انما لنلتفت الى المقصود من وراء التطرق الى مسألة مكفرلين على لسان الكاتب، فالمعروف أن هذه المسألة ماكانت لتتسبب في فضيحة كبرى للأدارة الاميركية لو تم بالفعل تمرير مخطط الاتصالات السرية مع ايران بواسطة المستشار مكفرلين (ومن يلزمه مزيد من التوضيح، ليراجع المقال المسهب الذي نشرته مجلة الـ«التايم» الاميركية، عدد ٨٧/٨/١٧) فهذه الادارة لم تستهدف من محاولة اقامة اتصالات سرية ان تبيع ايران السلاح أو تقايضه برهائنها الاميركان المحتجزين في لبنان، بقدر ماهدفت في الحقيقة الى توريط ايران في أمر يتعارض مع مبادئها ويتصادم كليا مع قناعات شعبها ونظرة العالم اليها، وبالتالي لمواجهتها بأزمة داخلية كبرى، وعلى أن يتسنى تحقيق الهدف المذكور بعد استكمال الاتصالات والكشف عنها لاحقا وتدريجيا. .

الأمر الذي وعته القيادة الاسلامية منذ بداياته وعرفت كيف تتخلص منه ومن تبعاته وتنقل الازمة برمتها الى الوسط الاميركي والى داخل أركان الادارة الاميركية. وبالنتيجة فسبب الفضيحة ليس عائداً لشراء أو بيع أسلحة اميركية، اذ أن ايران لم تخفِ من قبل سعيها لتأمين ما تحتاجه من السلاح الاميركي من الأسواق العالمية الحرة. وهي معذورة في ذلك طالما ان أجراءات المقاطعة الغربية والاميركية قائمة في وجهها. . اذن ما السر في أثارة هذا الأمر من جديد في مقال صحيفة الشرق الأوسط؟ التفسير الموضوعي لذلك، أن الصحيفة حاولت ان تجرّب ما فشلت أميركا في تمريره عبر مخططها الأحراجي والقاضي بزعزعة ثقة الجميع بالقيادة الاسلامية بمن فيهم الايرانيون. . ولاتفوتنا دائما حقيقة أن مجزرة مكة حلقة من حلقات مخطط اميركي آخر بهدف التغطية على فضيحة مكفرلين وقد اقترن تنفيذ المجزرة بالفعل مع التواجد المكثف للأسطول الاميركي في الخليج، وهذه نقطة اشبعناها شرحا مسبقا.

أما ماقصة الاتصال مع مستشار الأمن الخاص لرئيس الوزراء الاسرائيلي؟؟

فهذه ليست المرة الاولى التي تُتهم فيها الجمهورية الاسلامية باتصالات من هذا القبيل بهدف التشويش على سمعتها، لكن الاتهام كما يعرض له مقال الصحيفة السعودية ـ ومقالات أخرى في باقي الصحف ـ ربما كان الهدف بواسطته اقناع القارئ

العربي بأن ايران أيضاً لها اتصالاتها مع الصهاينة! واذن فما المانع من أن تكون للأنظمة العربية و «الاسلامية» اتصالات من هذا القبيل؟! ان مقال الصحيفة هو معول آخر من المعاول التي لاتكف عن محاولة تهديم الحاجز النفسي الذي يحول دون قبول الانسان العربي المسلم أو استساغته لمبدأ الاعتراف بـ«اسرائيل». وتبني صحيفة الشرق الأوسط لهذا المقال هو من أجل تحضير الاجواء سلفاً لما كان مقرراً طرحه خلال قمة عمان من أن «خطر» ايران بات يفوق في حدته خطر «اسرائيل»! وتمهيداً بالتالي للاعتراف العربي الشامل بهذا الكيان اللقيط.

- في عمود «آراء» نشرت صحيفة «عكاظ» مقالا بعنوان «سقوط الاقنعة!» ويهمنا فعلا من الأشارة الى مقتطفات منه، أن يتبين للقارئ مدى الشبه بين اسلوب هذا المقال وسابقه المنشور في «الشرق الأوسط» وليتأكد القارئ اللبيب من أن الحملة الدعائية المنظمة التي بدأتها وواصلتها السعودية منذ تنفيذ المجزرة لاتخلو من مغزى خاص، يلتقي وينسجم مع الرغبة الاميركية في الثأر للنكسات المتتالية أمام الجمهورية الاسلامية، وخاصة فيما يتصل بفضيحة مكفرلين. جاء في مقال «عكاظ»: «الشعارات التي لقنها حكام ايران - للحجاج!-. . تنادى بمحاربة أميركا. . وبتحرير القدس من أيدي الصهاينة و. . لنأخذ مضامين هذه الشعارات. . فنسأل: من الذي مدّ يده في الخفاء لأعداء الاسلام والمسلمين - اسرائيل!- لعقد الصفقات اليومية المشبوهة؟ . . من الذي لوث أرض لبنان بالتآمرات واشعال الفتن. . »[٦٨].

الملفت أن الصحيفة تستشهد في سياق اتهاماتها للجمهورية الاسلامية بالعلاقة مع «اسرائيل» بآراء رئيس تحرير مجلة المصور المصرية «مكرم محمد احمد»، هذه المجلة التي تعد في طليعة المدافعين في مصر عن اتفاقيات كامب ديفيد، وبذا يصدق المثل العربي القائل «وافق شن طبقة»! . . ولقد بلغت الجرأة بالصحيفة - «عكاظ» - حداً أن تسمى نشاط المقاومة الاسلامية في لبنان الذي لاتخفي الجمهورية الاسلامية دعمها الكبير له انه بمثابة «تآمر» واشعال للفتن على أرض لبنان. هذه التسمية هي التي تطلقها عادة الدوائر الأميركية والصهيونية على المقاومة اللبنانية الشريفة التي تحظى باسناد ايراني متميز. اننا لانتظر طبعاً ان تحظى المقاومة اللبنانية الاسلامية بمباركة سعودية أو بدعم سعودي. لانه مازالت الرياض تخصص دعمها كله للميليشيات المسيحية الكتائبية، ونصيب اللبنانيين المسلمين من هذا الدعم هو فقط الطرد والحرمان من عقود العمل لبعض أهاليهم ومتعلقيهم المقيمين في السعودية. . لكن أن يبلغ الأمر بصحيفة سعودية كصحيفة الرياض مثلاً أن تسمى عمل المقاومة الاسلامية

من جهتها ارهاباً والمقاومين اللبنانيين برواد الارهاب[٦٩] فهذا مايجعلنا نتأكد بل نتيقن، من أن الذي حدث في مكة، من دوافعه الاصلية التشهير بعمل المقاومة وبالموقف الايراني الداعم لها، تماماً كما يقتضي ذلك المخطط الأميركي والصهيوني في المنطقة.

ـ من الخطاب الذي ألقاه سعود الفيصل وزير خارجية الرياض أمام الاجتماع «الطارئ» لنظرائه العرب في تونس، أواخر آب ٨٧، أخذنا هذا الجانب: «.. في الوقت الذي أقلقت ايران راحة جميع جيرانها من عرب ومسلمين فانها أراحت أعداء الاسلام وفي مقدمتهم اسرائيل! حيث أخذت تتكشف في كل يوم صلات جديدة تربط النظام الايراني بالكيان الصهيوني وقد حاول حكام طهران التستر وراء الشعارات الاسلامية والتضليل بأنهم يسعون الى خدمة الاسلام والمسلمين في الوقت الذي أثبتت الأحداث فيه أن ايران تسير في الاتجاه المعادي للأمة الاسلامية»!![٧٠]

طريقة عرض الاتهامات وحبكها مع بعضها في الخطاب هي كثيرة الشبه بل ومطابقة تقريباً لأسلوب العرض الذي مرَّ علينا في مقالي «الشرق الأوسط» و«عكاظ». فالوزير يتهم ايران بأن لها صلات مع الصهاينة ثم يحاول التشكيك في سلامة الشعارات المبدئية المتبناة من جانبها ـ بما في ذلك الشعارات التي هتف بها حجاجها في مكة ـ وقبل أي شيء فهويتهمها بأقلاق راحة جيرانها وسلب أمنهم وأستقرارهم..

واتهامات كهذه شكلت مادة دسمة لتعول عليها أميركا بالمقابل في تبرير استفزازها الخليجي لايران من جهة أن الأخيرة أصبحت مصدراً لعدم الاستقرار في المنطقة!

التنسيق على طول الخط

مجمل الخطوات والمواقف التي بدرت عن السعودية في مرحلة مابعد المجزرة، جاء مطابقا للميول والسياسات الاميركية في المنطقة. ولذا فليس مبالغة الاعتقاد بأنه مامن موقف صدر عن السعوديين الا بعد التنسيق المباشر والواضح مع الجهات الاميركية.

ويعنينا هنا أن نتدرج بايجاز نسبي في ذكر المؤشرات والبراهين الدالة على وجود هذا التنسيق:

ـ في حديث أدلى به الوزير سعود الفيصل للتلفزيون التركي ووزعت نصه وكالة الأنباء السعودية الرسمية بتاريخ ٨٧/٨/٩ (المجزرة وقعت في ٨٧/٧/٣١) في هذا الحديث استأنف المسؤول السعودي شن الحملات الكلامية والدبلوماسية على أعلى مستوى رسمي ضد ايران، فقال: «ان استمرار الصراع والتهديد الذي تعبر عنه ايران

بتوسيع رقعته في منطقة الخليج . . والسماح لنفسها بمهاجمة سفن بلد ثالث . . هما من الأسباب التي أدت الى وجود الاساطيل الدولية في مياه الخليج»[٧١]. هذا التصريح شكل بداية علنية للأسناد الذي أتاحته السعودية لأدارة الرئيس الاميركي ريغن في قرارها القاضي بتكثيف تواجدها الخليجي. اذ أن سعود الفيصل ألقى ـ في حديثه للتلفزيون التركي ـ على ايران مسؤولية وجود الاساطيل في الخليج.

ـ الحملات السعودية ضد الجمهورية الاسلامية لم تتوقف عند حد معين، بل استمرت بالتصاعد. ولقد كرر سعود الفيصل توجيه المسؤولية الى ايران، بشأن الموقف الامني المتدهور في الخليج وأنها «أشاعت الاضطراب والقلق في المنطقة وعرضتها الى مخاطر التدخل الأجنبي واقحامها في أتون الصراع الدولي. . وألحاق الضرر بالمصالح العربية وتعريض الأمن القومي العربي للخطر!» وهو ما أشتمل عليه خطابه أمام مجلس الجامعة العربية في تونس (في ٨٧/٨/٢٤). ويبدو أن تصريحات مماثلة ـ انما بلهجة أخف نسبيا ـ بدرت من ولي العهد السعودي عبدالله أثناء زيارته لواشنطن في الثلث الأخير من تشرين اول ٨٧. ولقد علق أحد الخبراء الاستراتيجيين الأميركان بشؤون منطقة الخليج وهو «انتوني كوردسمان» على التصعيد في اللهجة السعودية حيال ايران فاعتبر: «ان اتفاق وجهات النظر بين السعوديين والاسرائيليين حول ضرورة التصعيد في مواجهة ايران قد شكل عامل ضغط لايستهان به في صفّ أعضاء مجلس الأمن القومي ـ الاميركي ـ الذين أيدوا خلال مناقشاتهم ـ حينذاك ـ توجيه ضربة انتقامية ضد ايران»[٧٢].

ـ في تقرير بثته وكالة الصحافة الفرنسية بتاريخ ٨٧/٩/٥ جاء انه عقب «الأحداث الدامية التي شهدتها مكة المكرمة ارتفعت أصوات ـ سعودية ـ تطالب بتوخي أكبر قدر من الحسم تجاه ايران. وعلم من مصادر دبلوماسية غربية في الخليج أن البعض يتساءل أيضا عما اذا كان الوقت قد حان لاستخدام هذه الأسلحة المتطورة التي أنفقت في سبيلها المليارات دون حساب». وذكر التقرير أن «المملكة العربية السعودية التي تنطلق منها الطائرات الرادارية ـ أواكس ـ لتراقب جميع التحركات الجوية والبحرية في المنطقة معنية بصورة مباشرة بالموقف في الخليج» ويضيف أنه «علم من مصادر دبلوماسية أميركية أن الرياض مع رفضها رسميا تقديم تسهيلات فنية للقوات العسكرية الاميركية وخاصة وضع طائرات مقاتلة في قاعدة الظهران الجوية فانها تساعد سراً في عملية تنظيم قوافل حراسة ناقلات البترول الكويتية».

ـ قالت صحيفة «الجزيرة» السعودية في مقال افتتاحي نشر بتاريخ ٨٧/١٠/٣١ ان: «التوتر الذي أثارته ايران! . . في الخليج انخفضت حدته بفضل

التدخل الاميركي ضد ايران وردود فعل دول مجلس التعاون الخليجي». ودعت الصحيفة بمناسبة قرب موعد انعقاد القمة العربية في عمان ـ في ٨/١١/٨٧ ـ الى أن تتخذ القمة «تعهدات ملموسة لتشكيل قوة عسكرية قادرة على الرد على الاعتداءات الايرانية! الموجهة ضد أي دولة عربية. . وايجاد حلول عملية للحرب بين العراق وايران»[٧٣]. ويذكر أن القمة اتخذت جراء الضغط السعودي موقفا «شاجبا» للجمهورية الاسلامية بصدد موقفها من قضية الحرب والتطورات الخليجية. الا أن هذا «الشجب» أسفر عن حقيقته بجلاء فيما بعد في صورة ماتردد من احتمال ارسال قوات مصرية للمرابطة على شواطئ الخليج. . (وهو الأمر الذي ترجم لاحقاً الى عودة معلنة للعلاقات المصرية مع اكثر من عاصمة عربية) فقد أوردت صحيفة «الرياض» في هذا المجال: ان «الرئيس مبارك أعرب عن مساندة مصر ووقوفها بكل ماتملك من امكانات ضد أي محاولة تستهدف أمن واستقرار منطقة الخليج» كما «شجب» الرئيس المصري بالمناسبة وعلى حد مانقلته الصحيفة «الاعتداءات الايرانية على أمن المقدسات الاسلامية»[٧٤] في مكة. وكانت صحيفة القبس الكويتية قد أكدت من جانبها أن وزير الدفاع الاميركي كارلوتشي قد اقترح على دول الخليج الاعتماد على القوة المصرية عند الضرورة وتمويلها وذلك ابان جولته الخليجية في بدايات العام ٨٨[٧٥]. ولتحل هذه القوة محل الفراغ الذي قد يحدثه أي انسحاب لقطع البحرية الاميركية من المنطقة. ولهذا السبب ربما أعلن في حينها أن السعودية استغنت عن تواجد نصف القوات الباكستانية العاملة على أراضيها والتي تشمل كتيبة أو كتيبتين يبلغ عدد أفرادهما مابين خمسة الى عشرة آلاف رجل[٧٦].

ـ جاء في مقال افتتاحي لمجلة «التضامن» اللندنية: «من المؤكد ان أحداث مكة. . عجلت في موضوع اعادة العلاقات مع مصر، وهذا الموضوع ساعد بدوره في توفير مناخ أفضل للمصالحة العراقية ـ السورية. وكان الأمر سيبدو على شيء من الاستغراب ـ والكلام لايزال للمجلة ـ لو أن القمة اتخذت قراراً في شأن اعادة العلاقات مع مصر دون أن تتخذ خطوة أكثر تقدما في شأن المصالحة السورية ـ العراقية»[٧٧]! . . وكلام المجلة أكثر من صريح في أن قرار عودة العلاقات العربية مع النظام المصري أريد له أن يمر من بوابة الحرب العراقية ـ الايرانية، كما أن الحرب اشتعلت أساسا لكي تتخلى بعض الأنظمة العربية عن حساسيتها الشكلية ازاء «اسرائيل» والعلاقات المصرية معها. فبعد اعدام السادات في ٦/١٠/٨١، ظهرت نغمة عودة مصر الى الصف العربي، بحجة أن حسني مبارك هو غير السادات وأن تاريخ هذا الرجل «نظيف» حسب ما صرح به نعيم حداد رئيس مايسمى بالمجلس

الوطني العراقي آنذاك[٧٨]. وردا على هذا الموقف العراقي والمواقف الخليجية الداعية الى اشراك مصر في الحرب ضد الجمهورية الاسلامية فان المشير عبدالحليم أبوغزالة وزير الدفاع المصري كان أول من اقترح انشاء قوة عربية مشتركة للدفاع عن حقول النفط في الخليج على أن تتولى الولايات المتحدة تسليحها وتمول عن طريق فرض رسم قدره دولار واحد عن كل برميل نفط تصدره الدول الخليجة المعنية. وغنى عن الذكر أن عودة العلاقات العربية مع مصر اعتبر بمثابة الانجاز الوحيد الذي حققته الولايات المتحدة بالتنسيق مع السعودية، حيث تولى الطرفان (أحداهما بتدبيره المجزرة، والآخر بارسال حشد بحري ضخم الى الخليج) رفع مستوى التوتر في المنطقة الى أقصاه والتحفيز على ارجاع مصر الى مايسمى بالصف العربي والتفرغ لمعالجة «أهمّ» الايراني.

- من تصريحات منسوبة الى «كلود شيسون» مفوض التنمية الاوربي الحالي والوزير الفرنسي السابق، قوله «انه طالما تساءل مع نفسه «ماذا حدث في مكة؟» ويضيف: «بالنسبة الى، أن ماحدث في مكة أكثر أهمية من الصدامات التي تجري على الجبهة في الخليج!»[٧٩] وفي الواقع فقد خطط لهذه الأحداث أن تطغى على تطورات الحرب بين العراق وايران وتغطى عليها لفترة يتسنى خلالها ترتيب الكثير من الأمور. ونحن أشرنا من قبل الى بعضها بالفعل. بقى أن نشير، أو نركز الاشارة في الأخير على أن أغلب الذي شهدناه بعد «أحداث مكة» والى لحظة تدوين هذه السطور، حاولت الادارة الاميركية استغلاله وتوجيهه للتخفيف من مشاكلها الداخلية ورفع رصيدها الداخلي لاسيما على صعيد الأنتخابات الرئاسية الاميركية. . تقول احدى المجلات العربية في تعليقها على هذا الأمر: «ان الأميركيين كانوا بحاجة ماسة لأحداث كتلك التي وقعت في مكة بهدف الاسهام في الحملة التي دفعت بالاسطول الاميركي الى مياه الخليج، وهي حملة التعبئة الدعائية والعسكرية ضدايران»[٨٠] وهذه الحملة هدفها الاصلي انتخابي باقرار الكثير من المراقبين. فلعل كل شيء يهون في نظر الادارات المتعاقبة على البيت الأبيض، عندما يتعلق بمصالحها الانتخابية والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى. وربما يسمح المجال بذكر مثال واحد رئيسي. هو ماعبر عنه الكاتب الصحفي المصري والبارز «أحمد بهاء الدين»، عندما سبق موعد اندلاع الحرب العراقية الايرانية بنشر مقال اسبوعي جعل عنوانه: «الانتخابات الاميركية هل تشعل الحرب في الخليج!؟». ومما قال فيه: «ان الستة اشهر الباقية الى يوم الانتخابات - الاميركية - هي التي سوف تشكل العلاقات الدولية لمدة عشرين سنة مقبلة!، فاختيار الوفاق أو الصدام سوف يتقرر في هذه الشهور الستة، وما يتقرر

فيها . . سيسود جو العالم حتى آخر القرن»[٨١].

خامسا : تعاطف الجناح العربي الاميركي مع الجريمة

برقيات التأييد التي انهالت على الرياض من كل من القاهرة وعمان والرياض وبغداد، هذه البرقيات لم يقصد بها التعبير عن موقف مساند للسعودية في تصعيدها الجديد ضد ايران، بقدر مايتوخى منها اعلان الاستعداد لبدء تحرك مشترك بين الحكومات العربية الموالية لواشنطن باتجاه صياغة جديدة للاوضاع الاقليمية، وفي الولاءات والتحالفات، تعجل في بلوغ نهاية للقضية الفلسطينية وتوفير الجهود لمعالجة الهم الايراني الثوري وانعكاساته على الصحوة الاسلامية الممتدة داخل كل بلد عربي.

ولذلك ينبغي عند دراسة هذه البرقيات ومواقف التأييد تقصى أمور ثلاثة معا:

١ ـ الاعراب عن التعاطف اللفظي مع السعودية بصدد ما تعاني منه في الحج.

٢ ـ الدعوة الى تضامن عربي مشترك، و أكثر فاعلية من سواه ازاء الجمهورية الاسلامية.

٣ ـ اقتراح مشاريع سياسية معينة، تصب غالبيتها في اطار التوجه الاميركي العام بالنسبة لقضايا المنطقة.

ومن خلال تعمقنا في الأمرين الثاني والثالث سوف نتأكد من أن المشاريع والدعوات المطروحة في مرحلة ما بعد المجزرة لم تأت اعتباطا ودون موافقة معتادة من جانب الولايات المتحدة التي تراقب وتتدخل في كل ماتنجزه الدول المؤيدة لها في المنطقة، وسوف نكتشف أن مواقف التأييد وما انطوت عليه من أفكار ومشاريع . . دالة بلاشك على علم أصحابها المسبق، وربما ضلوعهم أيضا في أمر المجزرة، وأن الولايات المتحدة بالتالي ليست بعيدة عن كل الذي حصل.

السر في طلب التضامن

باستثناء دول المجموعة الخليجية هناك ثلاث دول عربية اكثرت من الاعراب عن مساندتها للسعودية وطلب التضامن العربي معها. هذه الدول يجمعها محور واحد تقريبا وهي الاردن ومصر والمغرب، اذ جميعها على علاقة وثيقة بالسياسة الاميركية في المنطقةوتنشط لتعميم ظاهرة الاعتراف العربي بـ«اسرائيل».

ولنأخذ مصر مثلا، فرئاسة الجمهورية المصرية أعلنت في بيانٍ فور وقوع

المجزرة، أنها «تهيب بمنظمة المؤتمر الاسلامي أن تدعوا الى مؤتمر قمة طارئ وعاجل للنظر في هذه الواقعة الخطيرة»[٨٢] وخرجت الصحف المصرية، الرسمية وشبه الرسيمية، في ذلك الحين وكلها تحرض على تبني مشروع القمة. فنشرت صحيفة «الجمهورية» القاهرية تقول، ان ماحدث في مكة يتطلب «من زعماء الدول الاسلامية جميعا الالتقاء على وجه السرعة لبحث كيفية مواجهة هذا الخطر الجديد الذي يهدد بأوخم العواقب وحدة العالم الاسلامي»[٨٣]. الأزهر كذلك، بصفته الحالية كمؤسسة رسمية مصرية تبنى في بيان خاص نفس الدعوة.

ويبدو أن مصر لم تتجرأ على طلب انعقاد قمة عربية بعد أن استأنفت عضويتها بالفعل في اطار منظمة المؤتمر الاسلامي،خلال القمة الاسلامية التي رعتها الكويت في كانون ثاني ٨٧ وذلك بعد غياب دام طويلا نسبياً عن المنظمة اثر توقيعها معاهدة كامب ديفيد وحرمانها من العضوية فيها.

الا أن طلب عقد القمة الاسلامية كان يخفي وراءه أيضا رغبة مصرية واضحة في أن يتكلل الأمر بعقد قمة عربية كما نوهت الى ذلك احدى صحف المعارضة المقربة من السلطة وهي صحيفة الوفد[٨٤]. وسنأتي الى توضيح سبب ذلك فيما بعد.

الحكومة المغربية تولت من جهتها اصدار بيان وتعميمه على دبلوماسيي الدول الاسلامية المعتمدين لديها، يقضي بتأييد فكرة عقد القمة الاسلامية. والى جانب هذا البيان فان صحفا مغربية ـ «الميثاق الوطني»، «رسالة الامة» ـ حرصت على الدعوة بالمناسبة الى اتخاذ موقف مؤيد للسعودية[٨٥].

وتوضيحا لخلفيات الموقف المغربي الرسمي من موضوع القمة الاسلامية فان الملك المغربي كان قد أدلى بتصريحات مسهبة الى احدى الصحف الكويتية كشف فيها صراحة عن أن هدف حكومته الأصلي هو الحث على نبذ التحالفات العربية المتناقضة «لصالح اتفاق بين العرب»[٨٦].

ولهذا يمكن استخلاص، أن أغلب الدعوات الرسمية التي تبنتها حكومات عربية من أجل عقد قمة اسلامية، انما كانت ترمي أساساً الى تهيئة الاجواء لانجاح مشروع قمة عربية، وبذرائع أن هذه القمة يجب أن توفر «الحد الأدنى من التضامن العربي» الى جانب السعودية. وهذا ماتم لمسه فعلا خلال قمة عمان العربية «غير العادية».

وقبل أن نختتم الكلام عن هذه النقطة نشير الى أن الأردن وحده لم يخفِ تطلعه منذ البداية الى امكانية عقد قمة عربية. حيث أشادت صحيفة صوت الشعب الأردنية الصادرة في عمان في مقال رئيسي لها «بموقف المملكة النموذجي في مواجهة

الأحداث الخطيرة التي تعرضت لها مكة» ودعت الدول العربية الى «الوقوف بحزم الى جانب المملكة حتى يكون العرب طرفا فاعلا في رسم مستقبلهم والحفاظ على مصالحهم المشتركة»[٨٧]. وجاء في كلمة افتتح بها ولي العهد الأردني الأمير حسن «المؤتمر الاستراتيجي العربي الأول» في الجامعة الاردنية: «ان النظام الايراني يسعى الى توسيع رقعة نفوذه.. بأسم الاسلام! واسرائيل تريد الهيمنة بأسم.. المصالح الغربية»! وطالب بالمناسبة بأزالة التباين في الرؤى والمواقف العربية وبأتخاذ «موقف عربي موحد» من ايران[٨٨]. ويشار الى أن قمة عمان تبنت في حينها نفس الأفكار التي حددها الامير حسن في كلمته وتطرقت اليها كذلك الصحف الاردنية، خصوصا لجهة التلويح أثناء القمة بأن «الخطر الايراني بات يفوق حدةً الخطر الاسرائيلي»!!

افرازات «التضامن العربي»

الجهود التي رعتها وواصلتها دول عربية معينة في سبيل التئام القمة العربية وتحقيق ماوصف بالحد الأدنى من «التضامن العربي» حيال الجمهورية الاسلامية ربما تكون قد أعطت ثمارها بالفعل..ولكن على أي صعيد تم جنى هذه الثمار؟

هذا هو السؤال،الذي نحاول هنا توفير الاجابة المناسبة عليه.

ولنبدأ في تفكيك الأجابة، انطلاقا من التأمل في بعض ماورد من الجانب السعودي وتضمن في حينه الدعوة الى توظيف مسألة «التضامن العربي» نحو معالجة قضايا عديدة لاتمت بالضرورة بصلة الى قضية الحج والعلاقات السعودية مع ايران التي وصلت الى حد القطيعة الكاملة.

ـ في مقال نشرته صحيفة عكاظ عدد ٨ / آب / ٨٧ بقلم كاتبها عبدالقادر الأدريسي جاء: «لقد شغلتنا القضايا العربية المزمنة أربعين عاما.. ولا يزال العمل العربي المشترك في اطار الجامعة العربية متعثرا لتشعب بعض هذه القضايا ولتعذر حل أو معالجة بعضها الآخر في حين أن قضية جديدة قمينة ـ جديرة ـ بالاهتمام طرحت دون مقامات على الساحة السياسية العربية.. منذ ثماني سنوات». الثورة الاسلامية الايرانية هي المعنية بلا شك بهذه القضية.. لذا يستطرد الكاتب بالقول: «ولعل غفلتنا كعرب عن خطر النظام الايراني على مجمل الأوضاع العربية هي التي دفعت بحكام طهران الى مضاعفة الجهد للمضي وبهذا الزخم والتدفق والاصرار في تنفيذ بنود مخططهم»! ويضيف: «ولقد حان الوقت لمراجعة هذا الموقف بصورة شاملة ودقيقة انسجاما مع أنفسنا أولا، كعرب.. المطلوب منا حماية الذات والوجود والكيان». أما

كيف تحصل هذه المراجعة؟ فالكاتب يوجه الدعوة بعدئذ الى أن يتم بحث و تدارس الخطر الايراني، في اطار اجتماع قمة للقادة المسلمين أو العرب على أن لاتتطرق القمة المعقودة سوى «لدراسة موضوع واحد لاتبدده موضاعات أخرى»[٨٩].

ان كل ماعدده الكاتب من أفكار ومقترحات لقىٰ تنفيذاً دقيقاً خلال القمة العربية التي احتضنتها العاصمة الأردنية والتي تفرغت تقريبا لمعالجة موضوع رئيسي يتعلق بايران ونظامها الاسلامي وحربها مع العراق والتطورات الخليجية التي تخصها بشكل مباشر.

ثم ان من نافذة هذا الموضوع بالذات، استطاعت القمة تمرير مشاريع محددة نوه اليها الكاتب السعودي بما أسماه «القضايا العربية المزمنة» في مقاله.

فبيان القمة الختامي في الوقت الذي أعلن «تضامنه الكامل مع المملكة العربية السعودية» و «تضامنه مع العراق» و «مع الكويت في مواجهة عدوان النظام الايراني!!» فان البيان نص في الأخير، على أنه نظرا لأن «الأمن القومي العربي لا تستكمل عناصرة ولا تستوفىٰ شروطه ومتطلباته الا بتضامن كامل... ومن منطلق القناعة بوحدة الآمال والأماني والرؤية المشتركة لما يتهدد الوجود العربي ومستقبله من نوايا الشر!!.. قرر القادة أن العلاقات الدبلوماسية بين أي دولة عضو في الجامعة العربية وبين جمهورية مصر العربية عمل من أعمال السيادة تقرره كل دولة بموجب دستورها وقوانينها»[٩٠].

ـ وفي خطابه أمام الدورة «الطارئة» لمجلس الجامعة العربية ـ آب ٨٧ ـ في تونس، استهل الوزير سعود الفيصل الخطاب بأن ذكر نظراءه العرب بأن هذا اللقاء يأتي «في مرحلة دقيقة وحرجة تجتازها أمتنا العربية تتطلب مواجهتها بأقصى حد من اليقظة وأكبر قدر من التعاون» ثم استطرد قائلا وموضحا: «.. فلا تزال فلسطين ومسجدها الأقصى والأرض العربية المحتلة ترزح تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي.. وما يزال لبنان هدفا للاعتداءات الاسرائيلية المتكررة.. والحرب المدمرة بين العراق وايران مستمرة على أبواب عامها الثامن.. وتعرض الأمن القومي بوجه عام وأمن الخليج بوجه خاص لأفدح الأخطار».

لكن الوزير بعد أن ذكر وتوقف عند كل ذاك، أردف قائلا وموجها كلامه الى وراء الخارجية العرب: «أيها الأخوة.. ان على جدول أعمالنا بنداً واحداً هو المخاطر المتفاقمة للحرب العراقية ـ الايرانية، هذه المخاطر التي أصبحت تهدد أمن الدول العربية..»[٩١].

ونتساءل: اذا كانت قضايا فلسطين ولبنان تحظى باهتمام واقعي ورئيسي من

جانب السعودية فلِمَ طالبت الأخيرة وعلى لسان وزير خارجيتها خلال اجتماع تونس بأن يتفرغ المجتمعون لمناقشة بند واحد هو مايتعلق بايران والحرب العراقية الايرانية. . ؟!

ان السعودية كانت تسعى منذ البداية الى استغلال الجو الناجم عن المجزرة، التي هي من تدبيرها أساسا، لأجل الحث على عقد اجتماعات عربية وزارية وعلى مستوى القادة، تتولى اتخاذ قرارات بمقاطعة ايران وباتخاذ موضوع المقاطعة ذريعة للانفتاح على مواضيع أخرى واقرارها، من مثل اتاحة السبيل أمام عودة مصر المثقلة بأعباء اتفاقيات كامب ديفيد الى «الصف العربي» وبهدف استكمال مسيرة «التضامن العربي» وما الى ذلك. . !

ولعلنا كنا قد أشرنا في أجزاء سابقة من هذا البحث الى التصريحات التي أدلى بها السفير بندر بن عبدالعزيز من مقر عمله في واشنطن عندما نوه بشكل مبكر جدا ـ بعيد المجزرة ـ الى أن حكومته ترحب بمشروع عقد قمة عربية وتسعى لانجاحه، وان هذه الحكومة تنظر الى العلاقات مع مصر كونها «علاقات مصيرية» وان هذه العلاقات لم تعد تمثل مشكلة «إلا في أذهان الصحافة»![٩٢].

وعلى أساس هذا الموقف السعودي يمكننا بالنتيجة، تلمس العلة الأصلية وراء التأييد الواسع الذي حضيت به السعودية من لدن أطراف عربية خاصة.

فمن المسلمات أن هذه الأطراف لا تعرب عن دعمها لأحد دونما وازع خاص يحثها على ذلك. وطمعا في أن يسهم تأييدها وشيء من الدعم الذي قد تقدمه في تحفيز الطرف المقابل على التورط في مشاريع معينة، يعد مجرد البت فيها كسباً سياسيا لتلك الأطراف مجتمعة.

ومثالنا الحي على ذلك، اعلان المغرب فور وقوع المجزرة عن «تضامنه الكامل» مع السعودية. اذ «أشار الملك الحسن الثاني ـ في برقية بعثها بالمناسبة الى نظيره السعودي ـ الى يقينه بأن المملكة العربية السعودية بقيادتها الحازمة والحكيمة(. .) ستعرف كيف تحبط مؤامرة خصومها وتقضي على مخططاتهم»[٩٣].

ان العداء الذي يكنه الحسن الثاني للثورة الاسلامية في ايران، لاحاجة فعلاً الى شرحه وتوضيحه، انما كيف يمكن ادراك الغاية الأصلية وراء اعرابه عن «التضامن» مع السعودية وحثها بهذا النحو على التورط في مجابهة أعمق وأشد مع ايران. . ؟

لقد تحدث الحسن الثاني في لقاء له مع صحيفة كويتية، بحديث يكفي لمعرفة حقيقة مايتطلع اليه ويأمله وراء «التضامن» الذي أبداه مع السعودية. فهو

لايكتم للصحيفة مخاوفه من الأبعاد التي قد يتخذها «الاتجاه الاسلامي الثوري المتشدد» الذي بات يضرب بجذوره في كل أرض عربية.

ولأن ايران ـ بنظر الملك ـ هي مصدر هذا الاتجاه.

ولأن تفوقها على كل تحدٍ واجهته ـ والحرب مع العراق هي على رأس هذه التحديات ـ أصبح باعثا على تقوية الاتجاهات الثورية ومضاعفة تعلقها بالتجربة الاسلامية الايرانية. والى الحد الذي عبر عنه الملك المغربي بالقلق من أن يؤدي أخيرا الى «فقد للهوية.. وقد بدأ الكثيرون يتساءلون هل هم عرب أم مسلمون!»[٩٤] على حد زعمه.

وبسبب ذلك فان الملك لم يتردد في الاشادة بموقف السعودية من ايران.. لا بل يشيد«بقيادتها الحازمة والحكيمة»!! في نفس الوقت.

والمراقب قد يتذكر موقفاً مماثلاً بدر من الحسن الثاني تجاه العراق، في الوقت الذي كان يستعد فيه الأخير لشن حرب واسعة النطاق على الجمهورية الاسلامية.

فلقد كان صدام حسين قد أعلن قبل فترة وجيزة من بداية الحرب ما أسماه في حينه «الميثاق الوطني» والذي تضمن أفكارا مليئة بالحقد والكراهية ازاء التغيير الاسلامي الكبير الذي شهدته ايران، كما تضمن تنويهاً صريحا الى رغبة العراق في الدخول في حرب مع جارته الكبرى، الجمهورية الاسلامية.

وأمام هذا الاعلان، فان الحسن الثاني لم يكتفِ بمجرد التأييد أو ارسال برقية وانما قطع زيارته لبعض الدول العربية ليتوجه الى بغداد في زيارة يقوم بها لأول مرة بعد يومين فقط من الاعلان المذكور.. ومما قاله لصدام عن «الميثاق»: «لو لم يكن يهم هذا الأمر الا المغرب وحده لوقعته في الحين..!» وأضاف: «ان العراق ـ تبني ذلك ـ جريا على عادته وشهامته المعروفة منذ القرون الطويلة، اذ وقف موقفا مذهبيا يطمئن له ضميره، ويعزز ذلك الموقف مالدى العراق من معلومات تبقيه وفيا لمواقفه ولوعوده»[٩٥]، أي تلك التي شجعته على بدء الحرب، أملاً في كسبها خلال «ستة أيام»!

واذن على نفس الغرار كيف يمكن تفسير التأييد الذي أبلغه الحسن الثاني للسعودية في موقفها التصعيدي الجديد أمام ايران؟

ان الاجابة على هذا السؤال ستسهل أيضا لو رجعنا باستمرار الى ماعنته تصريحاته لاحدى الصحف الكويتية، قبل أيام قليلة من بدء أعمال قمة عمان العربية «غير العادية».

وفيها أبدى الملك اهتماما استثنائيا في التحريض على وحدة المواقف العربية

والخليجية ضد ايران. كما جدد الاعراب عن تأييده الكامل للسعودية في مسعاها الجديد نحو الاهداف التي يتطلع اليها.. ولذا فهو لم يفوت مناسبة اللقاء مع الصحيفة الكويتية، فأكد مثلاً أن ليس لديه «أي اعتراض» على اعادة مصر الى جامعة الدول العربية، وقوله كذلك: «لو كنت قد اشتركت في قمة بغداد ـ سنة ١٩٧٨ ـ لكنت بذلت قصارىٰ جهدي للحيلولة دون استبعاد مصر»[٩٦].

هذا هو جانب من الاهتمام الذي بذله ملك المغرب بهدف توظيف «تضامنه» المعلن مع السعودية في سبيل بلوغ غايات محددة من مثل اتاحة عودة مصر المعزولة رسميا عن محيطها العربي الى وضعها السابق.

والملك، مشهور بكونه عراب كامب ديفيد وقد رعىٰ بنفسه اللقاءات والاتصالات الاولى التي بلورت صيغة هذه الاتفاقيات وكيفية المصادقة عليها وتمريرها. وسبق أن وعد السادات المعدوم بأنه سيسهل عليه تخطي المشاكل التي سببها له الاعتراف بالصهاينة وسيجعل الأنظمة العربية تقر صاغرة بصحة الطريق الذي سلكه ـ أي الاعتراف المنفرد ـ وها هو يفي بعهده، بعدما أقر روساء الأنظمة، في قمة عمان، أن الخطر الصهيوني لم يعد الخطر الرئيسي الذي يهدد العرب والمسلمين!. ومعلوم أن الحسن الثاني هو أول من رفع هذه اللافتة في وجه ايران.

وعلى كل فخروج مصر الظاهري من عزلتها الدبلوماسية قد تتوفر له اليوم تفسيرات وتبريرات عديدة، من قبيل الحاجة الى الدور المصري في الدفاع عن «الأمن العربي والقومي» وما الىٰ ذلك.

الا أن المراقب لا تعوزه الأدلة لاثبات أن العودة المصرية برغم الذي يقال عنها، انما تعد منعطفا بارزا في الطريق المؤدي الى تسوية الاوضاع السياسية في المنطقة وتضبيطها بما يلائم التوجه العام للسياسة الاميركية تجاه قضية فلسطين وباقي القضايا الملحة.

ومن تلك الأدلة:

ـ نفىٰ حسني مبارك في لقاء صحفي معه أن تكون قمة عمان عقدت بصدد وضع حد للحرب العراقية ـ الايرانية. وقد أدلى بذلك لمجلة «الوطن العربي» اللندنية قبل أيام قليلة من بدء أعمال القمة. وأكد فيه، أن الروساء العرب لا يسعهم وقف هذه الحرب، في حين فشلت القوى الكبرى في هذه المهمة. ونوه الى أن الهدف الرئيسي من عقد القمة يجب أن يكون «تعبئة الشعب العربي» لمواجهة سلسلة أخطار جديدة!. وشاء مبارك بالمناسبة، أن يجدد مطالبة حكومته بتعزيز فرص عقد «مؤتمر دولي للسلام» في الشرق الأوسط[٩٧].

ـ في حفلة غداء أقامتها «حلقة فرنسا ـ البلدان العربية» ودُعى اليها كلود شيسون مفوض التنمية الحالي في السوق الأوربية المشتركة والمسؤول الفرنسي البارز سابقا، أجاب الاخير عن رأيه بنتائج قمة عمان فقال: «ان قمة عمان أكدت على وعي المجتمع العربي لأخطار. . السلفية الخمينية! وهي على هذا المستوى حدث مهم» ومما قاله أيضا: كما «أن قمة عمان شجبت كل تغلغل ايراني! . . وهذا لايعني في المقابل، أننا بعد اجتماع عمان أصبحنا في نهاية خطة تسويق الارتجاج الايرانية! أو اننا نتقدم بخطوات ثابتة نحو المؤتمر الدولي للتسوية في الشرق الاوسط لكن خطوة أساسية تحققت في عمان نحو هذين الهدفين»[٩٨].

سادسا : مواقف الجناح العربي المنافس

لايظن البعض أن المواقف التي أبدتها سوريا و دول عربية تتبع نهجا مشابها للنهج السوري من حيث اتهام أميركا والسعودية ـ بصفة غير مباشرة غالباً ـ بضلوعهما المشترك في تدبير المجزرة، انها قائمة على فراغ أو على أساس من المنافسات العربية التقليدية.

فآراء السعوديين و الخليجيين وبعض الخطوات التي خطوها باتجاه السوريين والسوفيت، لأجل التقليل من أثر المضاعفات التي أفرزتها مجزرة مكة من جهة. ومن جهة مقابلة: احساس السعوديين بأن أميركا تحاول ابتزازهم مالم يذعنوا لكل ماتطلب وتقرر ـ ولو على حساب مستقبلهم السياسي والداخلي ـ ثم نزوعهم الى معادلة الضغوط الأميركية، بشيء من التقرب من السوفيت وحتى من الجمهورية الاسلامية ـ فيما مضى ـ ولاصلاح بعض ما أفسدته المجزرة. .

ذلك كله يؤيد و يؤكد :

ـ أن اتهام أميركا من جانب الدول العربية التي يُفترض أن تكون خارج الدائرة الأميركية في المنطقة هو اتهام مقبول وله ما يؤيده، كما سنأتي على مناقشته.

ـ اننا مقبلون ربما على مرحلة تتخللها بعض المشاحنات والرغبات المتقابلة بين واشنطن وعواصم الخليج، بما فيها الرياض، نحو افشاء كل طرف لدور الآخر في المجزرة واتهامه بالرغبة في الاتزاز والكسب السياسي الدنيء! (وهذا ماشاهدنا بداياته بالفعل).

طبيعة الاتهامات الموجهة

تميزت الاتهامات التي وجهتها سوريا الى كل من أميركا والسعودية عن ضلوعهما في المجزرة بأنها كانت غير مباشرة. وأوضحنا سابقا أن قسما من هذه الاتهامات ردّدها المسؤولون السوريون لدى لقائهم بنظائرهم الايرانيين وبالتالي فان وسائل الاعلام السورية الرسمية لم تنقل شيئا عنها بل كان مقصودا أن يتولى الاعلام الايراني هذا الأمر سيما وان ايران كانت السباقة الى تأكيد المسؤوولية الأميركية عن المجزرة واعلانها..والى جانب ذلك فان الصحف والمجلات العربية المقربة من سوريا تولت هي الاخرى بدورها نقل جانب من الاتهامات التي ربما لاتتحفظ القيادة السورية في توجيهها الى أميركا بصفة معلنة ومباشرة لولا ان الأمر بطبيعته لا يخلو من اتهام صريح للسعودية المرتبطة بالعجلة الاميركية في منطقة الخليج ، ومازال للسوريين «مصالح» وارتباطات مع نظام الحكم الفعلي في الرياض.

وكمصداق لما قلناه نذكر بأن وكالة الجمهورية الاسلامية للأنباء نقلت عن وزير الخارجية السوري أثناء زيارته العاجلة لطهران، بعيد شيوع نبأ المجزرة تصريحه: «ان نصب الاعلام وجلب الأساطيل الى الخليج وأحداث مكة المكرمة المؤسفة هي محاولات من أميركا لتوجيه الضربة الى الجمهورية الاسلامية الايرانية، وطبيعي ان اميركا هي المسؤولة عن هذه الأحداث»[٩٩].

من جانب آخر فان صحفا ومجلات لبنانية وثيقة الارتباط بدمشق سارعت الى تحميل اميركا والسعودية مسؤولية المجزرة الدموية التي شهدتها أرض مكة، منها على سبيل المثال «الكفاح العربي» و«الشرق»..

ولكن الاسلوب الذي اتبعته سوريا ومن معها، تخطته دول عربية معارضة بطبيعتها لأميركا والسعودية الى أساليب اكثر وضوحاً.. ومن ذلك الموقف الليبي مثلاً، فليبيا اعربت من جهتها عن موقف أشد وضوحا، اذ دعا العقيد معمر القذافي الى تدويل بيت الله اسلاميا واستنكر المجزرة التي وقعت في مكة. وأوضحت وكالة الجماهيرية للانباء (الليبية) أن القذافي اتخذ هذا الموقف اثر استقباله سفير ايران لدى ليبيا.. وأنه «أعرب عن تأثره البالغ لما حدث وادانته لهذه الجريمة موضحا أن البيت الحرام الذي أراده الله لعباده أمناً لم يعد آمنا». ونقلت عنه الوكالة: «ان الذي حصل لم يسبق له مثيل، وهذا يدعونا للعمل على تدويل بيت الله اسلاميا حتى يكون السفر الى مكة دونما حاجة الى اذن من أحد، وتتولى كل دولة اسلامية أمن حجاجها»[١٠٠].

الرصيد الواقعي للاتهامات..

ما الذي تَشفُّ عنه الاتهامات السورية بالضبط . . وهل لها واقع أو رصيد يؤيدها؟ . . هذا هو السؤال الذي تكمن الاجابة عليه بنظر البعض في أن مواقف سوريا ـ نظرا للعلاقة الموجودة بين دمشق وموسكو ـ ليست الا انعكاساً للمواقف السوفيتية، فهي تندرج في اطار المنافسة التقليدية بين الشرق والغرب . . وكفى!

ونحن لا نريد هنا أن ننفي كليةً وجود هذا التنافس وما يفرزه عادة من تباين في الرؤى . . انما لنحاول اعادة صياغة السؤال كالتالي: أليس للسوريين دوافع اقليمية وذاتية تدفعهم الى توجيه الاتهام للجهة المسؤولة عن الاحداث في مكة؟ وبأي شيء نفسر ـ اذن ـ اندفاعتهم للوساطة بين طهران والرياض وحرصهم على مخاطبة الطرفين بلهجة معتدلة على الصعيد الرسمي؟ علما أنه لا موسكو ولا واشنطن لهما موقف ايجابي ومؤيد بالكامل ازاء مبدأ الوساطة السورية.

فلا موسكو راغبة في أن تؤدي «الوساطة» الى تجدد الاختلافات وتعمقها بالمقابل بين دمشق وبغداد، نظراً لما يعنيه ذلك من ترامي الأخيرة أكثر في أحضان الأميركان، ولطالما هي ضغطت على دمشق باتجاه التقريب بين العاصمتين . .ولا واشنطن ، بادارة ريغن الحالية ، تواجه بالرضا وعدم الحساسية أي تفاهم سعودي سوري على كيفية كسب ود الجمهورية الاسلامية، واتقاء غضبتها، واحتمال ردها القوي والعنيف على المخططات المعادية لها، والتي عانى منها الحجاج الايرانيون، وتعد السعودية ركن الزواية فيها.

اذن فمن الأفضل ـ منعا لوقوع أي التباس ـ أن نعيد طرح السؤال المذكور هكذا: أي دوافع منطقية وحوافز موضوعية تنطوي عليها اتهامات سوريا . . . ؟

وللوقوف على تلك الحوافز والدوافع يلزم التدقيق في بعض ما قاله المسؤولون السوريون وعبر عنه الاعلام العربي المتعاطف معهم:

١ ـ في التصريحات التي قلنا ان وكالة انباء الجمهورية الاسلامية نقلتها عن الوزير السوري فاروق الشرع، حصل التأكيد على أن سوريا لاترى في المجزرة الا امتدادا للمخطط الاميركي القاضي برفع حدة التوترات الخليجية الى المستوى الذي يخدم ويبرر سياسة رفع الاعلام الاميركيةُ على السفن الكويتية والحشد الأميركي الخليجي. ولعلنا قدمنا شرحا وافيا عن هذا الأمر بالفعل.

بقي أن نشيرالى ما عبر عنه الشرع بالمناسبة من «أن حادث الهجوم على الحجاج في مكة المكرمة جعلني آتي الى طهران بناء على طلب الرئيس حافظ الاسد لأكون الى جانب اخواني في طهران للتشاور معهم، لاحباط مؤامرات أميركا ضد ايران. نحن على ثقة بأن الجمهورية الاسلامية الايرانية قادرة على ردع المعتدين من أن يحققوا

أهدافهم وستفشل مخططات أميركا»[١٠١].

كلام الوزير أكثر من صريح في أن سوريا حرصت منذ البداية على ابلاغ الجهات المعنية والمتضررة كالجمهورية الاسلامية، قناعتها الراسخة بأن أميركا هي المشجعة على تنفيذ مخطط المجزرة لأنها فعلا بحاجة الى مخطط كهذا لترسيخ أقدامها في مياه الخليج وتحويلها الى بحيرة أميركية وليس الى مياه آمنة للملاحة الدولية كما تدعي ادارة ريغن والاطراف المحلية المؤيدة لها.

وعليه فقد بدر من سوريا رد فعل فوري وسريع قائم ليس فقط على اتهام جهة معينة هي الولايات المتحدة، فهذا أمر مفروغ منه طالما ان تواجد الأساطيل و «رفع الاعلام»، هو ما ينبئنا بأن امراً سيقع بحجم المجزرة ولابد من ترقبة والاستعداد الدائم لمواجهة آثاره وتطويقها ما أمكن.

ان سوريا ركزت ـ في مجمل مالجأت اليه ـ على التحرك في اتجاهين اصليين:

(أ) ـ الاعراب عن التأييد والمساندة لأي موقف تتخذه الجمهورية الاسلامية للتصدي لمسببات ماحدث في مكة واستئصالها، أو اقصائها من المنطقة والمتمثلة بالوجود الاميركي المكثف والاستفزازي خليجيا. ولأن سوريا كانت تنظر بريبة وتوجس الى أن يقود هذا التواجد والمضاعفات المترتبة عليه، للتحفيز على امتداد نار الحرب العراقية الايرانية الى رقعة أوسع مما هي عليه، وتعريض المنطقة الحساسة لخطر الاشتعال والانفجار السريع.

وهذا الخطر لابد أن يظلل باضراره المنطقة برمتها. وينفتح على مفاجآت وتطورات، قد لاتستسيغها سوريا التي تتطلع من وراء تقليص مساحة الحرب، أن يتسنى دائما منع تفاقم حدة العمليات الحربية من طرف ايران، والتسبب ربما بالمقابل في تسخين الجبهة اللبنانية وجبهة المواجهة الاسرائيلية السورية في لبنان على وجه التحديد، طالما ان تجربة الاحتلال الاسرائيلي لعام ١٩٨٢ أثبتت أن هذه الجبهة تتأثر بقوة بما يجرى علي خطوط النار بين العراق وايران.

فـ«اسرائيل» اعتادت أن تضاعف مساعيها للسيطرة على الساحة اللبنانية وايجاد خطوط متقدمة للدفاع عن نفسها في وجه المقاومة الاسلامية اللبنانية الناشطة في زمن الحرب العراقية الايرانية.. أو انها هكذا اعتادت تبرير محاولاتها لالهاب المواجهة على أرض لبنان كلما حققت القوات الاسلامية الايرانية تفوقاً في مجال الحرب.

وفي هذا السبيل، يشار الى أن سوريا والت اتصالاتها بطهران عبر ارسال أكثر من مبعوث، كما أبدت اهتماما غير عادي ازاء المهام التي كلف بها مبعوثون ايرانيون

لزيارة العاصمة السورية والتشاور معها حول كيفية مواصلة سوريا بذل جهود التهدئة ومنع اتساع نطاق الآثار الناجمة عن المجزرة بما لاترجوه الغالبية في المنطقة.

ولهذا كان الرئيس السوري حافظ الأسد قد استقبل في دمشق مساعد وزير الخارجية الايراني حسين شيخ الاسلام وأنصت الى ماعرضه عليه باهتمام بالغ بعد ٢٤ ساعة من تدبير المجزرة، أي في ٨٧/٨/١، وعلم في وقتها أن «شيخ الاسلام» وصف في مؤتمر صحفي نتائج اجتماعه بالأسد بالقول: «لقد تناقشنا في امكانية قيام سوريا بعمل متميز قبل غيرها لحل المشاكل التي نجمت عن مقتل وجرح الحجاج الايرانيين في السعودية. وقد بدأ المسؤولين السوريون فعلا بعض الاتصالات ونحن نأمل في ان تتوصل الى نتائج في المستقبل».

(ب) ـ اهتمت سوريا في اتصالاتها الأولى بالرياض، عقب المجزرة، بأن يتاح لها قدر المستطاع تبريد حرارة الاندفاعة السعودية نحو تأريم الموقف مع ايران. ولقد أجرى الرئيس الأسد بالفعل اتصالا هاتفيا سريعا مع الملك فهد أعرب فيه عن «أسفه للأحداث التي وقعت مؤخرا في مكة المكرمة» حسبما أذاعت وكالة الانباء السورية التي لم تعط أية ايضاحات اضافية. لكنه في الرياض اذيع أيضا أن الرئيس السوري أبلغ فهداً أن ماجرى في مكة «عمل غير مقبول من أية جهة أتىٰ»![١٠٢].

وبهذا ربما تكون الصورة قد اكتملت نسبيا حول طبيعة مادار في أول اتصال على هذا المستوى بين الجانبين السوري والسعودي بقصد التهدئة.

والاعتقاد الراجح، أن سوريا حاولت اضافة الى التلويح «بأسفها» لما حصل، أن تشعر السعودية بأنها مازالت مستعدة لاتباع موقف «معتدل» من جميع الأطراف وبالتالي بأمكان السعوديين الاعتماد عليها في الشروع بوساطات جديدة تسهم في الاحاطة بالوضع المتوتر بشدة من أغلب جهاته.

والنتيجة، أن سوريا كانت موفقة الى حد ما، في مسعاها، للوهلة الأولى فقط، ولأسباب منها:

ـ أن الرياض أمّلت في الوساطة السورية أن تقود الى ثني ايران عن اتخاذ أي اجراء مضاد. وبذا يكون مخططها من وراء قمع الحجاج قد أعطى اولىٰ ثماره، في ابراز أن «المملكة دولة قوية» وقادرة على تحطيم كبرياء خصومها وفي طليعتهم الجمهورية الاسلامية والحد من مكانتهم العالمية ومن تحركهم على شتىٰ الأصعدة، بما في ذلك في الحرب مع العراق مثلاً!.

ولهذا فان أحد المسؤولين السعوديين وهو السفير بندر بن عبدالعزيز يجيب على سؤال حول نية «المملكة» في منع الحجاج الايرانيين من دخول مكة مستقبلاً بأن يجد

الاشارة أولا الى أن من «أكبر الاخطاء التي يرتكبها البعض هو التقليل من شأن قدرة المملكة». موجها كلامه الى ايران ايضاً بأن عليها أن لا تقاوم أمام فداحة ماحدث في مكة، وأن تعتبره نوعاً من «الأمر الواقع» الذي ينبغي عليها استساغته وتقبله، على مضض..!

ثم ان السفير يكمل اجابته بالقول «.. والآن لم تتبلور الصورة بعد بالنسبة للمرحلة القادمة. فما تزال المشاورات قائمة بين الاشقاء المسلمين من جميع الدول لاستيعاب ماحدث، وأنا متأكد أنه عندما تهدأ الامور وتنتهي المشكلة فسوف يكون هناك تحليل أشمل وتفسيرات تجيب على هذه التساؤلات»[١٠٣].

لقد كان السفير يؤمل نفسه بأن تستجيب ايران بالنهاية للضغوط والتهديدات السعودية التي تردها عبر أطراف ثالثة ـ كسوريا ـ أو توجه اليها مباشرة، كما في الحج.

وأقوال السفير التي أتت بعد توجيه ضربة خاطفة وغادرة الى الحجاج الايرانيين ومن معهم في مكة المكرمة، انما تذكرنا بأقوال مشابهة تقريبا أطلقها صدام حسين بعد أن تقدم في «حرب خاطفة» الى عمق الاراضي الايرانية. وقتها أمّل صدام نفسه أيضا ان يجبر ايران تحت وطأة الحرب ـ وباتباع تكتيك مشابه لما يتبعه الصهاينة ـ على الجلوس الى طاولة المفاوضات وينتزع منها مايريد..وعندما اصطدم صدام برفض ايراني طبيعي لنواياه أخذ يهدد ويتوعد بأن «اطالة زمن الحرب لها حقوق اضافية»[١٠٤] لكنه لم يحصد شيئاً في النهاية.

وعلى نفس المنوال، فان بندر بن عبدالعزيز وفي سياق أقواله المذكورة، يضيف قائلا وبنبرة تهديدية غبية، انه: «اذا أرادت ايران.. تحسين الوضع فنحن مستعدون، أما اذا أرادت تصعيده، فعندها سوف يكون لكل حادث حديث».

ـ الجمهورية الاسلامية من جهتها، كانت تأمل مساعدة سوريا في ايصال رأيها وطلبها بان تمتنع السعودية عن المماطلة وتسويف الوقت أمام الرغبة المشروعة في نقل جثث الحجاج الايرانيين الضحايا الى طهران وأن لايوارى منها أية جثة في التراب السعودي، وكذلك السماح بنقل مصابيهم لتلقى العلاج الكافي في مستشفيات طهران.

٢ ـ في تقرير مسهب نشرته مجلة الكفاح العربي تحت عنوان «مكة المكرمة.. بالدم والتظاهرات» نقل مُعِد التقرير وهو مراسل المجلة من واشنطن بأن هناك مصادر سعودية غير رسمية أعربت عن استبعادها.. أن يكون ماحصل في مكة قد تمَّ من دون تنسيق مع حكومة الرئيس ريغن ومن دون الاستناد الى القوة العسكرية الاميركية المتزايدة في المنطقة». اذ «أن احداث الاعوام الأربعين الأخيرة منذ بدا للولايات

المتحدة وجود عسكري في الخليج . . تقدم أدلة كافية عن أن واشنطن كانت وراء الأحداث الخطيرة في المنطقة ـ وأحداث مكة غير مستثناة منها ـ . . ودائما تحت حجة حماية النظام السعودي».

ومن الجلي أن هناك محفزات عديدة ربما كان أحدها أو بعضها سببا كافيا لأن تشجع الولايات المتحدة حليفتها السعودية على الضلوع في المجزرة.

من تلك المحفزات الحملة الراهنة ضد ايران أملا في تبييض سمعة ادارة ريغن التي تدنت كثيرا خلال السنوات الثلاث الماضية، بالخصوص.

ومنها ايضا، رغبة الادارة الحالية في «ضمان حق القوات الأميركية في استخدام القواعد والتسهيلات وفقا لما تراه القيادة العسكرية الاميركية ضروريا لمواجهة، التهديدات، الداخلية والخارجية التي قد تواجه الحكم السعودي».

وعن النقطة الأخيرة ـ فيما يخص التسهيلات ـ يستند التقرير الى أن أميركا قد تكون أوعزت الى السعودية بتدبير أمر المجزرة «من أجل أن يظهر النظام السعودي قادراً على قمع أي معارضة، واثقا من نفسه، ولاعطاء الدليل على أن، النظام مستقر!، ولا يشعر بأي اهتزاز في مواجهة تطورات المنطقة»، وهو ماقد يفسر اسراع المسؤولين الاميركان ـ عقب شيوع نبأ المجزرة ـ الى «المبالغة بتأكيد ثقتهم بقدرة السعودية على التصدي لمثل هذه الأحداث».

الى هنا ، وكل ما جاء في التقرير، اما يبدو واضحا ويفسر نفسه بنفسه، واما نحن قد تطرقنا اليه بالتفصيل اللازم فيما مضى، ولا حاجة للتكرار.

النقطة الأهم ـ على الارجح ـ في هذا التقرير الاشارة الى خشية المسؤولين في حكومة ريغن الآن «أن تكون أحداث مكة نذيرا بأحداث وتطورات أشد خطورة . . حتى ولو كان ذلك في حدود مماثلة لما أعقب أحداث المسجد الحرام لعام ١٩٧٩ ـ وطبعاً لاعلاقة بين هذه الأحداث وماشهدته مكة من قمع دموي للحجاج، بمقتضي ماصرح به الوزير السعودي علي الشاعر ـ . . حينما سادت الانتفاضات أنحاء واسعة من المملكة وكانت ذروتها انتفاضة الطائف في شباط ١٩٨٠».

«وجدير بالذكر أن تلك الأحداث هي التي أدت الى تولي فهد بن عبد العزيز السلطة الفعلية في السعودية حتى قبل وفاة الملك خالد. والسؤال الذي يتردد الآن في بعض الاوساط الاميركية هو اذا كان التاريخ سيكرر نفسه مع الملك فهد بعد أحداث مكة المكرمة . . وما اذا كان تغييرٌ ما في القيادة العسكرية والأمنية سيحدث أيضاً على غرار ماجرى في أحداث الفترة مابين ١٩٨٧ و١٩٨٠؟»[١٠٥].

مُعِد التقرير، تابع هذه الأسئلة أيضاً في مقال نشر له أبان الزيارة الرسمية التي

قام بها ولي العهد السعودي الامير عبد الله لواشنطن (١٨ ـ ٢١ تشرين أول ٨٧) وعلق على الزيارة بأنه «في أطار ماتردد عن خلافات حادة داخل الأسرة المالكة والتي كشفت عنها أحداث مكة الدامية وماتلاها من أتهامات للحرس الوطني السعودية بأنه تصرف على نحو هدف الى تورط الملك فهد في مشكلة خطيرة فان زيارة ولي العهد ـ قائد الحرس الوطني ـ . . للولايات المتحدة تكتسب طابعاً داخلياً خاصاً بالتطورات السعودية أكثر منها بأي موضوع آخر».

ولقد لوحظ بهذا الصدد، أنه عندما «سئل تشارلز ردمان المتحدث الرسمي بأسم وزارة الخارجية الاميركية عن السبب في قيام الامير عبد الله بالذات دون غيره من الأمـراء السعوديين بهذه الزيارة، رد قائلاً ببساطة: لاأعرف! وقد أدت هذه، الاجابة الى زيادة موجة التكهنات والتخمينات بشأن الزيارة وأهدافها وتوقيتها. . ».

فالخبراء باتوا يشددون من توقعاتهم بأن تكون السعودية مقبلة على تطورات هامة، خلال موعد لن يطول كثيراً. سيما وان الخبراء اصبحوا يلاحظون شبهاً كبيراً في بعض المناحي بين الفترة الأخيرة من حكم الشاه المنقرض وبين مايقابل هذه الفترة حالياً من حكم الملك فهد بن عبد العزيز.

فيقول «جيد سنايدر» نائب مدير دراسات الأمن القومي في معهد «هدسون» الأميركي والذي شغل طوال الأربع سنوات الأولى من رئاسة ريغن منصباً هاماً في وزارة الخارجية: «أن أحد الملامح المشتركة بين الوضع السابق في العلاقات الايرانية الاميركية هو أن شاه ايران كان يشعر بأن العلاقة الخاصة بينه وبين البيت الابيض ـ وهي المصدر الرئيسي لشعوره بالأمان ـ كانت مضمونة باستمرار وجود نيكسون في البيت الأبيض، حتى لو ظهـرت بعض الخلافات بسبب أسعار النفط. . وقد بدأ شعور الشاه بالأمان يهتز بعد ذلك. ويبدو أن الحكم السعودي بدأ يعاني من الفقدان التدريجي للأمان نظراً لاقتراب خروج ريغن من البيت الأبيض، وبالأخص في الفترة الأخيرة بعد فضيحة، ايران غيت!

كما يشـير سنـايدر الى ان حجم مشـتريات الحكومة السعودية من الأسلحة الاميركية أصبح موازياً تماماً لما كانت قد بلغته مشتريات الشاه في العامين الأخيرين من حكمه.

وأخيراً فان حكومة ريغن ـ كما يستنتج الخبير ـ ستبدو مرتبكة ازاء الوضع في السعودية على النحو نفسه الذي ارتبكت فيه حكومة كارتر في أواخر ١٩٧٨ وأوائل ١٩٧٩، نتيجة تدهور نظام الشاه المخلوع.

لكن الفارق الأساس: ان ادارة ريغن تريد أن يكون وجود قوة حربية ضخمة

لها قرب شواطئ السعودية ـ بحجة حمايتها من تهديدات ايران ـ عاملاً كافيا في وقاية الحكم السعودي من تطورات داخلية خطيرة»[١٠٦]

ذلك هو نص رأي أدلى به خبير أميركي. والذي يهمنا منه: أن الشعور المتقابل بالاهتزاز و«عدم الأمان» بين حكومتي ريغن والملك فهد.. ربما يشكل باعثا لتوقع أن يكون التنسيق بين الحكومتين بلغ ذروته في التخطيط لمجزرة مكة، وعسى أن تسهم المجزرة في تعزيز مركزيهما على صعيدي الداخل والخارج.

٣ ـ عن هذا المخطط الاميركي السعودي، تكلمت صحيفة «الشرق» التي هي أحد الناطقين بلسان سوريا في لبنان، فنوهت الى انه بعد أن استكمل المخطط المذكور أغراضه شرعت الولايات المتحدة في تطبيق خطة جديدة تقضي بتصعيد العراق حربه ضد ايران، وتوسيع اطارها لتنضوي فيه الدول الخليجية تمهيداً للتدخل السياسي والعسكري المصري من أوسع أبوابه ولتحويل الحرب طبقاً للاستراتيجية الأميركية الراهنة الى «حرب اسلامية ـ اسلامية»!

وأضافت الصحيفة: ان استراتيجية أميركا الآن ترى في العقيدة الاسلامية خطراً فادحاً على الكيان الصهيوني وان من شأن أي تضامن اسلامي عالمي أن يزحزح هذا الكيان ويضعه على خط الزوال النهائي، الأمر الذي يهدد الغرب وأميركا في الصميم.

وأختتمت قولها بانه لو افلحت الولايات المتحدة في خطة توريط عدد آخر من الدول العربية في حرب العراق وايران فأن مضاعفات مثل هذا الأمر لن تقل خطورة عن الأوضاع الداخلية الراهنة لهذه الدول[١٠٧].

نذكر بأن هذا المقال نشر بعد اختتام قمة عمان العربية أعمالها في تشرين ثاني ٨٧ وأبان تصاعد موجة الانتفاضة الاسلامية الفلسطينية في الأرض المحتلة..

اتهامات متبادلة

سلسلة التصعيد في الاتهامات بين كل من الرياض وطهران، لم تقتصر على الطرفين فحسب بل أدت بطبيعتها الى تقاذف الاتهامات أيضاً بين واشنطن والرياض.

هذا الأمر توقفنا عنده من قبل. وسنستكمل هنا مناقشة شقة المتعلق باحتمال استمرار الاتهامات المتبادلة بين الولايات المتحدةوالأطراف الخليجية التي تتزعمها السعودية، وذلك بنحو متقطع وغير مباشر ـ أو غير رسمي ـ وأقل حدة بكثير مما هو مشهود بين السعودية وايران.

فكما اتضح بعد قمة عمان «غير العادية» وتحديداً بعد القمة الخليجية الثامنة فان الرياض أخذت تبدي ليونة ـ ذات مغزىً ـ لسد جانب من الفجوة الحاصلة في العلاقات بينها وبين الجمهورية الاسلامية.

فضلاً عن أن رضوحها لمبدأ الوساطة السورية انما عنىٰ في حينه وقوع ثمة «تغيير» في النهج السعودي المتشدد ازاء الدعوة الى انضمام كافة الدول العربية الى خط التصعيد السعودي ضد ايران.

الأمر الذي لابد أن أزعج ـ ولو ظاهريا ـ الادارة الاميركية، لما تبديه هذه الادارة من الرغبة المتشددة في ظرفنا الحاضر بأبقاء أزمة العلاقات مستمرة وأقرب الي القطيعة الكاملة بين الايرانيين والسعوديين بالذات.

ولأن من شأن ذلك أن يظلل بافرازاته السلبية الموقف الخليجي برمته حيال الجمهورية الاسلامية ويواجهها بمتاعب اضافية على ميادين الحرب..

وهذا مايلتقي بالنتيجة مع تطلعات ادارة ريغن في أن يقتنع العالم بأن حشودها الخليجية البحرية لم تأت عبثاً بل بسبب «الازمة» الدائمة في الخليج.

ومن المسلمات، فان أي تقارب ايراني ـ سعودي ستنظر اليه الادارة الأميركية بمنظار الريبة والرفض. ألا في حالة كون «عملية التقارب» تندرج في اطار تكتيك يرمي علاوة على أمتصاص ردود الفعل الايرانية تجاه المجزرة، الى تجميد العمليات على خطوط النار العراقية ـ الايرانية وتسهيل المهمة الاميركية في تحجيم ايران عسكرياً ودبلوماسياً.

ونحن نميل الى اعتبار «عملية التقارب» لاتخلو من أمرين، أحدهما مرضى لادارة ريغن الأميركية، والآخر مثير لقلقها وعدم ارتياحها.

ولذلك فأن ادارة ريغن قد تشعر ايضاً ـ وكما لمسنا ذلك فعلاً ـ بأن أي حديث عن تقارب ايراني سعودي يفترض بالبداهة أن لايسبقه حديث معلن عن منح السعودية تسهيلات حربية الى القوات الأميركية. اذ أن أمراً كهذا سينجم عنه فتور ايراني بالغ في التعاطي مع موضوع تحسين العلاقات.

ولأن هذه الادارة تعول على كسبها للتسهيلات، من حيث أنه سيعد أحد المؤشرات البارزة الى أن تواجدها الخليجي الحاشد والمكلف لم يخل من نتائجه المفيدة.

لابل هي قد تعول عليه من باب أنه أهم مؤشر يمكنها الاستناد اليه في حال غياب وتبدد باقي المؤشرات من مثل تدشين مواجهات عسكرية محدودة مع ايران ـ خليجياً ـ في الفترة اللاحقة.

واذن فهذه الادارة لايسعها التهاون في طلب التسهيلات «المعلنة» في المياه

والاراضي الخليجية. وهو طلب لاقى الرفض بالمقابل «لاعتبارات محلية وأقليمية لابد للادارة ان تأخذها بعين الاعتبار» على حد قول مصادر خليجية.

ولأجل ذلك فقد تم الايعاز لبعض الصحف والدوائر الأميركية أن تقوم بنشر معلومات واقعية وهامة عن الاعتداء الذي تعرضت له مسيرة الحجاج في مكة المكرمة.

وكذلك نشر معلومات اخرى عن نوع التسهيلات التي تحظى بها القوات الاميركية فعلاً في القواعد والمطارات السعودية.

الأمر الذي أحرج بشدة الحكومة السعودية الحالية ودفعها الى ابداء امتعاضها منه بسبلها الخاصة وغير المباشرة.. فلجأت الصحف الخليجية ـ وحتى السعودية أحياناً ـ الى مضاعفة التشكيك في جدوى السياسة الاميركية في الخليج.

والى جانب ذلك، لم تخفِ أطراف خليجية معينة مخاوفها من احتمال تكرار ما حصل في فضيحة مكفرلين والتي تدل على أن أميركا متى اخفقت في ضغوطها العلنية على جهة محلية خاصة، لن تتردد في محاولة بناء علاقات سرية معها بهدف احتوائها أو ايقاعها في الفخ الذي حفرته لها.. أو لمجرد تحقيق بعض المكاسب.

من هنا فان صحيفة السفير اللبنانية نقلت عن تلك الأطراف خشيتها من أن تكون واشنطن أخيرا بصدد عقد «صفقة مع طهران.. تكون بالضرورة على حساب دول عربية في الخليج»[١٠٨].

هذه الأطراف اعتبرت أن من جملة ما يؤيد مخاوفها: اتهام الاستخبارات الأميركية علنا للحرس الوطني السعودي بفتح النار على الحجاج الايرانيين.

وهو الاتهام الذي أرجعته الى الرغبة الأميركية في الحصول على تسهيلات ضخمة ومعلنة خليجيا! كما اعتبرت هذه الرغبة بمثابة «الغلطة غير المبررة» من جانب الولايات المتحدة، وانها ـ تبعا لذلك ـ تحتفظ بحقها في الرد بالصيغة التي تلائمها.

وأخيرا.. فان محاولات الادارة الاميركية لاستدراج الخليجيين الى ماتطلب والذي يقابلها القلق الكبير الناشئ لدى الحكومات الخليجية، ورغبتها في الرد على الاتهامات الاميركية التي أخذت تثقل عليها باتهامات مماثلة! ذلك ما نصطلح على تسميته بحرب الاتهامات المتبادلة.

فلعل من طبيعة حرب كهذه أن تساعد على توضيح بعض الملابسات التي اكتنفت عملية قمع الحجاج في مكة وتكاد تخفي الكثير من حقائقها عن الأنظار للآن..

اي على غرار التعتيم الرسمي الذي مارسته ادارة ريغن ـ مثلاً ـ على واقع انحيازها الى جانب العراق في حربه، ومضايقتها له أحيانا بالرغبة في أن يقصر نشاطه

الحربي على كل ما يلائم مصالحها في استمرار الحرب أو تجميدها عند حد معين. . وبالتالي لجوء العراق على لسان وزير خارجيته طارق عزيز الى تهام الادارة هذه ـ عقب سقوط الفاو ـ بتزويدها له بمعلومات خاطئة عن الاستعدادات الايرانية. الأمر الذي حفز مسؤولين أميركان للتعليق عليه بأن المعلومات المقدمة للعراق هي صحيحة مائة بالمائة!!

على هذا النحو ، فليس ثمة ما يمنع أن تؤدي محاولات تقييد الخليجيين والسعوديين بالرغبات الاميركية غير المنطقية حيال ايران الى تكرار فصول التجربة الاميركية مع العراق وتتكشف على محكها بالنتيجة حقائق كثيرة غير معلنة بصدد التنسيق الأميركي السعودي في قضية المجزرة.

وهو ما أخذنا نشهد أولىٰ ملامحة بالفعل. .

هوامش

١) في لقاء مع مجلة «الحوادث» اللندنية ، عدد « ٨٧/٧/١٧ » .
٢) من تعليق لصحيفة العهد اللبنانية ، العدد «١٧٨» .
٣) مجلة «الاسبوع العربي» اللندنية ، عدد « ٨٧/٨/٣ » .
٤) لم يتسنَ للمجلة الاسبوعية نشر كلام الخبير الأميركي الا بعد ثلاثة أيام من المجزرة ، وحسب موعد صدورها العادي .
٥) نقلا عن صحيفة «داغنزى هتر» السويدية .
٦) صحيفة « السفير » اللبنانية ، « ٨٧/٨/٢٩ » .
٧) «السفير» ، « ٨٧/٨/٣٠ » .
٨) برنامج « معرض الآراء » ، صوت أميركا ، مساء الجمعة « ٨٨/١/٢٩ ».
٩) راديو « مونتي كار لو »، مساء الاربعاء « ٨٨/٢/١٠ » .
١٠) «كيهان العربي» ، « ٨٧/١٢/٢٨ ».
١١) «الكفاح العربي» ، العدد « ٤٧٣ ».
١٢) «كيهان العربي» ، « ٨٧/٩/٢٧ » .
١٣) «الكفاح العربي» أوردت مقتطفات مترجمة من التقرير ، العدد «٤٨١».
١٤) «السفير» ، « ٨٧/١٠/٢٣ » .
١٥) «السفير» ، « ٨٧/٨/٤ » .
١٦) مجلة « العالم » اللندنية ، عدد منتصف آب ٨٧ .
١٧) عدد ١٠ آب ١٩٨٧ .
١٨) عدد « ٨٧/٨/٢ » .
١٩) «السفير» ، عدد « ٨٧/٨/٤ » ، نشرت بيانات «فيتزووتر» بناء على مابعثه مراسلها في يوم سابق .
٢٠) عدد « ٨٧/٨/٥ » .
٢١) عدد « ٨٧/٨/١٠ » .
٢٢) « جان غرين والد» ، «الحرب على جميع الجبهات» إ«مجلة «تايم»، عدد «٨٧/٨/١٧».
٢٣) عدد « ٨٧/٨/٥ » .
٢٤) عدد « ٨٧/٨/١٠ ».
٢٥) عدد « ٨٧/٨/١٠ ».
٢٦) «السفير» ، « ٨٧/٨/٣ » وقد ذُكر بيان «النفي» في الصحيفة اللبنانية بعد يومين من صدوره .
٢٧) «السفير» ، « ٨٧/٨/٤ » .
٢٨) «المدينة» السعودية ، «٨٧/٨/٢٥ ».
٢٩) «السفير» ، « ٨٧/٩/١١ » .
٣٠) عدد « ٨٧/٨/١١ » .
٣١) «عكاظ» السعودية ، العدد «٧٧٠٥» نقلا عن صحيفة «نيويورك تايمز» .
٣٢) عدد « ٨٧/٨/٥ » .
٣٣) «الكفاح العربي» ، العدد « ٤٨١ »
٣٤) المصدر السابق .

٣٥) «السفير» ، « ٨٧/١٠/٢٢ » .
٣٦) عدد « ٨٨/١/١٣ » .
٣٧) «السفير» ، « ٨٧/٩/١١ » .
٣٨) أوردالصحفي التركي «فهمي كورو» في كتابه «بقع الدم لاتمحى» رواية تفصيلية عن استخدام القوات الأمنية السعودية للعنف ضد الحجاج الايرانيين. ومن جملة ما استند اليه، افادات نشرتها للصحفي الباكستاني «مشاهد حسين» كل من الواشنطن بوست وانترنشنال هيرالدتربيون الاميركيتين. هذا الصحفي التركي قام بنشر مادة كتابه أولا على حلقات في صحيفة «زمان» التركية التي يعمل فيها. وقد تولت بعد ذلك كل من صحيفتي «جمهوري الاسلامي» و «كيهان العربي» في طهران ترجمة مادة الكتاب الى الفارسية والعربية على التوالي.
٣٩) «السفير» ، « ٨٧/٨/٣١ ».
٤٠) «السياسة بين السائل والمجيب» ، اذاعة لندن ، «مساء الأثنين « ٨٨/٢/٨» .
٤١) «السفير» ، « ٨٧/٩/١١ » .
٤٢) «الكفاح العربي» ، العدد «٤٨٤».
٤٣) المصدر السابق .
٤٤) المصدر السابق .
٤٥) «السفير» ، «٨٧/١٠/٢٢ » .
٤٦) «السفير» ، ٨٧/٩/١١ » .
٤٧) المصدر السابق .
٤٨) «شوقي رافع» ، رسالة الخليج ، «السفير» ، « ٨٧/٩/١١ ».
٤٩) صوت أميركا ، مساء الجمعة» ٨٨/١/٢٩ » .
٥٠) المصدر السابق .
٥١) «السفير» ، « ٢٢/ ١٠/ ٨٧ » .
٥٢) «الكفاح العربي» ، العدد « ٤٨١ » .
٥٣) «صوت أميركا» ، « ٨٨/١/٢٩ » .
٥٤) «الشرق الاوسط و المغرب العربي وراء العناوين و الاضواء» ، «صوت أميركا» مساء الثلاثاء «٨٨/١/١٩ »
٥٥) «مكة والخليج» ، صحيفة فرانكفورتر روندشاو الالمانية، « ٨٧/٨/٣ ».
٥٦) العدد « ٧٧٠٧ » .
٥٧) العدد « ٦٩٩٣ » .
٥٨) العدد « ٧٤٢٣ » .
٥٩) «الشرق الاوسط» السعودية ، «٨٧/٨/٢٦» .
٦٠) «عكاظ» ، العدد « ٧٧٢٢ ».
٦١) العدد « ٧٧٠٣ ».
٦٢) العدد « ٥٤٣٢ » .
٦٣) «عكاظ» ، العدد « ٧٧٠٥ » .
٦٤) المصدر السابق .
٦٥) العدد « ٥٤٢٨ » .
٦٦) « عكاظ » ، « ٨٧/٨/٨ » .

٦٧) العدد « ٣١٧٣ » .
٦٨) العدد « ٧٧٠٥ » .
٦٩) العدد « ٦٩٩٣ » .
٧٠) «عكاظ» ، العدد « ٧٧٢٢ » .
٧١) «النهار» البيروتية ، « ٨٧/٨/١٠ » .
٧٢) «الكفاح العربي» ، العدد « ٤٨٤ » .
٧٣) نقلت ذلك وكالة الصحافة الفرنسية .
٧٤) «صوت أميركا» ، السبت « ٨٧/١/٩ » .
٧٥) عدد «٨٨/٨/١٣ » .
٧٦) «عالم المساء» ، اذاعة لندن ، «٨٧/١٢/١» .
٧٧) العدد « ٢٤١ » .
٧٨) «المتغيرات السياسية في المنطقة خلال الحرب» ، «خريف الاستكبار» .
٧٩) مجلة «الاسبوع العربي» ، «١٩/١٠/٨٧» .
٨٠) «الكفاح العربي» ، العدد «٤٧٣» .
٨١) مجلة «المستقبل» ، العدد « ٢٦٦ » ، « ١٩٨٠/٤/٢٦ » .
٨٢) صحيفة «المدينة» السعودية ، « ٨٧/٨/٥ » .
٨٣) «عكاظ» ، العدد « ٧٧٠٧ » .
٨٤) « عكاظ» ، العدد « ٧٧٠٣ » .
٨٥) المصدر السابق .
٨٦) «السياسة» الكويتية ، « ٨٧/١١/١٤ » .
٨٧) «الجزيرة» ، العدد « ٥٤٢٨ » .
٨٨) «النهار» . « ٨٧/٩/١٦ » .
٨٩) «عكاظ» ، العدد « ٧٧٠٥ » .
٩٠) عن تقرير وكالة الصحافة الفرنسية من عمان ، « ٨٧/١١/١١ » .
٩١) «عكاظ» ، العدد « ٧٧٢٢ » .
٩٢) «عكاظ» ، العدد « ٧٧٠٥ » .
٩٣) «المدينة» السعودية ، « ٨٧/٨/٥ » .
٩٤) «السياسة» الكويتية ، « ٨٧/١١/٤ » .
٩٥) «كيف استعد صدام للحرب؟» ، «خريف الاستكبار» . ونقلت أقوال الحسن الثاني لصدام مجلة الف باء البغدادية «العدد ٥٩٤» ، «١٩٨٠/٢/١٣» .
٩٦) «السياسة» الكويتية ، « ٨٧/١١/٤ » .
٩٧) «كيهان العربي» ، « ٨٧/١١/٧ » .
٩٨) «الأسبوع العربي» اللندنية ، العدد «١٤٦٧» .
٩٩) «النهار» البيروتية ، « ٨٧/٨/٦ » .
١٠٠) «النهار» ، « ٨٧/٨/٣ » .
١٠١) «النهار» ، « ٨٧/٨/٦ » .
١٠٢) «السفير» ، « ٨٧/٨/٣ » .
١٠٣) «عكاظ» ، العدد « ٧٧٠٥ » .

١٠٤) «كيف استعد صدام للحرب ؟» ، «خريف الاستكبار» . . ونص ماقاله صدام حسين وزع في كراس خاص «كراس المؤتمرات الصحفية ، طبع بغداد، ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٠».
١٠٥) «الكفاح العربي» ، العدد « ٤٧٣ » .
١٠٦) «الكفاح العربي» ، « ٨٧/١١/١٧ » .
١٠٧) «كيهان العربي» ، « ٨٧/١١/١٧ » .
١٠٨) «السفير» ، « ٨٧/٩/١١ » .

انتهى الكتاب بعونه تعالى

الفهرس

كلمة في البداية ٧
تمهيد ٩
مدخل ١١
التشويش على رسالة الحج ١٣
التنفيس عن الضغوط ٢١
شواهد مؤيدة ٢٤
ايرانياً ٢٤
سعودياً ٢٥
خليجياً ٢٥
عربياً ٢٦
اسلامياً ٢٦
دولياً وغربياً ٢٧

التأزيم الدائم العلاقات ٣١
هل التصعيد.. حدث طارئ ٣٤
دعوة مستهلكة الى قطع العلاقات ٣٥
التنبؤ المسبق بتأزيم العلاقات ٣٦
النتائج.. ماذا تعكس؟ ٣٧

توثيق رسمي.. لافتعال الازمة ٣٩
الى اين تسير العلاقات؟ ٤٤
اقتراح «القمة الاسلامية» لصالح «القمة العربية»! ٤٥
كل الخيارات تؤدي الى.. القمة العربية ٤٧
الفتوى التاريخية ٤٩
السعودية تكرر الخطأ العراقي ٥٠
خطوات متشابهة و هدف واحد ٥٢
الطريق الى القمة يمر من.. دمشق ٥٤
عوامل.. لأطالة الازمة ٥٨
تسمية غيرعادية لقمة.. عادية! ٦١
الأمل في تحسن العلاقات ٦٢

النفخ في نارالحرب ٦٩
منشأ المخاوف الخليجية ٧٢
المخاوف.. لمصلحة من؟ ٧٤
التحريض الاميركي والغربي ٧٧
محاولاتٍ «توحيدية» ضد ايران ٧٩
مجزرة مكة.. المأزق الخليجي الكبير ٨٢
تصعيد جديد بحوافز سعودية ٨٥
المجزرة امتداد للحرب.. ام العكس؟ ٨٦
دورة.. الموقف السعودي ٩٥

انعاش المشروع الاميركي ١٠٠
اولاً: المهدات الاميركية ١٠١
بداية التخطيط ١٠٣
تنسيق متقدم ١٠٦

ثانياً: ردود الفعل الاميركية ١٠٨

دلالات الأرتياح الاميركي ١٠٨
المجزرة مقابل الدعم ١٠٩
قلق ام تواطؤ؟ ١١٠
وانفجر خزان الحقد ١١٤

ثالثاً: الخطوات الاميركية اللاحقة ١١٩
تسريب المعلومات ١٢١
الترغيب والترهيب ١٢٤

رابعاً: مسؤولية السعوديين المباشرة.. وتحركاتهم ١٣٢

تناغم سعودي - اميركي واضح ١٣٢
نشاط.. بصبغة اميركية ١٣٤
التنسيق على طول الخط ١٤١

خامساً: تعاطف الجناح العربي الاميركي مع الجريمة ١٤٥
السر في طلب التضامن ١٤٥
افرازات «التضامن العربي» ١٤٧

سادساً: مواقف الجناح العربي المنافس ١٥٢
طبيعة الاتهامات الموجهة ١٥٢
الرصيد الواقعي للأتهامات ١٥٣
اتهامات متبادلة ١٦٠

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU59644923
ME20640
Wajh al-akhar li-ahd

كيهان العربي

(١)

£4.95